
الهزيمة الكبرى
مع الملوك والرؤساء
من بيت عبد الناصر إلى غرفة العمليات
أحمد الشقيري
دار العودة - بيروت

أحمد الشقيري

الهزيمة الكبرى

مع الملوك والرؤساء

من بيت عبد الناصر إلى غرفة العمليات

الجزء الأول

الطبعة الإلكترونية الأولى
1426 هـ
2005 م

- الهزيمة الكبرى ... مع الملوك والرؤساء – من بيت عبد الناصر إلى غرفة العمليات
  الجزء الأول
- أحمد الشقيري
- الطبعة الإلكترونية الأولى 2005 م

التنقيح والتدقيق الفني واللغوي

عبد العزيز السيد أحمد

أ.د. عزمي الصالحي

تدقيق التنضيد والإخراج :-

المؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع

هاتف: 5650630-6-962+ فاكس: 5668860-6-962+

ب.إ: arab_book@hotmail.com

صدرت الطبعة الورقية الأولى: دار العودة ، بيروت ، 1973 .

المحتويات

الكتاب والكاتب

ليس من السهل أن تكتب مقدمة لهذا الكتاب في بضعة صفحات، فقد سبقته أربعة كتب يصح أن نعتبرها مقدمة لهذا الكتاب التاريخي الخطير الذي سيظل في موضوعه الكتاب الوحيد الأوحد في المكتبة العربية المعاصرة ..

وهذه الكتب الأربعة هي: أربعون عاما في الحياة العربية والدولية – حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء – من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء – على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء ..

والكتاب الجديد، كما يدل عليه عنوانه، (الهزيمة الكبرى مع الملوك والرؤساء) يسجل الأحداث الرهيبة في حرب حزيران لعام 1967، بكل مقدماتها وأسبابها، وأسرارها وآثارها ..

ولقد صدرت عشرات الكتب في مختلف لغات العالم عن حرب حزيران، ولكن هذا الكتاب يتميز عن هذه الكتب جميعها، أن مؤلفه كان على مسرح الأحداث، بل في صميمها، وفي أخطر حقبة في تاريخ العرب الحديث ..

ذلك أن صاحب الكتاب هو أحمد الشقيري، السياسي العربي المناضل، الذي تولى الدفاع عن القضايا العربية على الصعيدين القومي والدولي، قرابة عشرين عاما، تعرض خلالها لعداء الاستعمار العالمي والرجعية العربية، والصهيونية الدولية ..

وأحمد الشقيري، اشترك في مؤتمرات القمة، في القاهرة، والإسكندرية، والدار البيضـــاء، والخرطوم، وكان له دور بارز في توجيه الســـياســـة العربية، ولذلك فان كتابه هذا يعتبر سـجلا وثائقيا تاريخيا، لا ينافســه إلا مذكرات القائد العربي الراحل جمال عبد الناصــر إذا قدر لمذكراته أن تنشــر في يوم من الأيام ..

وعنوان هذا الكتاب (الهزيمة الكبرى مع الملوك والرؤســاء) له دلالتان بارزتان هامتان، كما أشـــار المؤلف في أكثر من موضـــع من كتابه .. الدلالة الأولى أن حرب حزيران لم تكن (نكســة أو نكبة) كما ســميت في بداية الأمر .. بـل هي هزيمـة كبرى لا تقل أثرا وخطرا عن الحروب الصـــليبيـة وغزوات التتار، في القرون الوسطى، على ديار مصر والشام..

أما الدلالة الثانية، وهي واضـــحة في جميع فصـــول الكتاب، فهي أن أحمد الشـــقيري لم يترك مناســـبة إلا وقد أكد أن الهزيمة كانت هزيمة الملوك والرؤسـاء، وأن الأمة العربية، بشـعوبها، بريئة من عار الانكسـار .. وأنها تملك كل مقومات النصر المادية والروحية، لو ان الحكم العربي المعاصر كان مؤهلا لهذه المعركة ..

وفي هذا الكتاب مزايا علمية موضوعية رائعة ..

وأول هذه المزايا أن المؤلف قد سـرد الأحداث في تسـلسـل زمني دقيق، خطوة خطوة، ومرحلة بعد مرحلة، ولا يملك المواطن العربي وهو يقرأ الكتاب إلا أن يحس أنه يعيش المعركة ساعة بساعة، ويسير في ركاب الأحداث من البداية إلى النهاية ..

والميزة الثانية أن المؤلف، وهو يســـرد مواقف الملوك والرؤســـاء، قد اعتمد على تصـريحاتهم العلنية، وقارنها برسـائلهم السـرية، ثم شـرح مواقفهم من مواقعهم (وخنادقهم) وسلوكهم وتصرفهم !!

والميزة الثالثة والأخيرة، أن هذه الكتاب يصدر بعد ستة أعوام من الكارثة ليرى المواطن العربي أن كثيرا من الظروف الســـائدة في الوطن العربي قبيل الكارثة وبعدها، ما تزال هي هي على حالها، وأن (عبارة الدروس المســتفادة) التي يرددها حكام العرب في هذه الأيام لا تنم عن جدية ولا مســئولية ولا واقعية ..

وطبيعي أن هذا الكتاب لم يصـــدر في عام الهزيمة .. لان مؤلفه كان يصـدر كتابا في كل عام، ذلك أن الهزيمة، في نظر المؤلف، قد بدأت بأسـبابها ومقدماتها، في مؤتمر القمة الأول في عام1964، قبل الحرب بثلاثة أعوام ..

ومع هذا، فان الكتاب الحالي، قد أخذ في سرد الأحداث ابتداء من آذار (مارس) 1967 .. أي قبل الحرب بأربعة اشــهر .. فان أحداث تلك الشــهور كانت هي المقدمات المباشرة التي أدت إلى الحرب ..

ففي الفصـــول الأولى يســتعرض المؤلف حالة التوتر التي قامت على الجبهة الســورية الإســرائيلية، ومعركة الطيران الشــهيرة بين الطائرات الســورية والإســـرائيلية، وما تبع ذلك من احتشـــاد القوات الإســـرائيلية في اتجاه الحدود السورية ..

ثم ينتقل الكتاب إلى الخطوات الحاســـمة التي اتخذها القائد العربي الراحل جمال عبد الناصـر بشـأن انسـحاب قوات الطوارئ الدولية وإغلاق خليج العقبة ..

ويشـــرح الكتاب بعد ذلك، الســـفرة المفاجئة المثيرة التي قام بها الملك حسـين إلى القاهرة لبضـعة سـاعات تم خلالها عقد اتفاقية الدفاع المشـترك بين الجمهوريـة العربيـة المتحدة والأردن، وتفاصـــيل الظروف التي دفعت أحمد الشـقيري إلى أن يسـافر مع الملك حسـين إلى عمان .. وفي طائرته، والموجة الروحية التي غمرت الوطن العربي آنذاك ..

ثم يفصّـل الكتاب بصـورة دقيقة الاتصـالات التي تمت بين الرئيس عبد الناصـــر والملك حســـين في اليوم الأول من الحرب، والظروف التي أدت إلى سقوط الضفة الغربية وبيت المقدس ..

وينتقل الكتاب بعد ذلك إلى وقائع الهزيمة في الجبهات العربية الثلاث، في الأردن ومصر وسوريا، وموضوع وقف إطلاق النار، واستقالة الرئيس عبد الناصر وعدوله عنها تحت ضغط الجماهير ..

ويعالج الكتاب بإسهاب، إلى جانب الموقف العربي، دولة دولة، مواقف الدول العظمى، وفي مقدمتها الاتحاد الســوفييتي، والولايات المتحدة، وبريطانيا وفرنسا فيكشف عن أسرار خطيرة تعلن لأول مرة ..

والفصـــول الأخيرة من الكتاب تتناول بالتفصـــيل الدقيق أســـرار مؤتمر الخرطوم وتخاذل الموقف العربي في مجابهة الهزيمة الكبرى التي حلت بالأمة العربية . والأســـباب القومية التي حملت أحمد الشـــقيري بوصـــفه رئيس منظمة التحرير أن ينســـحب من المؤتمر، وهو يقول (إن الهزيمة الكبرى لم تقع في سيناء والجولان، ولكنها وقعت في مؤتمر الخرطوم ..

وفي نهاية الكتاب فصلان شائقان هامان ..

أحدهما : (إلقاء اليهود بالبحر) .. وهي التهمة الكبرى التي ألبستها الصهيونية العالمية بمؤلف الكتاب ..

وثانيهما : (إقالتي واستقالتي) .. يكشف فيه المؤلف لأول مرة أسرار استقالته .. والظروف التي تحول دون عودته إلى ميدان المسئولية العامة، ليعيش كمواطن يضع تجاربه واختباراته السياسية والقومية تحت تصرف أمته ..

وكلمة أخيرة، لا ترى (دار العودة) مناصا من أن تسجلها في ختام هذه المقدمة، وهي أننا نقدم في هذا الكتاب إلى المواطن العربي موسوعة من الحقائق الرهيبة عن أخطر مرحلة مرت في تاريخ الحرب الحديث، بل في تاريخ العرب كله ..

ومؤلف هذا الكتاب لا يحتاج إلى تقديم أو تعريف .. فهو حامل لواء القضية العربية في المحافل الدولية، والخصم العنيد للاستعمار والصهيونية والرجعية ..

وإذا كانت السياسة العربية قد فقدته مناضلا صلبا، فقد ربحته المكتبة العربية كاتبا سياسيا رائعا، يملك قلما ساحرا يجعله في طليعة كتاب العرب المعاصرين ..

ودار العودة، تعتز بالكتاب والكاتب ..

بيروت في حزيران 1973

دار العودة

نجدة من فوهات الإذاعة..
لا من فوهات المدافع

أقبلت رياح الخماسين مبكرة هذا العام، وما زلنا في أوائل نيسان، وهبت على القاهرة ريح صـــرصـــر عاتية، ولفها رداء من الغبار جاء يجر ذيوله من الصحراء، فاحتجبت الرؤية وبدأت المدينة الزاهية الزاهرة شاحبة كئيبة ...

وتطيرّت من عواء الهواء تتناوح من حولنا، ووقع في نفســي ما يقع في نفوس الكلاب حين تعوي، وفي الخيل حين تصـــهل، وفي القطط حين تموء، قبل الزلازل والأعاصـــير .ودعوت الله ان لا يجعل هذا الشـــهر، ولا هذا العام، مؤذنا بالكارثة، كبيرة كانت أو صغيرة .

وراودتني نفسي أن اعتكف في البيت هذا اليوم، فأنا لم أجلس إلى كتبي منذ زمن طويل، حتى لقد خشــيت أن اصـــبح أمياً، إذا طال مقامي في منظمة التحرير الفلسـطينية، بعيدا عن أسـاتذتي الإجلاء من أصـحاب المؤلفات الرائعة في التاريخ والفلسفة والأدب، والتراجم، والسير، وفي المقام الاسنى، سيرة صلاح الدين الأيوبي، التي قرأتها ماية مرة ومرة، وما ارتويت ..

ولكن رياح الخماسين قد أخذت تقرع الأبواب والنوافذ، ولم يعد ميسورا أن اقرأ بفؤادي كما يطيب لي، وأنا قارئ صوفي، أحب أن أفنى في الكتاب، كما يفنى العابد الزاهد في ذات الله، إذا استطاع إلى ذلك سبيلا .

ورجحت في النهاية أن اذهب إلى مكتبي في حي (الدقي) في القاهرة، وهو غير بعيد عن بيتي، فلعلي أستطيع عملا يواسيني، أو اقرأ خبرا يعزيني .

وما أن دخلت مكتبي حتى جاءني مدير إذاعة المنظمة وهو يقول :

- هل سمعت إذاعة دمشق في هذا الصباح ؟

قلت : لم أفتح الإذاعة بعد .

قال : عدوان إسرائيلي على سوريا .. ويظهر أنه كبير وخطير ..

وملت إلى جهاز الراديو الرابض ابد ودائما إلى جوار طاولتي، وأدرت المفتاح على إذاعة دمشق، وإذا بالأناشيد العسكرية والأغاني الحماسية تلعلع .. ثم تتعاقب عليها بلاغات الناطق الرسمي باسم الجيش السوري، موجزة، صارمة، جادة .. تماما كما لو كنا في الميدان، لا يتسع الوقت لكلمة زائدة، ولا يحتمل كلمة ناقصة ..

وبقيت اليوم كله – 7 نيسان 1967 – في مكتبي، أصرف بعض أمور المنظمة، وأستقبل بعض السفراء العرب وبعض الصحفيين الأجانب، ثم أتناوب على جهاز التلفون مرة، وعلى الإذاعات العربية مرة أخرى، أتابع أخبار العدوان الإسرائيلي على سوريا ..

كان ذلك هو يومي كله إلى ساعة متأخرة من الليل، أنتقل من إذاعة دمشق إلى إذاعة إسرائيل، أتعقب أخبار المعركة، ولولا أن السعاة في مكتبي قد

تفقدوني ببعض الطعام والفاكهة في الغداء والعشـــاء، لحســـبت نفســـي في (غرفة العلميات) أعيش مع المعركة ساعة بساعة !!

وكانت حصـــيلة الإذاعات والأخبار لذلك اليوم، أن إســـرائيل قد دفعت بالجرارات الزراعية إلى المنطقة المجردة شـــرقي بحيرة طبريا، تمهيدا لاحتلالها، فتعرضـــت لها المراكز الســـورية بالنار، فتدخلت الدبابات والمدفعية الإســـرائيلية، وبدأت المعركة بين القوات الإســـرائيلية والســـورية، وما أن حمى وطيس المعركة بين الجانبين حتى تدخل سلاح الجو الإسرائيلي بأسراب متوالية، وقصف المواقع الســـورية، واشـــتبك معه ســـلاح الجو الســـوري في أجواء دمشـــق، وتوقف إطلاق النار في ساعة متأخرة من المساء..

تلك هي معركة السابع من نيسان في كلمات قليلات ..

ولكن هذه المعركة كانت أكبر من هذه الكلمات.. كانت هذه المعركة أكبر المعارك التي شـــهدتها خطوط الهدنة العربية الإســـرائيلية من الناقورة شـــمالا حتى شرم الشيخ جنوبا إلا .. إلا معركة 1956 أيام العدوان الثلاثي على مصر ..

وبدأت تتجمع أمامي التقارير..

وصـــلني تقرير من مكتب المنظمة في دمشـــق .. وتقرير ثان من قيادة جيش التحرير الفلسطيني في سوريا، ثم بدأت تنهمر تعليقات الصـــحافة الأجنبية ووكالات الأنباء العالمية، وقارنت كل هذا التقارير التي كانت تصلني من القيادة العربية الموحدة .. واســـتقر في ذهني أن هذه المعركة لم تكن مثل المئات من سابقاتها التي وقعت بين سوريا وإسرائيل على مدى عشرين عاما، منذ أن وقعت اتفاقية الهدنة بينهما في عام 1949.

كانت هذه المعركة أشـــد ضـــراوة من كل ما وقع حتى الآن .. كانت معركة برية وجوية، اشتركت فيها الدبابات والمصفحات والطائرات يوما بكامله، من الصـــباح حتى المســـاء .. وكان الطيران الإســـرائيلي ينطلق في موجات وطلعات متعاقبة، كأنما يمهد لعملية احتلالية ..

وازدادت الصورة وضوحا في ذهني، حينما بعث إلي مكتب المنظمة في نيويورك صـورة عن المذكرة التي قدمها الدكتور جورج طعمة مندوب سـوريا في الأمم المتحدة إلى مجلس الأمن يقول فيها(إن إسـرائيل أرسـلت 72 طائرة نفاثة لقصـــف ثماني قرى ســـورية وقذفت بألف قنبلة مدمرة ومحرقة،مما أدى إلى قتل العجزة والأطفال بدون تمييز .. وإن القاذفات الإســـرائيلية اســـتخدمت قنابل زنة كل منها نصـــف طن، كما اســـتخدمت قنابل النابالم ضـــد المدنيين، وهي بذلك ارتكبت جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية ..و'ن هدف إسرائيل توسيع الصدام واســـتفزاز ســـوريا ودفعها لخوض معركة شـــاملة، وذلك لإيقاع المزيد من الدمار والكوارث بسورية خاصة، والشعب العربي عامة) (10 نيسان 1967) .

(اثنان وسـبعون نفاثة إسـرائيلية تقصـف ثماني قرى سـورية) .. ذهلت وأنا اقرأ مذكرة المندوب السـوري، والمواطن العربي في الوطن العربي بأسـره لا تزوده أجهزة الإعلام الرســـمية بالحقائق أو ببعض الحقائق، وحكام العرب يحســـبون أنهم بهذه (الســياســة) الإعلامية يحمون الروح العربية المعنوية من الوهن، وقد فاتهم أن الترانزيســتور الصــغير يفضــحهم صــباحا وعشــية، حينما يســـتمع العامل والفلاح والطالب والمرأة إلى إذاعات إســـرائيل وصـــوت أمريكا

وصـوت بريطانيا، وهي تنقل صـورة تفصـيلية تناقض الإذاعات العربية .. جملة وتفصيلا !!

وفي زيارة للســـفارة الســـورية في القاهرة لاســـتزيد من أخبار المعركة الرهيبة، قلت للسفير:

– هل عندكم من جديد بشأن العدوان الإسرائيلي الأخير ؟

قـال : الحمـد لله، كن مطمئنـا، .. لقد دمرنـا عـددا من المســـتعمرات الإسرائيلية وأسقطنا للعدو ست طائرات.. وكانت خسائرنا بسيطة .

قلت : لقد استمعت إلى البلاغات العسكرية الخمسة التي أعلنها الناطق الرسـمي في دمشـق في يوم المعركة.. يظهر أن الطيران الإسـرائيلي قام بغارات متتالية على القرى والمواقع السورية ..

قال : لقد تلقيت اليوم تقريراً مفصلا عن المعركة .. والطيران الإسرائيلي لم يجرؤ على الدخول في المعركة بصورة جدية ..

قلت : ولكن اشـــتراك 72طائرة إســـرائيلية يدل على أن المعركة كانت حامية الوطيس..

قال : هذه أخبار العدو .. لم تشـترك أكثر من تسـع طائرات، أسـقطنا منها ستة، وهربت الثلاث الأخرى .

قلت : إن موضـــوع 72 طائرة ليس من أخبار العدو .. أن إســـرائيل لم تذكر في بلاغـاتها العســـكريـة عدد الطـائرات.. إن هذا العدد هو مـا قـالتـه سوريا ..

قال : ابدا ليس هذا صـــــحيحا .. وهذا هو التقرير أمامي .. ليس فيه شيء من ذلك ..

قلت :أنا لا اعلم ماذا عندك في التقرير ..إن الدكتور طعمة ممثل سوريا في الأمم المتحدة قدم مذكرة إلى مجلس الأمن يذكر فيها أن 72 طائرة إسرائيلية قصفت القرى السورية..

وقد وزعت هذه المذكرة على الدول الأعضاء وأصبحت وثيقة رسمية من وثائق الأمم المتحدة .

قال : أنا لا اعلم شيئا من هذا .. ذلك أمر غريب ..

قلت : أرجو أن تبرق إلى دمشق لتكشف للرأي العام العربي بعض حقائق هذه المعركة .. إن ذلك يقوي الروح المعنوية لا يضعفها .. ولا يصح أن تعرف الدنيا بأسرها أن الطائرات الإسرائيلية المغيرة كانت 72 .. ولا يعلم المواطن العربي شيئا من ذلك ..

وقد استجاب السفير السوري لاقتراحي، وأرسل برقية بذلك إلى دمشق ونحن ما زلنا في مجلسنا في السفارة ..

وبت أراقب ما ستفعله دمشق لتنوير الرأي العام العربي، وكيف ستتصرف بشأن برقية السفير السوري .. وجاءتني قصاصات الصحف السورية ونشرات الإذاعات، فماذا قرأت وماذا سمعت ؟؟

سمعت خطاب الرئيس السوري الدكتور نور الدين الاتاسي وهو يعلن: (لقد حاول الصهيونيون أن يعتدوا على حدودنا، وحاولت طائراتهم أن تمزق حرمة سمائنا، ولكن جيشنا العقائدي البطل رد الرد الطبيعي والحاسم، وإن نيراننا لن تخمد حتى نرد الصاع صاعين وأكثر .. ولن نشتكي بعد الآن، بل سنرد على العدوان بتدمير قواعد العدوان في قلب الأرض المحتلة، وان سورية ماضية

في طريقها لتحرير فلسطين، وإن الجيش الشعبي السوري يقف بالمرصاد لكل التحركات الرجعية المشبوهة في المنطقة) .. ودار خطاب الرئيس السوري حول هذه المعاني،وهي ضرورة من غير شك، ولكنه لم يطرح أمام المواطن العربي حقائق المعركة، وهذه بذاتها كافية أن تجعل منه مواطنا واعيا، لا مواطنا متحمسا فحسب .

وبعد خطاب الدكتور نور الدين الاتاسي عقد وزير الإعلام السوري السيد محمد الزعبي مؤتمرا صحفيا تحدث فيه عن الاشتباكات السورية الإسرائيلية، فوجدته ينهج نهج رئيسه في الكلام الحماسي، وهو يقول (إن الهدوء لن يعود إلى مناطق الهدنة طالما هناك احتلال صهيوني لفلسطين، وإن المعركة التي جرت ليست الأولى ولن تكون الأخيرة بل ستليها معارك اشد وأقسى إلى أن يتم تحرير فلسطين وإنهاء الوجود الصهيوني .. وإن خلق أوضاع تقدمية وثورية في الأقطار العربية المجاورة لإسرائيل شرط أولي لتحرير الأرض المحتلة، وإن المعركة أثبتت تفوق سوريا وأنها حطمت أسطورة التفوق الجوي الإسرائيلي) ولم أجد في هذا الكلام ما يشفي غليلي، فما زال الكلام السوري يدور في فلك ديوان الحماسة للبحتري الذي انشىء في القرون الوسطى!!

وأرسلت إلي السفارة السورية جريدة البعث تتضمن مقالا عن المعركة، فوجدت فيها بعض ضالتي، فقد تحدثت ولأول مرة عن (مئة هجمة أو موجة من الطيران الإسرائيلي استطاعت سورية ان تصدها دون ما حاجة إلى طلب تدخل القيادة العربية الموحدة أو مجلس الدفاع المشترك) .. وبادرت إلى التلفون وقلت للسفير السوري : إن الحقائق وحدها، ولو كانت موجعة، هي التي تشحذ عزيمة

المواطن العربي، أرجو أن تواصلوا مكاشفة الرأي العام العربي بحقائق هذه المعركة .. و .. و ...

ولكن سوريا لم تكن وحدها في هذا التخلف الإعلامي، فقد قامت الدول العربية بممارسة هواياتها المعروفة في ميدان الأعلام الرخيص، فراحت تصدر التصريحات الصحفية بالعشرات، فيما ينطبق عليه قول القائل:

كلامك يا هذا كأكلي بندقا   خليا من المعني ولكن له طقش

وقد تورم الملف بين يدي وأنا أضع هذه التصريحات في مكانها . وأنا أتساءل عن مصير الجهد الذي أنفقه في جمعها وتبويبها وحفظها .. وقالت هذه التصريحات :

في يوم العدوان الإسرائيلي بالذات (7/ 4/ 1967) قال وزير الخارجية العراقية في تصريح له أذاعه راديو بغداد (إن الحكومة العراقية مستعدة لإسناد سورية ضد العدوان الإسرائيلي، وأنها تراقب الوضع عن كثب وستظل على اتصال مستمر مع سفاراتها في الدول العربية و خاصة في القاهرة ودمشق، لمعرفة التفاصيل وإصدار الأوامر ..).

وأعلن وزير الخارجية والمغتربين اللبناني أن (حكومته تشجب الاعتداء الذي شنته القوات الإسرائيلية على الأراضي والأجواء السورية، وتتضامن مع سوريا ضد كل عدوان..).

وزاد الأردن على العراق ولبنان، بأن أعلن بطريقة مسرحية أن القوات الأردنية وضعت في حالة تأهب وإنذار، وأن سلاح الجو الأردني كان على اتصال مستمر ومباشر مع سلاح الجو السوري أثناء الاشتباكات، وأن الملك

حســين توجه على اثر تلقيه أنباء الاشــتباكات إلى قيادة ســلاح الجو الأردني حيث حضر اجتماعا لكبار قواد الأسلحة، واطلع على الإجراءات التي اتخذوها، واصـــدر إليهم تعليماته بأن توضـــع جميع القوات الأردنية المســلحة في حالة الاستعداد التام ..).

كانت هذه حصـيلة (النجدة) العربية لسـورية في اليوم الأول للعدوان، ثم جاءت في الأيام التالية نجدات أخرى ..

ومن هذه النجدات تصـــريح رئيس أركان الجيش العراقي الذي أعلن فيه أن (القوات العراقية تقف على أهبة الاسـتعداد لنجدة الجيش والشـعب السـوري ضـد العدوان الإسـرائيلي، وأننا كنا نتابع بصـورة مسـتمرة تطورات المعركة بغية الاشتراك فيها إذا استدعى الموقف ..).

ومنها أن وزير خارجية الكويت اســتدعى القائم بالأعمال الســوري في الكويت وأبلغه (أن الكويت تضــع جميع إمكاناتها تحت تصــرف ســوريا وتقف معها بكل طاقاتها ومشاعرها وتذهب بالتأييد إلى ابعد الحدود) ..

ومنها أن وزير خارجية الســودان (أكد أن مؤازرة بلاده الســورية ضــد العدوان الصــهيوني وأشــاد بتضــحيات الشــعب الســوري في ردعه العصــابات الصهيونية المعتدية) .

ومنها تصـــــريح من الأمانة العامة لجامعة الدول العربية (بان العدوان الإسـرائيلي على سـوريا يؤكد أن إسـرائيل تحتقر قرارات الأمم المتحدة، وأن على المنظمة العالمية أن تطرد إسرائيل من الأمم المتحدة) ..

ومنها تصـريحات أخرى على هذا المنوال من باقي الدول العربية، وكلها متأهبة للقتال والنزال لا من فوهات المدافع، ولكن من فوهات الراديو !!

وإلى جانب هذا الملف عن التصريحات العربية كان بين يدي ملف آخر يزيدني غما وهما، ذلك هو الملف الذي أعددته ليحتوي التصريحات الإسرائيلية عن المعركة .. وقد وجدت في هذين الملفين الفارق الفاصل بين الحكم العربي من جانب، والحكم الإسرائيلي من جانب آخر .. إن المقارنة فادحة وفاضحة .. إنها موجعة مفجعة .. ولكني أريد ان أضعها أمام الأجيال الصاعدة .. , إلى سدة الحكم العربي حتى تتعلم كيف تحكم، وأن تعرف كيف تتكلم .. ولا ضير ان نتعلم من أعدى أعدائنا .. ففي عدوان السابع من نيسان كان واضحا تماما أن إسرائيل قد أعدت لأمرين : أعدت للمعركة ..وأعدت ما تقول عن المعركة .. كل شيء بحساب وكل شيء بمقدار ..

وعلى صعيد الكلام، عقد ليفي اشكول رئيس وزراء إسرائيل ووزير الدفاع، بعد انتهاء المعركة، مؤتمراً صحفيا شدد فيه على سوريا (أن تحترم خطوط الهدنة وسيادة إسرائيل وتمتنع عن أعمال الخرق والتخريب، وأن الطيارين الإسرائيليين قد تسلموا أوامر بضرب الأهداف العسكرية فقط، وعدم التعرض للأهداف المدنية، وأنهم نفذوا الأوامر بدقة ..) كلام يعترف بغارة سلاح الجو الإسرائيلي، ولكن جعله في صيغة تغري بالقناعة بأن إسرائيل قد مارست (حقها المشروع) في الدفاع عن النفس ... وهكذا يكون التزوير وإلا فلا !!

وحين كان اشكول يعلن هذا الموقف، لا في الكلام يرسله إرسالا، بل في بيان واضح له حجم وحدود، كان الجنرال رابين رئيس أركان الجيش الإسرائيلي، والكولونيل هود قائد سلاح الطيران الإسرائيلي يعقدان مؤتمراً صحفيا يعلنان فيه أن (مواقع المدفعية السورية ليست مستحيلة على طيراننا،

وان الطيران الإسرائيلي استطاع التغلب على التفوق السوري الطوبرغرافي، وأننا هدمنا مواقع السـوريين بالقنابل ذات الانفجار الشـديد وقنابل النابالم ..) وهذا الكلام أعلنه العسـكريون ظهرا، لتقابله مسـاء ندوة تلفزيونية أجرتها الإذاعة الإسـرائيلية مع وزير خارجية إسـرائيل ابا ايبان يعلن فيها (أننا مسـتعدون للمحافظة على السلام الذي ساد الحدود الإسرائيلية السورية بعد اليوم، وأن على الدول الكبرى أن تقف ضد مدافع الهاون السورية لا ضد المحاريث الإسرائيلية) !!

وبهذا كانت إسـرائيل في ذلك اليوم أشـبه باوركسـترا متعددة الآلات والنغمات لعب فيها اشكول وايبان والقادة العسكريون على (الآلات) التي بين أيدهم، ليخرجوا (سـيمفونية) العدوان في إطار السـلام ... (سـلام) يكمن في جوف العدوان !!

ولم أكد افرغ من المقارنة بين (كلامنا) نحن، (وكلامهم) هم حتى بدأت معركة عربية أخرى، هي معركة النكاية والشـماتة، إلى جانب معركة النجدة إياها، وكان الأردن صـاحب (الخط الأول في الدفاع عن دنيا العرب) هو بطل هذه المعركة .

وإني لأذكر ليلة لقيت فيها نفسـي في بيتي، وأنا اسـتعرض فيها مصـاعب منظمة التحرير الفلسـطينية، مع الملوك والرؤسـاء، وفتحت مفتاح الراديـو في الساعة الحادية عشرة (10/ 4/ 1967) وإذا بمصدر أردني مسئول يعلن أن (أجهزة الرادار الأردنية قد سجلت يوم 7 نسيان طائرتين إسرائيليتين قد خرقتا حرمة الأجواء العربية وحلقتا فوق العريش وعادتا إلى قواعدهما دون أن

يكون هناك أي رد فعل من جانب الجمهورية العربية المتحدة، تماما كما حدث أثناء العدوان الإسرائيلي على السموع. [1]

وانتقل المصـدر الأردني بعد ذلك إلى التعقيب على العدوان الإسـرائيلي على ســورية فأردف قائلا (إن الرئيس جمال عبد الناصــر رئيس الجمهورية العربية المتحدة قد أعلن في خطابه الأخير أنه في اللحظة التي يقع فيها أي عدوان على سورية فان الجمهورية العربية المتحدة ستتدخل ..) وتابع المصـدر الأردني تعقيبه متسائلا (إن العدوان الإسرائيلي الأخير على سورية استمر عددا من الساعات لا من اللحظات فأين الجمهورية العربية المتحدة ..؟).

ولكن حرب النكاية الأردنية، بعد أن غمزت الرئيس عبد الناصر، انتقلت إلى التعريض بسـوريا في أشـنع تهمة يسـتطيع الخيال أن يبتدعها، وخلاصـة التهمة، كما أعلنتها الإذاعة الأردنية (14/ 4 / 1967) أن الطائرات السـورية التي اشـتبكت مع سـلاح الجو الإسـرائيلي قد سـقطت ثلاث منها في الأراضـي الأردنية، (وان الفنيين الأردنيين الذين فحصـوا حطام الطائرات السـورية تبينوا أنها كانت مزودة فقط بصواريخ خشبية) !!.

كان ذلك ما أعلنته (مصـدر أردني مسـئول) ولكن الأمر لم يقتصـر على الإذاعة الأردنية فقد انتقل التزوير إلى الصـحافة في بيروت فقد تلقفته جريدتا الحياة والزمان، أو ان الخبر هبط عليهما من عمان، فنشـرتا أن سـلاح الجو السـوري (كان مزودا بذخيرة كاذبة في معركة مع الطيران الإسـرائيلي في السابع من نيسان ..) .

---

[1] أحمد الشقيري، **على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء** .

وصـادف في ذلك الأسبوع أننا كنا في حفل عشاء في السفارة اللبنانية، ولقيت سفيري الأردني ولبنان يتضاحكان .. فقلت لهما : لي كلمة مع كل منكما : بالنسبة لبيروت أنا اعلم أن الصحف (حرة) فيما تكتب، ولكن هل يجوز ان تزعم صـــحيفتا الحياة والزمان أن الطائرات الســـورية تحمل ذخيرة كاذبة في معركتها مع إسرائيل .. هل تصل (حرية) الصحافة إلى هذا الدرك من التزوير والتشـــهير .. أما بالنســبة إلى عمان فاني أتســاءل، هل تكذب إســرائيل على الجيش السوري بمثل ما تكذب الإذاعة الأردنية .. هل جف ماء الحياء إلى هذا الحد ؟؟ هل أصـبح شـعارنا اليوم :إذا لم تسـتح فاصـنع ما شـئت .. واكذب ما شئت.

وانصرفت عن السفيرين وهما في غاية الحياء، ويؤكدان أنهما سيتصلان بحكومتيهما..وقد أدى لبنان واجبه في هذا المجال فقد أعلمني السـفير بعد ثلاثة أيام أن الحكومة اللبنانية قد قدمت الصحفيين إلى القضاء بتهمة التعرض بكرامة الجيش السـوري .. أما عمان ..عمان لم تكن آذان . . فلم تسـمع منها شـيئا .. ولم أسمع عنها شيئا .. ولكن عمان، مع بعض الصحف بيروت، قد استمرت في حملة الشماتة والنكاية، وهي تسخر من دمشق مرة، ومن القاهرة مرة أخرى .. وكانت التهمة الصـارخة موجهة إلى النظام السوري، بأنه يستفز إسرائيل ولا يصـــمد أمامها ... وموجهة كذلك إلى الجمهورية العربية المتحدة،بأنها لم تنجد الجيش الســوري في معركة امتدت يوما بكامله .. ولم ينطلق الطيران المصــري إلى ضرب القواعد الإسرائيلية لتخفيف الضغط عن سوريا .

ولقيت المشـــير عبد الحكيم عامر في حفل أقامته الســـفارة العراقية، وتحدثت إليه عن حملة التشـكيك المتصـاعد في الأردن ولبنان بصــدد معركة

السابع من نيسان، وما أضفت عليها الصحافة الغربية من تفوق سلاح الجو الإسرائيلي، (وتقاعس) مصر عن نجدة سوريا ونقض اتفاقية الدفاع المشترك المعقودة بين القاهرة ودمشق .

فقال لي المشير عامر : لقد كنا على اتصال دائم مع دمشق في يوم المعركة .. وعرضنا على إخواننا السوريين إذا كانوا يريدون معاونة، فأجابوا بان سلاح الجو السوري يسيطر على الوقف .

قلت : أريد ان أسألك بأمانة الجندي الشريف .. هل أنت مطمئن إلى جواب دمشق ..

قال : الحق .. أنا غير راض عن سير هذه المعركة من أولها لآخرها ..ولقد قلت لإخواننا السوريين عدة مرات إنه لا داعي لاستفزاز إسرائيل .. يجب ان نستكمل استعداداتنا أولا ..ومع هذا فقد عرضنا عليهم، الرئيس عبد الناصر وأنا، ان تكون لنا قاعدة جوية كاملة في سوريا حتى نستطيع ان نسند سلاح الجو السوري عند أي طارئ ..ولم يرض إخواننا السوريون بذلك.. فماذا يريد (العرب) منا ان نفعل ؟؟!

قلت : إن جو المعركة ما يزال ساخنا حتى الآن .. وإنها فرصة لمعاودة البحث في الموضوع، وأرى أن تؤكدوا اقتراحاتكم مرة ثانية بصدد القاعدة الجوية .

قال : القلوب عند بعضها، وهذا ما نحن نفكر فيه الآن .. خلال هذا الأسبوع سنبعث وفدين، الأول برئاسة الفريق محمد صدقي محمود قائد القوات الجوية، والثاني برئاسة محمد صدقي سليمان رئيس الوزراء، وسنفتح الموضوع

من أسـاسـه، ونحن حاضـرون لتنفيذ كل التزاماتنا التي وردت في اتفاقية الدفاع المشترك بيننا وبين سوريا .

وقد تم هذا فعلاً فقد سـافر الوفدان في ذلك الأسـبوع (4/12/ 1967) إلى دمشق واجتمعا برجال الدولة، العسكريين قبل السياسيين، فتلك هي سوريا .

وكنت على اتصـال دائم بالسـفارة السـورية في القاهرة لأكون على علم بما يدور حول المباحثات في دمشـق، فقد أصـبح الرأي العام العربي يشـك في جدوى اللقاءات العربية، والتضامن العربي، وقد ضجر بالذات من الشعار الذي كان يردده حكام العرب على الدوام، من أن (أي اعتداء يقع على أي دولة عربية يعتبر اعتداء على الدول العربية جمعاء ..).

ولم تكن إسـرائيل تجهل طبيعة التيارات العربية في تلك الفترة، فقد علقت صحيفة الجروسالم بوست الإسرائيلية على زيارة الوفد المصري لسورية فقالت (إنها محاولة للرد على التعليقات التي انطلقت من عمان ومن بعض صحف بيروت التي سخرت من فشل الجمهورية العربية المتحدة في نجدة سورية خلال اشتباكات 7 نيسان) .

والواقع أن معركة الشـماتة والنكاية التي بدأتها عمان لم تعد معركة جانبية، فقد تحولت الأبصـار عن العدوان الإسـرائيلي، وتركزت على الخلافات العربية، ولم يجد الرئيس الاتاسـي بدا من أن يغتنم مناسـبة الذكرى العشـرين لجلاء القوات الفرنسية عن سورية (17نيسان) ليعلن أن سورية مصممة على منع إسـرائيل من احتلال أراضـي المنطقة المجردة من السـلاح، مهما بلغت التضحيات .. وأن قضية فلسطين هي قضية سورية المصيرية، وأن أسلوب

سـوريا في تحريرها هو حرب التحرير الشـعبية .. وأن تأييد الحكم الرجعي القائم في السـعودية والأردن بعد معركة 7 نيسـان لم يكن إلا محاولة مكشـوفة لخداع الجماهير العربية وتغطية تعاونهم مع الاسـتعمار والصـهيونية .. وأن الحكم العميل في الأردن أعلن عن تعبئة قواته، ولكنه حشدها على الحدود السورية بدلا من حشدها لمواجهة إسرائيل .. وأن الأردن سمح للطائرات الإسرائيلية بالتحليق عبر الأجواء الأردنية للاشـتباك مع الطائرات السـورية ..وأنه لا يرجى خير من تونس والمغرب ومؤتمرات القمة والحلف الإسلامي ..).

وحول هذه المعاني ذاتها خطب رئيس الوزراء السـوري الدكتور يوسـف زعين في مؤتمر الاتحاد الوطني بطلبة سـورية فقال (إن سـوريا تتوقع عدوانا إسرائيليا استعماريا رجعيا عليها في أية ساعة .. وإن معركة السابع من نيسان قد كشـفت بكل وضـوح التنسـيق الإعلامي وغير الإعلامي بين الصـهيونية والاستعمار والرجعية العربية ..وإن الاستعمار قد عهد إلى الملك حسين باللعب بورقة تقوم على تغيير الأوضـاع العربية ,وقلب أنظمة الحكم العربية التحريرية في المنطقة، ولكن الشعب العربي فضح هذه اللعبة وسيسحقها، وإن الأردن قد حشد جيوشه على الحدود السورية، وهل من يريد تحرير فلسطين يقوم بحشد جيوشه على حدود سورية) ومضى الدكتور زعين في خطابه يقول (إن حرب التحرير الشعبية هي السبيل الأكيد لتحرير فلسطين من الاغتصاب الصهيوني، وان التفوق الإسـرائيلي المزعوم، أسـطورة لا يمكن ان تجوز علينا، وحتى تسليحها بالأسلحة غير التقليدية وحتى الذرية منها، فإننا سنواصل طريق حرب التحرير الشعبية) .

كنت استمع إلى هذه العبارات النارية في الإذاعة السورية تصدر عن الرئيس الأول والرئيس الثاني، وأنا اقدر أن مباحثات الوفدين المصريين العسكري والسياسي ستفضي إلى نتيجة إيجابية، وقد عاد الوفدان بعد أن قضيا بضعة أيام في مباحثات مستفيضة، وصدر البلاغ المشترك في القاهرة ودمشق ليعلن تأكيد العزم على تنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك المعقودة بين البلدين، وأن القاهرة ودمشق كانتا على اتصال مستمر خلال وبعد معركة السابع من نيسان .. وأن وفد الجمهورية العربية المتحدة يحيي صمود سورية الحازم الذي حطم العدوان الإسرائيلي، وان القومية العربية تواجه مؤامرة التحالف بين الاستعمار والصهيونية والأردن والسعودية .. وان السبيل الوحيد للتصدي لجميع مخططات الاستعمار وإحباطها وسحق التحركات الصهيونية والرجعية هي بالمزيد من تعميق اللقاء بين القوى التقدمية العربية، وفي تفجير طاقات الجماهير غير المحدودة في سائر أرجاء الوطن العربي) .. واختتم البيان معلنا (بأن الجانبين يؤكدان تصميمهما على التصدي المشترك لإسرائيل، واعتبار معركة الشعب العربي مع إسرائيل والصهيونية معركة واحدة ...) .

وقد أحسست وأنا اقرأ البلاغ المشترك، أن الاتفاق لم يتم بين الجانبين على الأمور الأساسية، وأنها حجبت تحت سحابة من التعابير البعثية، فسارعت إلى السيد محمود صدقي سليمان رئيس الوزراء ورئيس الوفد استجلى منه حقيقة الموقف .. وكان معه قائد القوات الجوية، فقال :

– لقد دعوت الفريق محمود صدقي قائد القوات الجوية لتسمع منه مباشرة .. لقد كانت زيارتنا نافعة من ناحية سياسية ومعنوية .. لقد أحبطنا

المحاولات الرجعية التي كانت ترمي لبذر بذور الشـــقاق بيننا وبين ســـورية .. ولكن من الناحية العسكرية لم يكن لمباحثاتنا نتائج حاسمة ..

وتناول الحديث الفريق محمود صـــدقي فقال إن الموقف العســكري في سـوريا يحتاج إلى دعم جوي . . لقد عرضـنا على إخواننا السـوريين اسـتعدادنا لإرســال عدد من أســرابنا إلى ســوريا ..وهذا الأمر يتطلب أن تكون لنا قاعدة جوية على الأرض السورية .. ومع الأسف لم يوافق إخواننا السوريون على ذلك .. لقد اتفقنا على إنشـاء لجان عسـكرية دائمة لوضــع الخطط اللازمة لمواجهة مختلف الاحتمالات، ولكن ذلك لا يجدي .. إن طائراتنا لا تســتطيع أن تســند سوريا من قواعدنا في مصر.. يجب أن تكون لنا قاعدة في سوريا ... وسوريا لا توافق على ذلك . .

وقال رئيس الوزراء السيد محمود صدقي سليمان :على كل حال .. لقد تركنا الباب مفتوحا، وطلبنا إلى الحكومة السورية أن يأتي وفد على مستوى عال لاستكمال البحث في هذا الموضوع، عسى أن نجد صيغة ملائمة تفي بالغرض ..

قلت : هذا هو الفرق بيننا وبين إسرائيل .. إسرائيل عندها خطة واحدة تنفذها في اللحظة الحاســـمة ..ونحن نواجه اللحظة الحاســـمة من غير خطة واحدة، ولا قيادة واحدة .. واســـتأنفت حديثي وقلت لرئيس الوزراء : لقد عملت سـنين في الإشـراف على بناء السد العالي، وأنت توافق معي من غير شـك أن العمل الإنشـــائي الإيجابي وحده هو الذي يلفت انتباه الرأي العام العالمي ..لقد زرت المنطقة المجردة من السـلاح على الحدود السـورية .. إن إخواننا السـوريين على مدى خمســة عشــر عاما وهم يضــربون الجرارات اليهودية بالمدافع كلما

اقتربت من الأرض العربية، وهذا عمل وطني سليم من غير شك .. ولكن هنالك ما هو أعظم من ذلك..

قال : وما هو أعظم من ذلك ؟

قلت : الخطة الصـــحيحة أن يزود الجيش الســوري المزارعين العرب بالجرارات ليفلحوا أراضيهم ولتتقدم المدفعية الإسرائيلية بضربهم .. وحينئذ نحقق غرضيين :نحفظ الأراضي العربية، ويسمع العالم أن إسرائيل تضرب المحاريث العربية بالمدافع والصواريخ ..

قال : هذا صــحيح .. نحن العرب ما زلنا نركز على الأمور الســلبية، ونتجنب الخطط الإيجابية ولكن هل اقترحت شيئا من ذلك على سوريا ؟..

قلت : بالتأكيد ومرارا .. منذ عهد الرئيس الشـيشـكلي إلى عهد الرئيس الاتاسي، وأنا ألح على المسئولين السوريين عسكريين ومدنيين أن يضعوا مثل هذه الخطة ويعملوا على تنفيذها .. ولكن شـــيئا من ذلك لم يقع، واســـتمرت إسرائيل تقول للعالم إن سوريا تضرب مشروعاتها الإنشائية، وتقصف مستعمراتها الزراعية، وتقتل الفلاحين اليهود العزل .. وما إلى ذلك من الدعاوى الزائفة ..

وانتهى الحديث بيني وبين رئيس وزراء الجمهورية العربية المتحدة، ليبدأ لي حديث أهم وأخطر مع الفريق على عامر القائد العام للقيادة العربية الموحدة ..بعد ذلك ببضعة أيام . .

كنا نتبادل الزيارات أنا والفريق عامر منذ مؤتمر القمة العربي الأول الذي انعقد في القاهرة في كانون الثاني من عام 1964..[1]..ونشـــأت بيننا

---

[1] **من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء**، مصدر سابق .

صداقة وثقت عراها مصاعبنا المشتركة مع الملوك والرؤساء، فقد ارتبطنا كلانا مع مؤتمرات القمة منذ البداية، هو يعمل من جانبه لتنسيق الخطط العربية العسكرية، وأنا أعمل من جانبي على إنشاء الكيان الفلسطيني وجيش التحرير الفلسطيني .

ولم ينقضِ أسبوع إلا وأتلاقى مع الفريق عامر، في مكتبه بمصر الجديدة، أو مكتبي في الدقي بالقاهرة، أو في الطائرة في طريقنا للاشتراك في عيد الجيش العراقي في بغداد، أو أعياد الجلاء في دمشق، أو في قاعة الجامعة العربية لحضور البلاء المشترك الذي سمي مجلس الدفاع المشترك!!

والتقينا هذه المرة في بيته .. ذلك أن الفريق عامر اتصل بي يقترح على أن نلتقي في مكتبه أو مكتبي .. وقلت : أريد أن أزورك في البيت .. فان التلفون في مكتبك ومكتبي لا يترك لنا فرصة للحديث الهادئ ..

وهكذا تم الاتفاق ..

وكانت جلسة طويلة طويلة، تشاكينا وتشاكينا .. فقد انقضى علينا إلى ذلك الوقت قريبا من ثلاثة أعوام والحكومة العربية تغمرنا بالوعود من غير إنجاز، وبالقرارات من غير تنفيذ .. وفاجأني الفريق عامر وهو يقول :

- ما رأيك يا سيدي الأخ .. أن نستقيل معا .. ؟

قلت :أنا موافق على ذلك.. ولكني اقترح أن نقدم استقالتنا إلى مجلس الدفاع المشترك الذي سيجتمع بعد ثلاثة أشهر (تموز 1967)، وان نعلن استقالتنا إلى الأمة العربية وأن نشرح أسبابها في مؤتمر صحفي .

قال :أنا رجل عسكري، لا اشترك في مؤتمر صحفي.. وأنت تملك الحرية أن تقول ما تريد ... واستأنف الفريق عامر حديثه متسائلا .. : ما هي آخر المعلومات التي وصلتك عن العدوان الإسرائيلي الأخير على سوريا ..

قلت : لم يصلني جديد، ولا بد أنك اجتمعت بوفد الجمهورية العربية المتحدة بعد عودته من دمشق .. ويبدو أن الموقف سلبي .. وهل وصلك شيء جديد ؟؟

قال : (غاضبا) يا أخي .. هؤلاء السوريون أمرهم عجيب .. هل تدري أنه لم يصل إلى القيادة الموحدة من دمشق أي تقرير عن العدوان الإسرائيلي منذ أن وقع إلى يومنا هذا .. إن سوريا لم تعد تعترف بالقيادة العربية الموحدة .. إنها لا تتصل بنا إطلاقا .. طبعا الأردن قاطعنا منذ بضعة أسابيع ..ربما انه يقلد سوريا ..

قلت : أرى ان تبرق لوزارة الدفاع السورية تطلب تقريرا مفصلا، أو أن يأتيك ضابط كبير من الجيش السوري .

قال : إن كرامة القيادة العربية الموحدة تأبى علي ذلك .إن الجيش السوري يجب أن يعرف واجبه تجاه القيادة العربية الموحدة ..

قلت: لقد عقد اللواء أحمد سويداني رئيس أركان حرب الجيش السوري مؤتمرا صحفيا (4/20/ 67) شرح فيه ظروف العدوان الإسرائيلي وقد لفت نظري فيه شيئان : الأول : أنه قال إن القواعد الجوية في سورية تفوق طاقة مسرح العمليات السوري، ولا داعي للسماح للسلاح المصري بإقامة قاعدة جوية في سورية، والثاني، أن الأردن سمح بمرور الطائرات الإسرائيلية عبر أجوائه لضرب المواقع السورية ولم يخبر السلطات السورية بمرور هذه الطائرات ..

قال : هذا كلام غير صحيح إطلاقا..لقد أخبرت إخواننا السوريين عدة مرات أن سلاح الجو السوري يجب أن يعزز تعزيزا كبيرا حتى يستطيع الصمود أمام سلاح الجو الإسرائيلي، أو أن يسمح للمقاتلات المصرية بان تتمركز في سوريا .. ولكن رئيس الأركان السوري اللواء فهد الشاعر، كان يريد أن (يصارعني) بدلا من أن يستمع إلى توجيهاتي ..وها قد رأينا أن سلاح الجو الإسرائيلي وصل أخيرا إلى سماء دمشق .. وبالنتيجة فانهم يلقون العبء على القيادة العربية الموحدة ... أما بالنسبة لموضوع الأردن فليست عندي معلومات ..

قلت : أرى أن ترسل اللواء عبد المنعم رياض إلى دمشق للتفاهم مع القيادة السورية ..

قال : (وكأنما قذائف صاروخية تتفجر من صدره) يا أخي .. يا أخي .. وماذا يستطيع عبد المنعم رياض أو غيره أن يفعل مع إخواننا السوريين ..منذ أنشئت القيادة العربية الموحدة وأنا في اجتماعات متوالية مع كبار المسئولين العسكريين السوريين .. لقد تقابلنا هنا في القاهرة وتقابلنا في دمشق، ولم تجد هذه الاجتماعات ... وأصبحت أخشى أن ننجر إلى كارثة أكبر من كارثة عام 1948..

وواصل الفريق عامر حديثه الغاضب، وهو يقول :يا أخي، كم مرة ناشدت إخواننا السوريين ان لا يستفزوا إسرائيل .. إنهم يعرفون أننا لم نستكمل استعداداتنا العسكرية .. إنهم يعرفون أننا يجب أن نختار زمان المعركة وميدانها .. لقد كررنا هذا الكلام آخر مرة في اجتماع القمة بالدار البيضاء .. ومع هذا فان إخواننا السوريين ماضون في استفزاز إسرائيل .. إنهم يقصفون المستعمرات

الإسـرائيلية .. انهم يرسـلون جماعات (فتح) لنسـف عبارة أو وضـع لغم على الطريق .. وهذا كله ضرر ينعكس على استعداداتنا العسكرية .. أنا والله أخشى ان تباغتنا إسرائيل بحرب غادرة، ونحن لم نستكمل خططنا العسكرية .

قلت : كل هذا يدعوني أن اكرر اقتراحي بأن توفد اللواء عبد المنعم رياض إلى دمشق لمعاودة البحث في هذه الأمور ... ثم إن شباب فتح وطنيون مخلصون ويمكن التفاهم معهم ..

قلت : كل هذا يدعوني أن أكرر اقتراحي بأن توفد اللواء عبد المنعم رياض في شـهر يوليو(تموز) وسـأحدد مطالبي بصـورة نهائية..سـأطلب إلى الأردن أن يوافق فورا على دخول القوات العراقية، والسعودية مع تطبيق التجنيد الإجباري .. وسـأطلب إلى سـوريا أن توقف جماعة (فتح) عن نشـاطها، وأن يتجنب الجيش السـوري اسـتفزاز إسـرائيل .. وسـأطلب من الدول العربية الوفاء بالتزاماتها المختلفة..فان اسـتجابوا في تلك الجلسـة فأنا مسـتعد أن أواصـل واجباتي، وان لم يوافقوا فسـأقدم اسـتقالتي، وأعود إلى بيتي، وأنا أدعو الله أن يبعدنا عن الكارثة التي تنتظرنا..

قلت : بقي عندي سـؤال أريد أن أسـمع رأيك العسـكري فيه .. قال : ما هو .. إذا كان يتعلق بجيش التحرير ونشـاطه ..إن مشـكلتك ليسـت معي إن مشـكلتك مع الأردن .. والأمر مرهون بموافقة الملك حسـين ..وأنا لا أملك أن افرض عليها شيئا، كفاني المشاكل العربية الأخرى .. كفاني أن مصـر وسـوريا قد وقعتا أخيرا على معاهدة الدفاع المشـترك ..وأنا لا أعلم بها..ولا ادري لها سببا، ونحن عندنا معاهدة الدفاع المشترك التي تضم الدول العربية جميعا ..

قلت : ليس هذا قصـــدي ..أنا أعرف هذه الأمور ..ولكني أريد أن أعرف رأيك في شعار الحرب الشعبية الذي تطرحه سوريا على الدوام ..

قال : يا أخي ..ليس السائل بأدرى من المسئول ..نحن لم نتفق على الحرب الشعبية .. هذا كلام انفردت به سوريا .. إن الحرب الشعبية هي نضال الشعب الذي لا يملك جيشا نظاميا وليست له دولة .. حروب الاستقلال هي حروب شعبية .. أما الدولة فإنها تحارب حربا شاملة بالجيش والشعب معا .. أنا لا أفهم شعار الحرب الشعبية الذي تطرحه سوريا .. وقد قلت لإخواننا السوريين أكثر من مرة لا علاقة لهذا الموضوع بخططنا العسكرية..ولكن ..لا حياة لمن تنادي .. يا أخي .. يا أخي .. والله إذا استمر هذا الحال فنحن سائرون إلى الكارثة .. نسأل الله أن يجعل لنا من امرنا مخرجا .. وانتهت الجلسة بيننا على هذا النحو، عند هذا الدعاء إلى الله بان يجنب الأمة العربية موارد الهلاك..وكانت جلسة تاريخية حقا، بل أصبحت جلسة تاريخية بعد أن وقعنا في حرب الأيام الستة ..

وعدت إلى بيتي، والى فراشي، لاستيقظ في اليوم الثاني على شهر نيسان وقد أشرف على النهاية، وليشرف شهر أيار على البداية، ومخاوف الفريق عامر تصبح مخاوفي، فأردد معه النذير تلو النذير كلما لاحت الفرصة مع هذا الملك أو ذاك الرئيس ..

وكان شهر أيار شهر النذر، لو كانت تنفع النذر .. (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) صدق الله العظيم .

ـــــــــــــــــ سوريا ترفض قاعدة جوية مصرية

في النصــف الأول من شــهر أيار من عام 1967 كنت في عاصــمة الأمويين، وفي فندق أمية بالذات .. وما أحسب أني في حاجة أن أقول للمواطن العري لماذا أنا في دمشــق .. ذلك أن قضـــية فلســطين كالهواء في كل مكان وزمان، وهي في كل عاصمة عربية بمشاكلها ومتاعبها .. ولنا في دمشق زهاء مائتي ألف فلسطيني من النازحين، وسبعة آلاف ن جيش التحرير ... ولهؤلاء وأولئك مع حزب البعث، لا مع الشعب السوري الباسل، مشاكل ومتاعب ...

وكانت دمشق في تلك الأيام تعيش في (مناخين) مختلفين متباينين .. فقد كانت دمشـــق الطبيعة تختال في عرس الربيع تحف بها بســـمات الغوطة العطرة، وكانت دمشق الدولة تفور بالأحداث الساخنة، تتمخض كالحامل تنتظر الولادة والوليد، وكأنما قال الشاعر ما قال، من أجل دمشق في تلك الأيام .. :

والليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيب

وليالي دمشـــق، في تلك الحقبة من الزمان، كانت حبالى بالأحداث المثيرة، وكأنما كانت على موعد مع عاصــمة بني أمية لأعيش في خضــم تلك الأحداث، دون أن أدري، بل دون أن يدري أي إنســـان من ملايين الأمة العربية، أنه بعد شهر واحد على الضبط والتحديد ستقع حرب حزيران المشئومة،

وستقع معها الهزيمة الكبرى التي ما زلنا نرزح تحت أنقاضها، وصدورنا مملوءة بدخانها وغبارها، ووطننا مشحون بعارها .

وكان العمل الفدائي في سوريا ومن سوريا، هو محور هذه الأحداث على الصعيدين العربي والدولي سواء بسواء .. فعلى الصعيد الدولي كانت إسرائيل، ما وسع جهدها وطاقاتها الإعلامية تهّول في مخاطر العمل الفدائي على أمن الوطن الإسرائيلي وحياته اليومية، وهي بذلك تريد أن (تهيج) الهجرة اليهودية إلى إسرائيل، هجرة المال والسلاح والبشر .. كما كان البعث، الحزب الحاكم في سوريا، يفاخر بالعمل الفدائي، على الصعيد العربي، (ويزايد) على الحكومات العربية بأسرها وفي مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة .. وعلى شخص الرئيس عبد الناصر بالذات ..

وقد التقيت مع قادة حزب البعث العسكريين والسياسيين، وخضت معهم في أحاديث مطولة حول شعاراته الثلاثة :حرب التحرير الشعبية والعمل الفدائي الفلسطيني، ولقاء القوى التقدمية الثورية .. وخلصت من هذه الأحاديث الى أن حزب البعث في سوريا يطرح هذه الشعارات الثلاثة وهو مكبل بأغلال ثلاثة : إخلاص بلا عقل .. والتزام من غير انفتاح .. وحماسة من غير اتزان..

وقد تجلى ذلك أكثر ما تجلى في الخطب الرسمية التي ألقاها كبار المسئولين في الدولة في تلك الفترة الخطيرة .. فقد أكد الدكتور نور الدين الاتاسي رئيس الدولة السورية في احتفالات الذكري العشرين لجلاء القوات الفرنسية عن سوريا أن (أسلوب سوريا في تحرير فلسطين هو أسلوب الحرب الشعبية .. وأن سوريا لا يمكن إلا أن تكون مع الفدائيين وأن طلائع الفدائيين لن تثنيها حكومات وهمية ولا حكومات عميلة تتآمر ضدها ..) ثم حمل

الدكتور الاتاسي في خطابه بالجملة، على الأردن، والسعودية، وتونس، والمغرب، ولبنان، ومؤتمر القمة، وميثاق التضامن العربي، والحلف الإسلامي .. وقد أطلق الدكتور الاتاسي كذلك طلقات حامية من كلماته على الأسطول السادس الأمريكي الذي كان يمخر بمحاذاة شواطئ البحر الأبيض المتوسط، في تلك الأيام الثائرة المثيرة . .

وخطب الدكتور يوسف زعين رئيس الوزارة السورية في حفل افتتاح المؤتمر الثالث للاتحاد الوطني لطلبة سورية فأعلن (أن سورية تتوقع عدوانا إسرائيليا استعماريا في أية ساعة، وأن سوريا مستعدة للرد على العدوان بأسلوب قوي وحازم .. وأن حرب التحرير الشعبية هي السبيل الأكيد لتحرير فلسطين .. وأن التفوق الإسرائيلي المزعوم أسطورة لا يمكن ان تجوز علينا .. حتى لو افترضنا أن الاستعمار سيمضي في تزويد إسرائيل بالأسلحة الذرية فإننا سنواصل طريق الحرب الشعبية ..) !!

ونزلت (الحرب الشعبية) من الخطب الرسمية إلى الشارع .. فقد كنت أقف على شرفة غرفتي كل صباح لأرى كتائب جيش التحرير الشعبي تتجمع في ميادين العاصمة، ثم تسير في الشوارع بموسيقاها العسكرية، والأطفال يهرولون حولها، والنساء يزغردن من ورائها ..هذا بالإضافة إلى المسيرات الشعبية التي تحمل اللافتات وقد كتب عليها شعارات الحرب الشعبية .. وما أرخص الحبر والقماش فالأول موفور، والثاني ميسور !!

وتعاقبت الأعمال الفدائية، وهي تحمل في بطولاتها وبسالتها أصالة الأمة العربية في الشجاعة، وعراقتها في البذل والفداء ... ولكن .. ولكن دون

أن يكون لها ظهر عسكري يحميها على صعيد العمل العربي الرسمي، كانت الإذاعة هي الظهير الوحيد ..

وطفحت صحف دمشق بأخبار العمل الفدائي وبلاغاته ... وكنت أفتح غرفتي كل صباح لأجد تحت الباب الصحف البعثية، وليس في دمشق غيرها، وهي تحمل العناوين الضخمة عن الأعمال الفدائية، وكأنما حزب البعث يبارز الدول العربية بأسرها .. ويصيح :هذه هي أعمالنا .. فما هي أعمالكم ... الفدائيون منا، سلاحهم منا، تدريبهم عندنا، منطلقهم أرضنا.. فماذا أنتم فاعلون ؟؟

وفتحت ملفا جمعت فيه بلاغات الأعمال الفدائية كما نشرتها صحف دمشق في تلك الأيام العصيبة، وأرى لزاما علي أن أنشرها موجزة، فان تواريخها تقترب يوما بعد يوم من اليوم الأغبر .. الخامس من حزيران ...

في 3 أيار اصطدمت قوة من (العاصفة) أثناء توجهها إلى أهدافها في المنطقة الشمالية الغربية من الأراض المحتلة بقوة إسرائيلية، ونشب اشتباك آخر حوالي نصف ساعة استعملت فيه الأسلحة الرشاشة والقنابل اليدوية واستطاعت القوة الفدائية خرق طوق حاول الإسرائيليون أحكامه حولها وعادت إلى قواعدها سالمة ..

في 4 أيار .. قوة من فدائيي العاصفة قامت بنسف عبارة المياه على طريق دير نخاس _ بيت جبرين، وأدى الانفجار إلى تدمير العبارة وقطع الطريق .. وقوة من المجموعة 74 من قوات العاصفة نصبت كمينا لسيارات الدوريات العسكرية الإسرائيلية على طريق بئر السبع فأصلتها بوابل من

الرصــاص والقنابل اليدوية، ونتج عن هذه العملية إعطاب السـيارة وقتل من فهيا وقد غنمت القوة الفدائية رشاشا وعادت إلى قواعدها سالمة ..

في 5 أيار .. قامت قوة من قوات العاصـــفة (المجموعة 14) بوضـــع لغمين على الطريق المؤدي إلى كفر برغم شـــمال الأرض المحتلة فانفجر أحد اللغمين تحت شاحنة عسكرية وقتل سائقها وجندي كان إلى جواره ..

في 6 أيار .. اشــتبكت وحدة مدفعية الهاون التابعة للمجموعة 27 من قوات العاصـفة بقوة إسرائيلية شـمال غرب مسـتعمرة جلعادي، وكسـرت الحصـار الذي ضـربه العدو حولها مسـتخدمة في ذلك القنابل اليدوية والرشـاشـات وقنابل الهاون ... وقامت وحدة مدفعية مورتر تابعة لقوات العاصـــفة بالهجوم على مســتعمرة المنارة القريبة من الحدود اللبنانية فأوقعت إصـــابات ببعض الأبنية العسـكرية في المسـتعمرة، واسـتطاعت القوة الفدائية الإفلات من الحصـار، وقد شوهدت سيارات الإسعاف تنقل المصابين الإسرائيليين .

في 8 أيار.. قامت منظمة (أبطال العودة) بعملية اسـتكشـاف فتوغلوا في منطقة طبريا الداخلية وشـاهدوا تحشـدات ضـخمة على طول خطوط إسرائيل .

في 9 أيار .. قامت مجموعة من فدائيي فرقة الشـيخ عز الدين القسـام التابعة (لجبهة تحرير فلســطين) بتنفيذ عملية كمين لســيارات باص كبيرة تقل ضــابط معســكرات الحولة وذلك على طريق الجاعونة – طبريا فدمرت الباص بالمتفجرات ثم انقضـت على حطامه بالرشـاشـات، وتقدر خسـائر الإسـرائيليين ما بين 35 – 40 قتيلا، وتركت المجموعة منشورات بالعبرية في مكان الحادث .

في 13 أيار ... قامت مجموعة فدائية تابعة لــ (جبهة تحرير فلسطين) بوضع حشوة متفجرة في سينما رويال في حيفا فأدى الانفجار إلى تحطيم دار السينما وقتل وجرح ما يزيد على مئة من الإسرائيليين ..وقامت مجموعة أخرى تابعة للجبهة بوضع حشوة متفجرة في سيارة ركاب تابعة لشركة ايجيد متوجهة من حيفا إلى تل أبيب فانفجرت الحشوة قريبا من ناثانيا وقتل وجرح مالا يقل عن أربعين من الإسرائيليين ..

وهكذا وهكذا من البلاغات الصادرة عن مختلف المنظمات الفدائية ..

وجاءني قادة الفدائيين من منظمات فتح وأبطال العودة وجبهة تحرير فلسطين، وفدا، بعد وفد، والتقينا في جلسات (مقفلة) على حد تعبير الجامعة العربية .. وكان الحوار عن الأعمال الفدائية والبلاغات العسكرية ..

قالوا : لا بد أنك تقرأ بلاغاتنا العسكرية، فما رأيك في أعمالنا الفدائية.. ؟

قلت : إني فخور برجالنا الأبطال، وهذه هي شجاعة شعبنا الأصيل .. ولكن ..

قالوا : ولكن ماذا ؟ هل هناك من خطأ ؟

قلت : نعم .. هنالك خطأ جسيم لابد أن ينشأ عنه خطر كبير إذا لم نأخذه بالجد والعزيمة ..

قالوا : خيرا إن شاء الله ..وهل الأعمال الفدائية خطأ وخطر ؟

قلت : حاشى لله أن تكون الأعمال الفدائية موضوع تجريح . . ولكني أريد أن نوحد المنظمات الفدائية .. وان نوحد كذلك جميع المنظمات السياسية

..إني أخاف على العمل الفدائي من الفرقة .. وإن منظمة التحرير مستعدة أن تضع كل امكانياتها بين أيديكم ..

قالوا : وكيف تقترح أن يتم التوحيد ..

قلت : هنالك طرق متعددة .. يكفينا منها واحدة مارسها عدونا في أواخر الانتداب البريطاني، لقد كانت لليهود في فلسطين ثلاث منظمات إرهابية – شترن – زفاي لومي – بالماخ، بالإضافة إلى الهاجاناه – وكلها كانت تعمل في تنسيق تام تحت إشراف الوكالة اليهودية، حتى أن الوكالة اليهودية كثيرا ما كانت تستنكر بعض الأعمال الوحشية التي كانت تقوم بها المنظمات الإرهابية اليهودية .

قالوا : وكيف ترى أن يتم التنسيق ؟

قلت : منظمة التحرير أصبحت لها شرعية كاملة على الصعيدين العربي والدولي، وإني أرى أن تعمل المنظمات الفدائية تحت إشراف منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها المؤسسة الوطنية التي تمثل الشعب الفلسطيني بأسره .

قالوا : والمال .. والسلاح .. والخطط العسكرية .. ؟؟

قلت : المال ندبره لكم من الصندوق القومي الفلسطيني .. والسلاح فاني أحول إليكم ما يأتينا من جمهورية الصين أو أي مصدر آخر .. والخطة العسكرية فاني أرى أن يضعها مجلس عسكري أعلى يمثل جيش التحرير الفلسطيني والمنظمات الفدائية ..

قالوا : ولكن منظمة التحرير تابعة لمؤتمرات القمة، ولا يمكنكم التصرف بالأموال والسلاح إلا بموافقة الحكومات العربية ..وهذه لا توافق. .

قلت : عندنا مئة حيلة وحيلة، إذا وجدت الإرادة والعزيمة ... إذا وافقت المنظمات الفدائية على التوحيد فأنا أتكفل بإيجاد الصيغة المناسبة ..

وانتهت تلك الجلسة في إطار هذا الحوار على أن نستأنفه بعد بضعة أيام .. فقد طلب قادة المنظمات بعض الوقت للتشاور مع زملائهم (وقواعدهم).

والتقينا في جلسة أخرى، وكان القادة هذه المرة غير القادة الذين جاؤوا في الجلسة السابقة، ولا أبيح لنفسي أن أذكر أسماء السابقين أو اللاحقين، فقد كنا نتعاهد على الكتمان، وقد كادت مذكراتي ان تغريني بذكر أسمائهم، ولكن الوفاء فوق الإغراء ..

وبدأنا الحديث من جديد، لا من حيث انتهينا في الجلسة السابقة، وعدنا إلى موضوع توحيد المنظمات الفدائية تحت إشراف منظمة التحرير الفلسطينية .

قالوا :إن منظمة التحرير مؤسسة علنية في كل أعمالها ..ونحن منظمات سرية، فيكف سيكون التنسيق والتوحيد ؟

قلت : نلجأ إلى إنشاء مجلس ثورة سري، يكون أعضاؤه من قيادة المنظمة وقيادات المنظمات الأخرى وجيش التحرير .

قالوا :وكيف تكون النسبة العددية للمنظمات ؟

قلت : هذه عملية ثورية، وليست حكومية ائتلافية .. أرى أن تمثل كل منظمة برئيسها ..وكفى ..

قالوا : الحقيقة نحن لا نثق إلا بسوريا .. الحكومات العربية الأخرى تطاردنا وتضطهدنا ولا تنشر بلاغاتنا، ونحن نرى أن تمضي منظمة التحرير في طريقها، ونحن نمضي في طريقنا .

قلت : وما هو طريقكم ؟

قالوا : نحن نريد أن نورط الدول العربية . . نريد أن نجرهم إلى الحرب مع إسرائيل ..إن قضيتنا آخذة بالذوبان مع الزمن .. الحكومات العربية لا تريد أن تحارب وهي لا تستعد للحرب .. إن ضربنا لإسرائيل، وضرب إسرائيل للدول العربية هو الحافز الوحيد لأن تستعد الجيوش العربية ..لا بد لنا أن نورط الحكومات العربية .

قلت :أنا موافق على التوريط .. التوريط نافع إذا كانت الحكومات العربية قادرة وغير راغبة .. أما إذا كانت غير قادرة ولا راغبة فماذا تكون النتيجة ؟؟

قالوا : فيّ وفي أعدائك يا رب .. نحن نريد ان نورط الدول العربية..

قلت : لو أن التوريط يقتصر على ثلاثة عشر ملكا ورئيسا فلا ردهم الله ..ولكن التوريط سيشمل الأمة العربية بأسرها ..

قالوا : نحن نعتقد أن إسرائيل ستقوم بغارات انتقامية فقط، ولن تقوم بحرب شاملة، وبهذا تكون خطتنا سليمة ومجدية .

قلت :أنتم مخطئون ..إذا كان هذا هو اعتقادكم فانتم لا تعرفون الصهيونية وأطماعها ..إن إسرائيل لا تكتفي بالعدوان الذي تم، ولكنها تتطلع إلى التوسع، إلى المزيد من أرض فلسطين، ومن الأرض العربية ..

قالوا : لقد بدأنا أعمالنا الفدائية منذ بضـــعة أعوام، وقمنا بعدة أعمال داخل الأرض المحتلة .. وكل ما فعلته إسرائيل هو الغارات الانتقامية فقط ..

قلت : ان إسرائيل ستختار ميدان المعركة وزمانها ..وإني أريد أن أهمس في آذانكم حقيقة توصلت إليها في الاجتماعات العربية السرية وآخرها في مؤتمر الدار البيضاء .. إن الجيوش العربية غير قادرة على الدفاع، فضلا عن الهجوم .. ولقد رأيتم كيف أن إسرائيل قد ضربت مواقع التحويل في سوريا (7 نيسان) فلم تستطع الدول العربية أن تلقي قذيفة من الزهور على إسرائيل ..

قالوا : ولكن طاقات الأمة العربية ليست بهذا القدر من العجز ..

قلت : إن طاقات الأمة العربية قادرة على أن ترد لإســـرائيل الصـــاع صـــاعين لو .. لو أنها اجتمعت في قبضـــة واحدة..ولكن الأمة العربية شـــيء، والحكومات العربية شيء آخر.

قالوا : أنت تكلمنا كلاما دبلوماسيا ..

قلت :أنا أكلمكم كلاما قوميا في الصميم ..لقد قضيت عمري في الدفاع عن القضية الفلسطينية، ولكني أعرف الواقع العربي الممزق .

قالوا : الأمر يحتاج إلى تفكير ثوري .. وأنت متأثر بالتفكير السياسي..

قلت : أنا وطني أعرف، وأنتم وطنيون لا تعرفون .. وهذا هو الفرق بيننا .. أسال الله أن يهدينا جميعا ..

وعلى هذا الدعاء انتهى الحديث بيننا، ولم اكن احســـب أنه بعد شـــهر واحد من تلك الأحاديث ستجد إسرائيل فرصتها الذهبية للانقضاض على مصر والأردن وســـوريا، الواحد بعد الآخر، وتحتل الأرض العربية من القنال إلى الجولان ... ولقد كانت إسرائيل أسرع من حسابي ومخاوفي ..

أما موقف البعث، الحزب القائد، فقد عرفته من اللواء أحمد سويداني رئيس أركان الجيش السوري في حديث طويل جرى بيني وبينه في رياسة الأركان السورية .. وقد تشعب النقاش في كل موضوع والى كل اتجاه .. من مصاعب جيش التحرير الفلسطيني، إلى القيادة العربية الموحدة، إلى التنسيق مع الجمهورية العربية المتحدة، وغير ذلك من الأمور التي يفترض في رئيس الأركان في أي دولة أن يعرفها أكثر من وزير الدفاع، وربما من رئيس الدولة نفسه، حتى ولو كان ضابطا سابقا ..

وركزت في بداية الحديث على ضرورة التعاون العسكري التام بين القاهرة ودمشق باعتبار أن الجبهة السورية وفيها مرتفعات الجولان تؤلف منطلقا خطيرا على إسرائيل، وانتقلنا بعد ذلك إلى أهمية سلاح الجو في أية معركة تنشب بيننا وبين إسرائيل .. وقلت :

- الذي أعلمه أن وفد الجمهورية العربية المتحدة الذي جاءكم في الشهر الماضي

(نيسان) قد عرض تعزيز سوريا بأسراب من سلاح الجو المصري، وتكون لها قاعدة جوية على الأرض السورية، فماذا تم في الأمر ؟؟

قال : نحن لا نعترف بالحدود، أحب الحكام هذه الحقيقة أم لم يحبوا، إن سوريا مفتوحة لأي تعزيز عسكري يأتي من أي جانب عربي مخلص .. أما قاعدة جوية مصرية على الأرض السورية، لماذا ؟

قلت : أنت رجل عسكري .. أرجو ان لا تتكلم معي بلغة التصميم .. ثم أنه يجب ان ننزل من سماء الشعارات إلى أرض الحقائق .. هل القاهرة جانب عربي مخلص ؟. .

قال: نعم بالتأكيد، وإن بيننا اتفاقية الدفاع المشترك .

قلت : ولماذا تعارضــون في أن يكون لمصــر قاعدة جوية في ســورية ..وقد سمعت منك الآن الكلام الذي سمعته من البعث سنين طويلة، وهوأنكم لا تعترفون بالحدود ..

قال : الصحيح، إنه لا حاجة إلى إقامة قاعدة جوية لمصر على أرض ســـوريا، يوجد عندنا من القواعد الجوية في ســـوريا ما هو أكثر من حاجتنا بالنسبة إلى حجم بلادنا وحجم مسرح العمليات .

قلت : زيادة الخير خير.. في الشـــهر الماضـــي اقتحمت الطائرات الإســرائيلية ســماء دمشــق، ثم أن تعزيز ســلاحكم الجوي يمكنكم أن تضــربوا إسرائيل في سماء حيفا بالذات.. أليس كذلك..؟

قال : موضـوع إنشـاء قاعدة جوية مصـرية على الأرض السـورية ليس مســالة عســكرية فحســب، ولكن له اعتبارات أخرى، وقد بحثناها في القيادة القطرية، ورأينا إرجاءها في الوقت الحاضر..

ولم أسترسل أبعد من ذلك في هذا الموضوع، فقد أدركت أن الاعتبارات الأخرى التي أشـــار إليها رئيس الأركان الســـوري هي في الواقع تخوف حزب البعث من أن تكون القاعدة الجوية المصـــرية ظهيرا لأية حركة تقوم بها بعض عناصر الجيش السوري للعودة إلى الوحدة مع القاهرة ..

وهكذا (يفسـر) البعث شـعار الوحدة الذي نفذ من خلاله إلى الجماهير العربية .. والى طلائع الطلبة والشباب وصغار الضباط ..

وأنتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن القيادة العربية الموحدة، وأعربت له عن (شكاوى) الفريق على عامر من موقف سوريا السلبي، وأن المصلحة العربية تفرض الاستجابة لمطالب القيادة العربية الموحدة، وقلت :

– أرى ان تبرق إلى الفريق على عامر لإيفاد اللواء عبد المنعم رياض إلى دمشق للتفاهم، أو لإزالة سوء التفاهم على الأقل ..

قال : عبد المنعم رياض عسكري ممتاز .. ولكن القيادة العربية الموحدة لا .. أبدا ..

قلت : لماذا . ؟

قال : نحن نضع خططنا بالتعاون مع الجمهورية العربية المتحدة، وهذا يكفي ..

قلت : كلاكما على خطأ، سوريا والجمهورية العربية المتحدة ..

أما أن تعزلوا القيادة العربية الموحدة أو تتعاونوا معها .. أما أن تترك معلقة بين السماء والأرض فهذا لا يصح إطلاقا..

قال : لم يكن لهذه القيادة أي عمل إيجابي في الماضي، ولن يكون لها في المستقبل، إنها القيادة العربية المرحومة.. وهي بالنسبة لنا غير موضوعة بالحساب .. نحن نحضر اجتماع القيادة العربية الموحدة لمجرد الاستماع..ونحن لا نرسم أية خطة تعتمد على وجود القيادة العربية الموحدة، ونحن .. ونحن ..

قلت : سأعود إلى القاهرة بعد بضعة أيام، فهل من سبيل إلى (إعادة العلاقات) بينكم وبين القيادة العربية الموحدة ..هل أستطيع أن أؤدي خدمة في هذا السبيل ؟

قال : أرجو أن لا تتدخل في الأمر .. لقد كان آخر ما فعله الفريق على عامر أنه أرسل ينذرنا بأن لا نسمح للفدائيين بالانطلاق من الأرض السورية .. ونحن من جانبنا قد رفضنا هذا الإنذار .. إن الحزب تبنى العمل الفدائي، ولن نتراجع عن ذلك ولو أدى الأمر إلى احتلال دمشق .

قلت : وموضوع العمل الفدائي يمكن التفاهم عليه مع الفريق عامر .. إن الخطة التي جرى الاتفاق عليها في مؤتمر الدار البيضاء تتضمن(واجب) العمل الفدائي ..

قال : العمل الفدائي هو من اختصاص سوريا، ونحن لا نسمح لأحد بالتدخل فيه .. ونحن نريد من جيش التحرير الفلسطيني أن لا يكون جيشا كلاسيكيا، يستعرضه من يستعرضه ويخطب فيه من يخطب .. حبذا لو خلع جيش التحرير ملابسه العسكرية ولبس ملابس الفدائيين.

قلت : أظنك تعرض بي .. أنا وأنت كنا آخر من استعرض جيش التحرير الفلسطيني في درعا (سوريا) وآخر من خطب فيه، قبل ثلاثة اشهر .. وعلى كل حال .. فان جيشنا هو على أرضكم وتحت سيادتكم ..أصدروا إليه الأوامر ليخلع ملابسه العسكرية، ويلبس ملابس المغاوير، وينطلق بالإغارة على إسرائيل ..وهذا هو الميدان أمامكم ..

قلت : هذا في نبرة حادة ساخرة ..ووقفت لأنهي الحديث مع رئيس الأركان، بعد ان أيقنت أنه فاقد الأركان .. الأركان الخمسة : من البصر إلى الذوق .. (والذوق) أولا لا آخرا ..

ومن هذا الحديث العسكري بأجوائه المشحونة بالتشنج، اعتزمت أن أتولى بنفسي (تقدير الموقف) وهو المصطلح العسكري الذي يستخدمه العسكريون حينما يقفون على عتبات الحرب ... وبدأت أقضي بضعة ساعات في مكتب المنظمة في دمشق وساعات أخرى في دار وزارة الخارجية السورية لأطلع على التقارير السياسية والصحافية ..

وفي الحجرة نفسها التي كانت أجلس فيها في وزارة الخارجية السورية حين كنت رئيسا للوفد السوري (1957–1951) تكدست على طاولتي البرقيات الواردة من الأمم المتحدة وقصاصات الصحف العالمية، وبدأت أقرأ، وأدرس، وأحلل، وأستنتج ..

وكان الدكتور إبراهيم ماخوس، يعرج على مكتبي، كلما انتهى من اجتماعات الحزب، أو من لقائه مع سفراء الدول العظمى .. وسألني وأنا اقلب الملفات أمامي ..

قال : ما هو رأيك في الموقف .. الحمد لله الأمور طيبة جدا .. الأعمال الفدائية تتصاعد كل يوم وسنمضي في مساندتها إلى النهاية بالمال والرجال والسلاح .. المهم أن نجر الدول العربية إلى المعركة، ولا يجوز أن تبقى سوريا وحدها في الميدان .

قلت : وأنا كذلك حريص أن لا تبقى سوريا وحدها في المعركة .. ولكن هل نحن مستعدون هذا العام للمعركة، لقد كان الرئيس أمين الحافظ موجودا في اجتماع القمة في الدار البيضاء، واستمع إلى تقرير القائد على عامر، وإن الأمر يحتاج إلى مزيد من الوقت لاستكمال الاستعداد ..

قال : نحن لا نرد على الفريق عامر .. هذا خرفان .. إنه لا يؤمن بالحرب الشعبية ..

قلت : لماذا لم تناقشوه في المؤتمر.. ولماذا لم تطالبوا بتبديل هذا القائد الخرفان ..وعلى كل حال فان الحرب الشـــعبية تحتاج إلى وقت .. وهل أنتم مستعدون للحرب اليوم او غدا .؟؟

قال : إن إســـرائيل لا تجرؤ على الحرب اليوم ولا غدا .. إن أمريكا تمنعها من ذلك خوفا على مصـــالحها ..وإن روســيا ســتســاعدنا حفاظا على صداقتها معنا ..

قلت : هذا تقدير خطر وخطير .. إن أمريكا تنتظر الفرصـــة الملائمة لضرب القومية العربية .وإن روسيا تساعدنا، ولكن في حدود تتفق مع ظروفها الدولية.. وإنني أخشى أن تضربنا إسرائيل في الوقت الذي يلائمها ولا يلائمنا .. بل إنها تبحث عن الفرصة الأولى للهجوم علينا قبل أن نستكمل قدراتنا العسكرية .. وكل التعليقات التي أراها أمامي في هذا الملف تنبئ إن إســـرائيل تتحين الفرصة للهجوم .

وأخذت أقرأ على الوزير السوري ماخوس، وقد جر كرسيه إلى جانبي، وهو يثبت مسدسه في حزامه، ورحت أقلب القصاصات واحدة بعد الأخرى ... وأقرأ :

(ليفي اشــكول رئيس حكومة إســرائيل ووزير الدفاع خطب في المؤتمر الوطني لمنظمة الطلاب الإسرائيليين فهدد سوريا بصورة قاطعة حاسمة وأعلن أنه إذا كان أحد خلف الحدود يعتقد أن تفوقه الطوبوغرافي يضـــمن له حصـــانة يستطيع معها مهاجمتنا وانتهاك حرمة حدودنا دون ان يصله العقاب فهو يرتكب

خطأ فادحا، وأن رجال الجو الإســـرائيلي قد برهنوا لســـوريا وللعالم أجمع أننا نعرف كيف نحمي حقوقنا ونصون أرواح مواطنينا (4/26/ 1967) .

(ليفي اشـــكول رئيس حكومة إســـرائيل ووزير الدفاع ألقى خطابا في اجتماع لحزب الماباي قال فيه إنه قد يصــبح من الضــروري على إســرائيل أن تقوم بعمل ضـــد ســـورية لا يقل عنفا عن معركة 7 نيســـان، بالنظر إلى تزايد حوادث (التخريب) التي تنظر إليها الحكومة الإســـرائيلية على أنها بالغة الخطورة، وأن طبيعة العمليات (التخريبية) الأخيرة تدل على أنها وحدات فدائية سورية نظامية تقوم بهذه الأعمال ..) (12/ 5/ 1967) .

وذهبت وكالة اليونايتد برس إلى أبعد من ذلك فقد ذكرت(أن مصـــــدرا إسـرائيليا رفيعا قال انه إذا اسـتمرت سـوريا في دعم (عمليات التخريب) داخل إسـرائيل فان ذلك سـيسـتتبع بالضـرورة قيام إسـرائيل بعمل عسـكري لقلب نظام الحكم في سوريا .. وإن الخطوة الإسرائيلية ستكون ضربة قاصمة للنظام السوري ..وان إســـرائيل مســـتعدة للمخاطرة في مواجهة تدخل مصـــري إذا ما هوجمت سـوريا، رغما عن أن مصـر متورطة في اليمن وجنوب الجزيرة لدرجة لا تسـمح لها بتحمل مسئوليات جديدة (1967/5/12) .

وانتقلنا بعد ذلك إلى تقييم الموقف الدولي، وأخذ الوزير السـوري الدكتور إبراهيم ماخوس يشـــرح الخطوات التي اتخذها لتحذير الدول العظمي من مغبة الخطة التي تبنتها إسـرائيل، وأنه اسـتدعى سـفراء الدول والأعضــاء في مجلس الأمن المعتمدين في دمشق وحمــل حكوماتهم، وخصوصا الدول العظمي منهم، (مســئولية) أي اعتداء إســرائيلي يقع على ســوريا.. ثم أضـــاف أن الحكومة السـوفياتية كانت قد سـلمت إلى السـفير الإسـرائيلي في موسـكو رسـالة رسـمية

تحذر فيها إسرائيل من (مغبة السياسة) المليئة باحتمالات الخطر التي تتبعها إسرائيل تجاه الدول العربية .. وان إسرائيل تلعب بالنار في منطقة محاذية لحدود الاتحاد السوفيتي) . (1967/4/16) .

قلت للوزير الســـوري : إن تقييم الموقف، أي موقف دولي، يجب أن ننظر إليه من كل جوانبه ... يجب أن نتعرف عما تقوله إسرائيل في هذا الصدد، وعما تقوله أمريكا، فكلاهما يؤلف الطرف الآخر في المعركة ..وهو طرف واحد بذاته، لا ينفصل الواحد عن الآخر .

قال : وما هو موقف الطرف الآخر.

قلت : بالنســبة لإســرائيل، فقد ذكرت جريدة جروســالم بوســت وهي الجريدة الإســرائيلية شــبه الرســمية (67/4/26) أن التحذير الســوفيتي بان (إسرائيل تلعب بالنار في منطقة مجاورة للاتحاد السوفيتي، هو في نظر إسرائيل مجرد تصــــريحات روتينية) .. أما الولايات المتحدة فقد كان موقفها صــــريحا وصـــــارما، فقد أعلن هيوبرت همفري نائب رئيس الولايات المتحدة (67/5/9) موقفا أميركيا رســميا واضــحا، فقد ألقى خطابا في حفل غداء أقيم له بمناســبة منحه (جائزة الهستدروت الإنسانية) لعام 1967 أعرب فيه عن قلقه (للإرهاب الذي تتعرض له إسرائيل، وأن إسرائيل لا تحتاج إلى تحالف مكتوب مع الولايات المتحدة فهذا التحالف موجود روحا ..)

وفيما نحن (نغوص) في التعليل والتحليل، اندفع ســـكرتير الوزير السوري يدعوه إلى مكتبه لمكالمة تلفونية مع الدكتور جورج طعمة مندوب سوريا الدائم لدى الأمم المتحدة في نيويورك، فقفز الوزير الســوري وقفز معه مسـدسـه المشـــدود إلى وســـطه، وخرجت أنا بدوري من مكتبي إلى الفندق وأنا أدس في

جيبي بعض القصـــاصـــات التي كانت أمامي .. وكأنها التمائم التي يحملها الأطفال دفعا للأذى، وحماية من العين الشـــريرة، ومن يدري فقد تكون والدتي رحمها الله قد قلدتني مثل هذه التمائم في عنقي أيام طفولتي ..وها قد أصـــبحت قصاصات الصحف تمائي في رجولتي !!

وفي اليوم التالي (67-5-14) كنت أتناول الغذاء في مطعم الفندق وإذا بالفريق محمد فوزي رئيس هيئة القوات المســـلحة في الجمهورية العربية المتحدة يربت على كتفي وهو يقول أنت هنا... ؟ وقلت : وأنت هنا كمان ؟ !

وصعدنا إلى جناحه في الفندق، وحسبت أني سأجلس معه بعض الوقت وإذا به يعد حقيبته للعودة إلى القاهرة، وقد وصـــلها منذ ســـاعتين، وهاهو يعود الآن بعد أن انتهى من محادثاته مع اللواء حافظ الأســد وزير الدفاع الســوري، واللواء أحمد سويداني رئيس أركان الجيش السوري ..وقلت :

- خيرا أن شاء الله، وهل أنهيت محادثاتك بهذه السرعة ؟

قال (مازحا) : نحن عسكريون ..لا نحتاج إلى كلام كثير، يمكننا أن نتفاهم بسرعة ..وأنتم السياسيون الله يكون بعوننا عليكم .

قلت : وهل تفاهمتم ..هل اتفقتم على كل شــيء . . نحن الســياســيون عاطلون، هل اتفق العسكريون ؟

قال : لقد تفاهمنا على معظم الأمور ..وســـنترك باقي الأمور للقيادة السياسية ..

قلت : وموضوع إقامة قاعدة جوية مصرية على الأرض السورية .؟

قال : قريبا ســيصــل الدكتور نور الدين الاتاســي الى القاهرة لبحث هذا الموضوع .. فان القيادة السياسية لم توافق على هذا الموضوع بعد ..

قلت : لقد طال الحديث في هذا الموضـوع.. إن الأمور تسـير بسـرعة نحو الانفجار، وقد أدلى الأمين العام للأمم المتحدة يوثانت بالأمس (13-5-67) بتصـريح أعرب فيه عن قلقه الشديد للأنباء التي تفيد أن إسرائيل تنوي استخدام القوة ضد سورية.

وبدأت أخرج القصاصات من جيبي وأقرؤها إلى الفريق فوزي، وكانت آخر قصاصة تنقل تصريحا للجنرال اسحق رابين رئيس الأركان الإسرائيلي، يعلن فيه (أن أي عمل تقوم به إسرائيل ضد سوريا سيكون مختلفا عن أية أعمال انتقامية قامت بها القوات الإسرائيلية في الماضي) .

وتناول الفريق فوزي القصاصتين من يدي ووضعهما في جيبه، وودعني وانصرف إلى المطار ليستقل طائرته ويعود إلى القاهرة .

وتسللت إلى غرفتي، وأنا أحس بالوحشة والوحدة،فلم أستطع أن أفهم من الفريق فوزي شـيئا ..واندفع سـيل جارف من التسـاؤلات يتفجر في نفسي ...

هل وصل الموقف بيننا وبين إسرائيل إلى نقطة الانفجار ؟

هل تقدم إسرائيل على الحرب ؟

هل تكون حربا محدودة أم شاملة ؟

هل نحن مستعدون للحرب ؟

هل تحارب سوريا وهل يحارب الأردن، وهل يحارب العراق، وهل تساهم الدول العربية الأخرى في الحرب ؟ وبماذا ؟ وكيف ؟

هل تقف الولايات المتحدة مكتوفة اليدين إذا نشبت الحرب ؟

هل يكون لروسيا دور إيجابي فعال في الحرب ؟

هل نستخدم البترول كسلاح فعال في هذه المعركة ؟

كانت هذه الأسئلة وأمثالها تدور في رأسي ويدور رأسي معها، وفي طليعة هذه الأسـئلة كلها كان السـؤال الأكبر :وعبد الناصـر، العقل الهادئ .. والأعصـاب الباردة .. أعرف العرب بالدول العربية، وبإسـرائيل، وبأمريكا وروسيا..هل يدخل الحرب، هل هو قادر على الحرب ؟ أم انه يناور ويناور ولا يدخل الحرب ؟

لقد عشت تلك الساعة في جحيم هذه الأسئلة وأنا لا أدري لها جوابا .. وكان يتنازعني تعليلان جباران، ما ردان، عملاقان : أولهما أن إسـرائيل تعتزم الحرب، وثانيهما أن جمال عبد الناصـر لا يقدم على الحرب ..وكان عقلي ممزقا بين هذين التعليلين الجبارين الماردين العملاقين !!

كنت على يقين أن جمال عبد الناصر لن يحارب ولن يدفع الأمور إلى حافة الحرب ..فكم وكم أكد لي في لقاءاتنا الخاصـة أن مصـر والدول العربية معها لم يسـتكملوا اسـتعداداتهم ..وكم وكم أعلن في خطبة أمام الجماهير ان مأساة 1948 لن تتكرر ولن تتكرر أبدا .

انتابني الهم والغم، تماما كما انتاب الإمام الغزالي وهو ممزق بين الشك واليقين في كتابه (المنقذ من الظلال) وأعترف أني وقعت في وهدة الضياع في ذلك اليوم الرهيب .

وعزمت على أن أعود الى القاهرة لأنقذ نفسـي من هذه الأزمة الخانقة ..

وفي مسـاء ذلك اليوم كنت في القاهرة، في طريقي الى بيتي بعد ان غبت قرابة أسبوعين . . .

وصلت القاهرة، وأنا التمس الأمان ..الأمان من مخاوفي ..
وشفتاي تتمتمان بالآية الكريمة
(ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) صدق الله العظيم.

الخطوة الأولى على طريق الحرب

عدت إلى القاهرة من دمشق،وكان آخر عهدي بها منذ أسبوعين، يوم كان الرئيس عبد الناصر يخطب في شبرا الخيمة لمناسبة عيد العمال في أول مايو،ويشن أكبر حملة على (أبو رقيبة وفيصل والحسين) بالجملة والمفرق .. ولعلها كانت آخر مرة، تعرض فيها(للفرسان الثلاثة)، فقد جاءت حرب الأيام الستة، ثم جاء مؤتمر الخرطوم، وأعلن الرئيس عبد الناصر وقف إطلاق النار على جميع العواصم العربية، ما كان يعرف منها بالرجعية، وما كان يعرف بالتقديمة !!

وكان عبد الناصر في تلك المناسبة بالذات، أقسى ما عرفت وما سمعت .. وكانت كلماته تقطر حنقا ومرارة، ولعل القدر أوحى إليه أنه لن يستطيع ان يمسك بتلابيبهم بعد ذلك اليوم، فراح يصب جام غضبه، ويستغضب معه الجماهير العربية، ويصيح صيحته الأخيرة، وهو يقول (بو رقيبة أنا مش عايز أتكلم عليه، الراجل عيان ربنا يشفيه .. ربنا يشفي عقله كمان ... الملك فيصل والملك حسين بيشغلوهم الإنجليز والاميركان .. خلقوا عميل من العائلة الهاشمية وعميل من العائلة السعودية .. فيصل بيدي فلوس ليطبع بها كتب ضد جمال عبد الناصر وضد الثورة .. فيصل بيتكلم على الدين وقلبه ما في

دين .. إذاعة الملك حسين بتشتغل للمخابرات الأمريكية .. الملك حسين بيعيط هو وأمه ..كان فيه تضـــامن عربي 1948 لكن الملك عبد الله كان بيفاوض اليهود ..ازاي يكون فيه تضـــامن بين الثوار وعملاء الاســتعمار، جربناهم وما نفعتش التجربة .. وافتكرنا انه عندهم شـرف وضـمير .. لا عندهم شـرف ولا عندهم ضـــمير .. انهم ورثوا العمالة .. ورثوا الخيانة ..إســرائيل تقول إنها لا توافق على تغيير نظام الملك حسين ..).

والواقع أن الرئيس عبد الناصـر لم يكن متجنيا على الملك حسـين فيما أشـار إليه، فقد سبق أن صـرح ابا ايبان لمراسل مجلة جويش ابزرفر في القدس بأن (إســرائيل تحتفظ بحرية الحركة في حال تغيير الحال الراهنة في الأردن، سـواء دخلت الجيوش العربية أم لم تدخل) (1967/3/17) وهذا واحد فقط من التصريحات الإسرائيلية الكثيرة في هذا الصدد ..

أما بالنسـبة للملك فيصـل فقد لحقه خطاب الرئيس عبد الناصـر إلى أوروبا حيث بدأ زيارة رســمية إلى بعض الدول الغربية، وراحت المظاهرات المعادية من الطلاب العرب تسـتقبله حيثما حل، وراحت جريدة الأهرام بعناوينها الزاهية تنشـر أن (المظاهرات المعادية واجهت فيصـل في بدء زيارته لبريطانيا، وأن الطلبة العرب اسـتقبلوه في لندن بصـيحات الاسـتنكار، وهم يرفعون صـورا كبيرة للرئيس عبد الناصـر .. وأن مئات من القوات البريطانية تتبع سـيارة الملك فيصل مع عدد كبير من رجال الأمن، وأن فيصل ينسق خططه مع لندن ويعمل لحمل بريطانيا على الاحتفاظ بوجود عسكري في عدن ..) (1967/5/10) إلى آخر هذه الأنباء والتعليقات التي برعت فيها الأهرام، من غير منافس ..

أما الملك حسين فقد أخذ زمام المبادرة بنفسه، ولعله تعلم بعض البديهيات العسكرية البسيطة التي تقول إن الهجوم خير وسائل الدفاع،فقد اختار الهجوم على منظمة التحرير الفلسطينية، فأدلى بحديث إلى جريدة القدس الأردنية هاجم فيه منظمة التحرير الفلسطينية، وأكد فيه أن (منظمة التحرير) شارفت على نهايتها للأسباب التالية : -

1- محاولة الشقيري زعزعة الكيان الأردني ..
2- زج المنظمة في النزاعات الدولية والعربية، وانحيازها نحو المعسكر الثوري المزعوم، بل وتحولها إلى جهاز تابع للمخابرات المصرية .
3- تسخير أبناء المنظمة لأعمال التخريب في البلاد العربية، وفي فيتنام واليمن بدل إسرائيل .
4- انفراد الشقيري برأيه وخيانته لأهداف المنظمة .
5- تبذير أموال المنظمة في خدمة مطامع الشقيري الخاصة وسادته الثوريين العملاء للشيوعية الدولية، وربط الشقيري للمنظمة بالعجلة الماركسية على نمط أسياده (1967/5/7) .

ولقد أوردت هذه التعليقات والمقتبسات لأنها تمثل صورة صغيرة ومصغرة عن نوع العلاقات العامة التي كانت تسود مختلف الأطراف العربية لا في أعوام 1964 -1965-1966، بل في شهر مايو من عام 1967 .. أي حينما كانت الأمة العربية تقف على حافة الحرب لتقع فيما بعد إلى قاع الهزيمة .

ولقد جاءت الأحداث في النصف الثاني من هذا الشهر (مايو) لتحجب هذه الصورة العربية، لا لتمحوها .. فقد امتلأت الأجواء العربية بأنباء التوتر

على الحدود السورية، وما تلا ذلك من الحشود الإسرائيلية، وفوهات مدافعها مصوبة صوب الجولان ودمشق، فسكتت مدافع الإعلام العربي بعضها عن بعض، انتظارا لما يسفر عنه الصراع بين المدافع العربية والمدافع الإسرائيلية!!

وكنت كأنني على موعد مع هذه الأحداث، فغداة وصولي إلى القاهرة عائدا من دمشق (1967/5/15) كنت في طريقي إلى مكتب المنظمة، وإذا بي أرى جماهير الشعب على جنبات الطرق وفي الميادين العامة، تقف في صفوف طويلة لتصفق وتهتف لوحدات الجيش المصري، وهي تخترق شوارع القاهرة بمصفحاتها وآلياتها المختلفة، وهي تشق طريقها في اتجاه مناطق القتال..

وقد امتدت هذه المسيرة العسكرية الضخمة بضع ساعات تعطلت أثناءها حركة السير، والناس يحدث بعضهم بعضا أن الحرب مع إسرائيل وشيكة الوقوع .. وهذه سيارات الهلال الأحمر تتوسط المسيرة، بمن فيها من أطباء الجيش، والممرضين والممرضات ..

وقد زاد من يقين الشعب أن الحرب آتية لا ريب، ما طالعتهم به الصحف في صبيحة ذلك اليوم من عناوين حمراء لاهبة عن (احتمال انفجار الموقف في أي وقت على خطوط الهدنة بين سوريا وإسرائيل (وعن) الحشود الإسرائيلية التي تتجمع في مواجهة سوريا) وما إلى ذلك من الإنباء المثيرة .

وذهبت في ذلك اليوم إلى المبنى الفخم الأنيق في مصر الجديدة، الذي يحتوي وزارة الدفاع في الجمهورية العربية المتحدة، لالتقي مع المشير عبد الحكيم عامر وأبحث معه بعض الشئون المتصلة بوحداتنا العسكرية في قطاع غزة، فلم أستطع الاجتماع به، فقد كان الضباط يروحون ويغدون في ردهات الوزارة ومعابرها، والاجتماعات العسكرية على قدم وساق، من السيد شمس

الدين بدران وزير الحربية إلى السيد شعرواي جمعة وزير الداخلية، إلى الفريق فوزي رئيس الأركان، إلى .. إلى .. وكلهم يبحثون الخطط العامة وتدابير الدفاع المدني .. وعدت أدراجي دون أن التقي بأحد، إلا تحية عابرة من السيد شمس بدران .. وكلمة واحدة قالها :خلال اليومين القادمين إن شاء الله تتصل بسيادتك لمقابلة المشير عامر .

وقد أدركت في اليوم التالي (2967/5/16) لماذا لم استطع أن التقي بالمشير عبد الحكيم عامر .. فقد علمت أنه كان بالأمس يعقد اجتماعات متوالية في مقر القيادة المتقدمة للقوات الجوية في سيناء .. وأنه اتخذ القرار في تلك الاجتماعات بإعلان حالة الطوارئ في القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة ابتداء من الساعة السادسة صباحا، وأنها، حسب التعبير العسكري، أصبحت في حالة (الاستعداد القصوى) ..

ولم تخف صحف القاهرة، وهي صحف الدولة، سواء في عناوينها أو في مقالاتها (أن الجمهورية العربية المتحدة سوف تخوض المعركة ضد إسرائيل إذا تعرض الوطن السوري لعدوان يهدد أراضيه او سلامته) .

وجاء اليوم السابع عشر من شهر أيار .. وعلى المواطن العربي وهو يسير معي في ركاب الأحداث نحو حرب حزيران، أن لا ينسى هذا اليوم، فإنه مع يوم آخر سوف يأتي ذكره، سيكونان هما اللذان صنعا اليوم الرهيب، الخامس من حزيران .

في هذا اليوم وجه الفريق محمد فوزي رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة كتابا إلى الجنرال ريكي قائد قوات الطوارئ الدولية في غزة، ولست أريد أن ألخص هذا الكتاب، فهو جدير بأن ينزل في

مذكراتي بنصه الكامل، ذلك ان الإنسان العربي، المعاصر والمقبل، سيرى فيه أول وثيقة عربية في سجل حربنا الثالثة مع إسرائيل، بعد حرب 1948 وحرب العدوان الثلاثي في عام 1956..وهذا هو نص الكتاب ..

الجمهورية العربية المتحدة

القيادة العليا للقوات المسلحة

1967/5/16.

الجنرال ج . أ . ريكي، قائد قوات الطوارئ الدولية – غزة

أحيطكم علما أنني أصدرت تعليمات إلى جميع القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة لتكون مستعدة للعمل ضد إسرائيل فور قيامها بعمل عدواني ضد أي دولة عربية .

وتنفيذا لهذه التعليمات تجمعت قواتنا في سيناء على حدودنا الشرقية، ولضمان أمن قوات الطوارئ الدولية المتمركزة في نقط المراقبة على حدودها أطلب إصدار أوامركم بسحب هذه القوات فورا .

وقد أصدرت تعليماتي لقائد المنطقة العسكرية الشرقية فيما يتعلق بهذا الشان التوقيع محمد فوزي .

ولقد قرأت كتاب الفريق فوزي عدة مرات، وعلى فترات متباعدة في ذلك اليوم،تماما كما كنت أفعل قبل ربع قرن من الزمان حين كنت محاميا، أقف عند كل كلمة في مادة قانونية معينة، أقلبها على جميع وجوهها،وها أنا في هذا اليوم وقفت عند عبارات الفريق فوزي باستعداد (القوات المسلحة للعمل ضد

إسـرائيل) وتجميع (قواتنا في سـيناء على حدودنا الشـرقية)،والمطالبة بإصـدار الأوامر (بسحب قوات الطوارئ الدولية فورا).

أجل، وقفت عند هذه العبارات، يتقاسمني عاملان يتصارعان، الأول وهو الشعور الفلسطيني العربي في فرحة للهجوم على إسرائيل، وتحرير فلسطين وتخليص الأمة العربية من بلاء الصهيونية، والثاني شعور الخوف الذي يتملك الإنسان الدارس وقد خبر قوة الصهيونية العالمية ومساندة الإمبريالية الأمريكية لإسرائيل .. وعرف قبل هذا وذاك تخاذل الحكم العربي المعاصر..

وفي مثل البرق الخاطف،انطلقت في أفاق التحليل والتعليل،وأنا أحدث نفسي، كما يفعل الصوفي تتحدث روحه إلى روحه،وسرحت إلى ما قبل ثمانية أشهر(سبتمبر 1966) حينما كنا في مؤتمر الدار البيضاء في المغرب نستمع إلى الفريق عامر قائد القيادة العربية الموحدة يؤكد أن تحرير فلسطين يحتاج إلى أمور ثلاثة :مزيد من الاستعداد،مزيد من المال، ومزيد من الوقت.. ويعقب الرئيس عبد الناصر بقوله (العامل الثالث هو في نظري العامل الأول..)

ورحت أتساءل في نفسي.. ماذا جرى في الأشهر الثمانية التي مضت.. هل استكملنا استعداداتنا العسكرية ؟هل دفعت الدول التزاماتها المالية؟ هل جاء الوقت الملائم لتوجيه الضربة القاضية للخلاص من إسرائيل؟.

ورحت بدوري أجيب على الأسئلة.. نحن لم نستكمل استعداداتنا العسكرية، فلا يزال التدريب والسلاح الجوي دون المستوى المطلوب في مصر والأردن وسوريا .. ولا تزال الدول العربية متخلفة عن الوفاء بالتزاماتها المالية.. ولا يزال الوقت بعيدا للقضاء على إسرائيل..وأحسب اني كنت مؤهلا لهذه الإجابة، فلم أكن على هامش الأحداث، ولم أكن مراقبا او متفرجا..ولكني كنت

في قلب المسـرح العربي وراء كواليسه، أعرف ما يعرف الملوك والرؤساء..بل أكثر مما يعرف معظمهم..

وفوق هذا وذاك، فقد كنت على لقاءات مستمرة مع الرئيس عبد الناصر منذ سنين طويلة قبل مؤتمرات القمة وأثناءها، ولم يكن حديثنا إلا عن قضية فلسطين وتحرير فلسطين..وكان على الدوام يؤكد لي أنه لا سبيل إلي تحرير فلسطين إلا حينما تصبح مصر قادرة على صنع الدبابات والطائرات، حتى لا تكون تحت رحمة الدول العظمى محتكرة الدبابات والطائرات ..ومحتكرة الذخائر وقطع الغيارات .

ولست أكتم المواطن العربي أني كنت لا أستسيغ من الرئيس عبد الناصر هذا الإسراف في الحذر، فالقائد في المعركة يعتمد الحيطة من غير شك،ولكنه لا يفقد الخيال الجاد،والمغامرة الشجاعة.

ومن هنا تملكني ما يشبه اليقين أن الرئيس عبد الناصر لا يعتزم الحرب في ضميره، وأن الأمر لا يعدو أن يكون مظاهرة عسكرية لتحقيق مكاسب سياسية، وعلى هذا فقد توقفت عن تحليل كتاب الفريق فوزي وما يحمل في طياته من التهديد بالحرب .. وترجح، بل تحقق عندي أن عبد الناصر قد وجد أخيرا، وبعد عشر سنوات، فرصته الذهبية للخلاص من قوة الطوارئ الدولية التي ركبت على أكتافه في أعقاب العدوان الثلاثي في عام 1956 ..وأنه سيقف عند هذا الكسب السياسي وكفى ..

والواقع أن قوة الطوارئ الدولية كانت موضوع أحاديث وأحاديث بيني وبين عبد الناصر لسنين طويلة .. فقد كانت المملكة العربية السعودية، والمملكة الأردنية الهاشمية، ومعهما البعثيون والقوميون والإخوان المسلمون

والفلسطينيون ينعون على الرئيس عبد الناصر موافقته على وجود قوات الطوارئ الدولية في سيناء وقطاع غزة .. وكان عبد الناصر يؤكد لي في كل مرة أنه في اللحظة التي يستكمل فيها الجيش المصري استعداداته العسكرية سيطلب إلى الأمم المتحدة سحب قواتها الدولية .

ولم يقتصر التنديد بالرئيس عبد الناصر في هذا الصدد على التصريحات الإذاعية والصحافية، فقد شق هذا الموضوع طريقه إلى مجلس الدفاع العربي في آخر جلسة عقدها قبل حرب حزيران (66/12/8) ..وإني لأذكر في ذلك الاجتماع العاصف أن الوفد الأردني قد عرض بموقف القاهرة في سياق الحديث عن الخطة العسكرية، متسائلا : وكيف تستطيع الجمهورية العربية المتحدة أن تؤدي دورها في تحرير فلسطين وقوات الطوارئ الدولية تقف حاجزا بينها وبين إسرائيل ؟ ..

ومما تجدر الإشارة إليه أن الوفد الأردني قد أثار هذا الموضوع لا حرصا على أن تكون الخطة العربية لتحرير فلسطين رشيدة سديدة، وانما فعل ذلك نكاية وتمحكا، ثم جعلها دفاعا عن موقفه المتخاذل .. فلقد أثار الفريق على عامر (امتناع الأردن عن السماح للقوات العراقية والسعودية بدخول الأراضي الأردنية) فلجأ الوفد الأردني إلى هذا (الدفع القانوني) مطالبا وفد الجمهورية العربية المتحدة بأن يسحب قوات الطوارئ الدولية من سيناء وغزة .ويومئذ، أجاب السيد محمود رياض وزير خارجية الجهورية العربية المتحدة شارحا الظروف التي أحاطت (بتواجد قوات الطوارئ الدولية في غزة وسيناء استنادا إلى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في 5 نوفمبر 1956) وأضاف

(بأن حكومة الجمهورية العربية المتحدة تستطيع أن تطلب سحب هذه القوات في أي وقت تشاء) .

ونظر بعض وزراء الخارجية في المجلس إلى بعضهم بعضا تتساءل عيونهم وحواجبهم دون أن تتحرك شفاههم، ولسان حالهم يتساءل (وهل تستطيع الجمهورية العربية المتحدة أن تسحب قوات الطوارئ الدولية حين تشاء ..؟).

ومضت ستة أشهر على ذلك التساؤل وجاء الجواب على غير انتظار، وبأسرع مما كانوا يتوقعون .. جاء اليوم السابع عشر من شهر مايو 1967، فطلبت القاهرة سحب قوات الطوارئ الدولية ... وانسحبت فعلا، وبدأت تحتشد القوات المصرية في موقعها المحددة لها في سيناء وفي الخطوط الأمامية من الجبهة .

وقد استقبلت الأمة العربية هذا الحدث التاريخي بموجات هادرة من الابتهاج، وكأنما رأت فيه بوادر التحرير والنصر .. ولكن الحكم الأردني ظل سادرا في غواياته ونكاياته، فقد نشرت جريدة الدستور الأردنية تصريحا نسبته إلى (مصدر مصري) قال فيه (أن ثلاث كتائب مصرية تمردت على القيادة الناصرية وطلبت طرد قوات البوليس الدولية وإن الفرق الخاصة والمخابرات المصرية قد أمرت بالتحرك لمنع هذه الكتائب وضربها في السويس ..) (1967/5/18).

وحذت تونس حذو الأردن، وكلاهما في موكب واحد، فقد أعلن مندوب تونس لدى الأمم المتحدة للصحافيين (أن وجود قوات الطوارئ الدولية أتاح لمصر الاستمرار في مساعدة اليمنيين وإلقاء الخطب الرنانة ضد إسرائيل .. وأن التحركات العسكرية الحالية في مصر وطلب انسحاب قوات الطوارئ الدولية هي

شــبه مناورة من مصــر للتأثير في الرأي العام العربي ..فالمصــريون يريدون التظاهر بأنهم سيقدمون على القتال إذا نشبت الحرب بين سوريا وإسرائيل ...).

وفي هذا الوقت الذي كان يتردد فيه صــوت النشــاز العربي من الأردن وتونس كان انسـحاب قوات الطوارئ الدولية على الصـعيد الدولي قد فجر أزمة بين المســتر يوثانـت الأمين العـام للأمم المتحـدة وعـدد من الـدول العظمى والوســطى والصــغرى ..وقد بدأ مكتب المنظمة في نيويورك يوافينا بالبرقيات والرسائل، يوما بعد يوم .

وكان طبيعيا أن يكون لنا دور في هذا الأمر، مضـــافا إلى الاهتمام العام بالقضـــية ذاتها، ذلك أن قوات جيش التحرير الفلســطينية قد حلت محل قوات الطوارئ الدولية في الخطوط الأمامية في قطاع غزة فأقامت في ثكناتها، ورفعت علم فلسطين مكان علم الأمم المتحدة، والقوات الإسرائيلية على الطرف الآخر من خطوط الهدنة ترى هذا المشهد (الكريه)، وتود لو تقصفه وتسحقه .

وكان أول التقارير التي تلقيناها أن يوثانت الأمين العام للأمم المتحدة قد أعلن (ان القوات الدولية قد ذهبت منذ عشــر ســنوات إلى المنطقة بموافقة الجمهورية العربية المتحدة، وأنه إذا طلبت القاهرة ســحب القوات فعليها أن تنسحب).

وأعلن المســتر جورج براون وزير خارجية بريطانية موقف حكومته في (أن الموقف خطير في الشرق الأوسط، وأنها لسخرية من جهود الأمم المتحدة الرامية إلى الســلام أن يطلب من قواتها الانســحاب في وقت تشــتد فيه حدة التوتر).

وتصـــــدى بول مارتن وزير خارجية كندا للموضـــــوع فأعلن (أن كندا تعارض في سحب قوات الطوارئ الدولية، وأن معظم الدول الأعضاء في الأمم المتحدة بما فيها الولايات المتحدة وبريطانيا تعارض في طلب الجمهورية العربية المتحدة).

وحملت إســرائيل على المســتر يوثانت الأمين العام للأمم المتحدة، فقد أعلن ليفي اشــكول رئيس الوزراء الإســرائيلي اســتنكاره لما اســماه (بالخطوة، المتسرعة التي قام بها يوثانت في الموافقة على سحب الطوارئ الدولية باعتبار أن هذه الخطوة لها مضــــاعفات خطرة في شــــانها ان تغير ميزان الأمن في المنطقة).

ولم يكد رئيس الوزراء الإسرائيلي يكمل تصريحه هذا حتى ثارت عاصفة ملتهبة في الكونجرس الأمريكي، كأنما غارة روســـية قد شــــنت على الولايات المتحدة، فقد احتج عدد من النواب والشــيوخ على المســتر يوثانت واتهموه (بالاستسلام وتجاوز اختصاصه ..وأن على الولايات المتحدة أن توجه إنذاراً إلى القاهرة ودمشق، يضع الأمن في نصابه.) !!

وهكذا فقد اصبح المستر بوثانت وكأنه في قفص الاتهام، فلم يكن أمامه إلا أن يدافع عن نفسه، فقدم إلى الجمعية العامة تقريرا خاصا شرح فيه الأسباب التي حملته على الموافقة على ســـحب القوات الدولية باعتبار (أن هذه القوات نقلت إلى المنطقة بناء على اتفاق تم الوصــول إليه في القاهرة بين الأمين العام للأمم المتحدة المســتر داج همرشــولد والرئيس جمال عبد الناصــر .. وبما أن الجمهورية العربية قد ســحبت موافقتها فقد أصـــبح لزاما على الأمم المتحدة أن

تسحب قواتها من المنطقة، لان موافقة البلد المضيف أمر أساسي) 19 / 5/ 1967.

وكان الفضل للمستر يوثانت أنه فجر دملا قديما كان ينز صديدا، منذ زمن طويل، فقد كان خصوم عبد الناصر، سواء منهم المخلصون أو الخائنون، يتهامسون على الدوام أن الرئيس عبد الناصر قد وقع مع داج همرشولد الأمين العام السابق للأمم المتحدة (اتفاقية سرية خطيرة) من شأنها أن تبقي قوات الطوارئ الدولية إلى أجل غير محدود في سيناء وغزة حتى لا تقوم حرب بين العرب وإسرائيل !!

وقد شاءت الأحداث الحاضرة، ومعها الصدفة العابرة، أن انسحبت القوات الدولية، واظطر المستر يوثانت أن يكشف النقاب لأول مرة وبصورة رسمية عن هذه (الاتفاقية السرية الخطيرة) .. وقد أرادها دفاعا عن نفسه فجاءت كذلك دفاعا عن عبد الناصر، وبدا جليا أنها ليست (اتفاقية خطيرة) .. وكل ما فيها إنها موافقة من الجمهورية العربية المتحدة على وجود القوات الدولية على الأرض المصرية .

كان هذا كله يدور على الصعيد الدولي في الوقت الذي كنت فيه أعيش الأحداث اليومية المثيرة في الساحة العربية، فقد كانت لي عين وأذن هنا، وعين وأذن هناك، وإن كانت الأحداث في الوطن (مهماز) التحرك الدولي حيثما كان .

وكانت القاهرة في تلك الحقبة هي المهماز الأكبر للأحداث العربية والدولية على السواء، واتصلت بمكتب الرئيس عبد الناصر أطلب مواعدا لمقابلته لأتعرف على طبيعة تلك المرحلة بأبعادها وأعماقها، ورد علي مدير مكتبه السيد

سامي شرف قائلا : لا أظن أن وقت الرئيس يسمح في هذا الأسبوع، انه مشغول جدا، الاجتماعات العسكرية متصلة، والمواعيد كثيرة متراكمة، ونحن مشغولون هذه الأيام بصورة خاصة في توجيه رسائل إلى رؤساء الدول الصديقة ... على كل حال سأتصل بك في الساعة الأولى التي أجد فيها فراغا في مواعيد الرئيس ... و...

ولكن موعد آخر قد تيسر لي، وكنت طلبته منذ بضعة أيام، وكان هذا الموعد مع المشير عبد الحكيم عامر ... ودخلت عليه في مكتبه فوجدته بادي القلق، يدخن من عينيه وأذنيه، ويبادرني الكلام قائلا :

-إيه .. يا أخ أحمد .. نحن الآن على أبواب المعركة . . .

قلت : المهم في هذه المعركة أن لا تكون مصر وحدها ..

قال : (وهو يقاطعني) أنا أعرف ما ذا تريد أن تقول .. نحن سنبذل جهدنا أن لا نكون وحدنا في المعركة، أعتقد أن سوريا ستحارب قطعا، لان هذه الحرب هي أصلا من أجل الحفاظ على سلامتها وأراضيها ... لقد حشدت إسرائيل أحد عشر لواء من المصفحات على حدود سوريا، كما أن قوة الطيران الضاربة الإسرائيلية قد حشدت في المنطقة الشمالية على مقربة من الجبهة السورية ..

قلت : إن معلوماتي من مؤتمرات القمة الثلاثة التي اشتركت فيها أن الجيوش العربية لا تزال غير قادرة على خوض المعركة ...، فما هو تقديرك للموقف .

قال : نحن قادرون على الدفاع ... وهذا يكفي في هذه المرحلة ... نرجو أن باتي الوقت قريبا لنأخذ المبادرة بالهجوم ونخلص من إسرائيل إلى الأبد ... ولكن أمريكا هي المشكلة.

قلت : وما هو موقف الاتحاد السوفيتي ؟.

قال : إن الاتحاد السوفيتي هو الذي نبهنا إلى خطورة التحرك الإسرائيلي ... أصدقاؤنا الروس وصلتهم معلومات موثوقة أن إسرائيل تريد أن تقوم بحملة عسكرية على سوريا لإسقاط النظام القائم، وطبعا نحن ملزمون بالدفاع عن سوريا تنفيذا لاتفاقية الدفاع المشترك وقياما بواجبنا القومي ..

قلت : وما هو دورنا .. دور جيش التحرير الفلسطيني .

قال : قواتنا المسلحة نفذت الأوامر الصادرة إليها، وهي تحتشد الآن في المراكز المحددة على الجبهة .. أما بالنسبة إلى جيش التحرير فسيكون في الميدان قطعا ... وماذا ترى في هذا الصدد .. ؟

قلت : أرى أن يكون جيش التحرير الفلسطيني في المواقع الأمامية في جبهة قطاع غزة، وإن بعض وحداتنا مرابطة الآن في سيناء، وأرى أن تنقل فورا إلى القطاع .. وعلى كل حال لابد من تعيين قيادة عسكرية خاصة للمنطقة ..ولقد استقبلت في هذه الفترة وفودا كثيرة من قطاع غزة، وهم يناشدون القاهرة أن تحشد في القطاع قوة عسكرية كبيرة .. إنهم يخشون أن يسقط القطاع كما جرى في العدوان الثلاثي في عام 1956، ولذلك فانهم يلحون أن تتولى وحدات آلية مهمة الدفاع عن القطاع.

قال : هذه مسائل عسكرية بحتة ترسمها رئاسة الأركان، إن الدفاع عن القطاع لا يمكن من القطاع ذاته ولكن من المحاور المحيطة بالقطاع .. كن مطمئنا من هذه الناحية، وسندافع عن القطاع قبل دفاعنا عن سيناء .

وتناول المشـــير عامر التلفون وأصــــدر أوامر إلى الفريق فوزي رئيس الأركان بتعيين اللواء عبد المنعم حســـنى الحاكم العام للقطاع قائدا عســـكريا للقطاع، وبأن يأخذ جيش التحرير الفلســطيني مواقع في الخطوط الأمامية في قطاع غزة في مواجهة العدو مباشرة .

وخرجت من مكتب المشـــير عامر، ومررت بمقر قيادة جيش التحرير الفلســطيني في مصـــر الجديدة، وأصـــدرت بدوري أمرا بان تنتقل قيادة جيش التحرير الفلسطيني إلى الميدان، إلى غزة، لتتعاون مع اللواء عبد المنعم حسني .

وعدت إلى مكتبي لأضع الأمور في نصابها بالنسبة إلى نصيبنا في المعركة فوجهت ثلاث رسائل إلى الرئيس عبد الناصر، والى الرئيس السوري الدكتور الاتاســـي، والى الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف، أبلغهم فيها أن قوات جيش التحرير الفلســطيني في غزة وفي ســوريا وفي العراق قد أصــبحت تحت إمرة القيادة العسكرية في كل من القاهرة ودمشق وبغداد.

وأخذت الأحداث تتطور في مثل وميض البرق .. فقد بدأت الحشـــود الإســـرائيلية في الضـــمور في مواجهة الجبهة الســـورية بعد أن اندفع الجيش المصـري إلى المواقع الأمامية في جبهة سـيناء، وأصـبحت القوات الإسـرائيلية تتدفق بأقصى سرعة نحو الجنوب في مواجهة الجبهة المصرية، وأعلن المشير عامر في بيان صـــحفي جاء فيه (أنا أقول بوضـــوح قاطع أنه لا ينبغي لأحد،

سواء داخل منطقة الشرق العربي أو خارجه، أن يساوره شك في أن الجمهورية العربية المتحدة سوف تضرب بكل قوة أي محاولة للعدوان .. ولست أقول أكثر من أن القوات المسلحة الرابضة الآن في مواجهة العدو الإسرائيلي ستضرب أي حركة عدوانية في أي ميدان وفي أي اتجاه وستضرب بقوة) (5/19/ 67) .

وكنت إلى هذه اللحظة، وحتى بعد قراءة هذا البيان، أرجح أن الجمهورية العربية المتحدة لا تعتزم أن تدخل الحرب، وأن كل مقصـــدها أن (تمتص) الحشـد الإسـرائيلي الذي تجمع في الجبهة السـورية .. ولكن المخاوف بدأت تسـاورني حينما نقلت وكالات الأنباء أن إسـرائيل قد أصـدرت أمرا باسـتدعاء الاحتياطي .

بل إن مخاوفي ازدادت رسوخا حينما أعلن ناطق بلسان وزارة الخارجية الإسرائيلية أنه (لا توجد تحشدات إسرائيلية ..وأن التحشدات الوحيدة في إسرائيل هي تحشدات السياح) !! فان الذين يعرفون أساليب إسرائيل السياسية والعسكرية يفهمون خفايا هذا التصريح، فإسرائيل أكثر تحدثا عن السلام حينما تكون أكثر استعدادا للحرب ..وتلك هي خبرتنا الطويلة مع إسرائيل..

وصـــادف أن انعقد مجلس الجامعة العربية .. وأقول (صـــادف لان مجلس الجامعة لا ينعقد للأمور الخطيرة التي يواجهها الوطن العربي، وقد عرفت على مدى خمســة وعشــرين عاما أنه حين ينعقد يتخذ القرارات (الضخمة) بعيدا عن ثلاث : الجدية، والمسئولية، والشجاعة.

وهكذا صـــادف أن اجتمع مجلس الجامعة العربية في دورته العادية، وصادف أن يكون هذا الاجتماع في اليوم العشرين من شهر أيار 1967، حين كانت القوات العربية والإســرائيلية وجها لوجه ومدفعا لمدفع ..وترددت، هل

أحضر هذا الاجتماع، أو أنيب أحدا من رجال المنظمة، ولكني آثرت في النهاية أن أحضـــر بنفســـي، لا تقديرا لمجلس الجامعة، ولكن تقديرا لرهبة الحقبة التي كانت تعيشها الأمة العربية .

وندمت على الحضـــور، فلم يكن المجلس على مســـتوى الرؤســـاء أو الوزراء، كما تفرض الأحداث، ولكن كان على مســـتوى (القائمين بالأعمال) من السفارات العربية وبعض المندوبين الدائمين، وأصـدر مجلس الجامعة واحدا من قراراته التافهة التي شهدتها على مدى الأعوام والأعوام ..

والواقع أن هذا القرار لا يسـتحق أن يجد له مكانا في مذكراتي، لولا أن كل ســـاعة من تلك الأيام كانت تؤلف بذاتها وقفة تاريخية لا يجوز إغفالها، ولذلك عزمت أن اقتبس القرار التافه بنصـــه الكامل لتدرك الأجيال العربية عمق الهاوية التي انحدر إليها هذا الذي يسمى بالتضامن العربي .. والى هذه الأجيال أقدم النص الكامل لذلك القرار :

(بحث مجلس الجامعة ببالغ الاهتمام موضوع التهديد الإسرائيلي السافر على أراضى الجمهورية العربية السورية والحشود الإسرائيلية الكبيرة على خطوط الهدنة، والإجراءات الفورية الحاسمة التي اتخذتها الجمهورية العربية المتحدة في مواجهة التهديد الصـــهيوني بالعدوان، وإعمال حقها في إنهاء مهمة قوة الطوارئ الدولية، وتضـــامن الدول العربية التي أعربت عن تأييدها للجمهورية الســـورية والمحاولات الأجنبية المناوئة للموقف العربي . .

ويعلن المجلس عما يأتي : -

أولا : تأييد الجمهورية العربية السورية والجمهورية العربية المتحدة تأييدا تاما في موقفهما والتضامن معهما في جميع الميادين .

ثانيا : طبقا لالتزامات الدول الأعضـــاء في معاهدة الدفاع العربي المشــترك وميثاق جامعة الدول العربية، فإنها جميعا تعتبر أي عدوان أي أرض عربية عدوانا عليها جميعا تتضامن كلها في صده، وتنهض بمسئولياتها إزاءه .

ثالثا : شجب المحاولات الاستعمارية سواء بالنسبة لتشجيع إسرائيل على العدوان طبقا لمخطط اسـتعماري صـهيوني مشـترك، أو بالنسـبة للتشـكيك في الموقف العربي مواجهة للتهديدات الإســرائيلية العدوانية، ووقوف الدول العربية ضدها صفا واحدا) وهذا هو القرار بنصه وفصه !!

وقد كان من الممكن أن يصـــدق الرأي العام العربي هذه الكلمات عن التضـامن العربي ..وصـد أي عدوان إسـرائيلي، لولا أن أصـواتا عربية مسـئولة خارج المجلس كانت تكذب جامعة الدول العربية من غير مواربة ولا استحياء.

ومن هذه الأصــوات ما قاله وكيل وزارة الإعلام السـعودية الشـيخ فهد الســديري الذي كان يقوم بزيارة للكويت فأعلن في مؤتمر صـــحفي أن (اتفاقية الدفاع المشــترك بين ســورية والجمهورية العربية المتحدة تسـتهدف في الحقيقة وقف أعمال الفدائيين ضد إسرائيل، وان مصر لو كانت راضية في الأساس عن أعمال الفدائيين لفتحت لهم أبواب صـــحراء ســـيناء لأنها المنطلق الطبيعي للفدائيين) (1967/5/16).

وقد أذاعت وكالات الأنباء العالمية، هذا التصريح السعودي .. فلم يسع الدكتور إبراهيم ماخوس نائب رئيس الحكومة الســـورية ووزير خارجيتها إلا أن يمارس هوايته المفضلة، ورياضته المعتادة، فهاجم الملك فيصل (الذي يتمرغ في أوحال الخيانة عند الملكة اليزابيث في لندن) كما هاجم الملك حســـين (الذي

يحشـــد قواتـه على حـدود ســوريـا بعيـدا عن أرض المعركـة ..) (67/5/18) .

ولم يفت جريدة الأهرام كذلك، وهي الصحفية التي كانت توحي لجمهور القراء بأنها تتحدث باسم الرئيس عبد الناصر، إلا أن تشير إلى مباحثات الملك فيصـل في لندن (إنه ليس من حق العملاء أن يتحدثوا باسـم الأمة العربية .. وإن فيصل يطلب الحماية من بريطانيا بصـدد البحث في مستقبل جنوب اليمن المحتل) (5/22/ 1967) .

ولكن الضـربة القاسـية وجهتها القاهرة إلى الجامعة العربية، عن جدارة واسـتحقاق، وكانت أوسـاط الجامعة تتحدث عن ضـرورة اجتماع مجلس الدفاع المشـترك لمعالجة الموقف ..ذلك أن وزارة الخارجية المصـرية قد اتصـلت بالجامعة وأبلغتها أمورا ثلاثة، كانت صفحات ثلاثا .

الأولى : أن القاهرة لا ترى جدوى من اجتماع مجلس الدفاع العربي.

الثانية :أن الجمهورية العربية المتحدة قدرت الموقف تقديرا كاملا وهي مستعدة لتحمل كل تبعاته ..

الثالثة : أنها لا تستطيع أن تشترك في اجتماع مجلس الدفاع يجلس فيه الكل، وتناقش خططها معهم أو تعرضـها أمامهم .. والجمهورية العربية المتحدة تعنى بذلك بعض الدول الرجعية بالذات التي تنسق خططها مع لندن وواشنطون وتخض خضوعا كاملا للاستعمار الذي هو حامي إسرائيل .

وقد وقفت طويلا عند عبارة (أن الجمهورية العربية المتحدة قدرت الموقف تقديرا كاملا وهي مستعدة لتحمل كل تبعاته) وتساءلت هل هذه عبارة إنشائية، أم هي عبارة جادة مسئولة ؟؟

وكان واحد في الجمهورية العربية المتحدة يستطيع أن يجيب عن هذا السؤال، هو الرئيس عبد الناصر، ولم أستطع أن أقابله إلى يوم صدور هذا البيان، وقلت في نفسي : فلأذهب إلى السيد محمود رياض وزير الخارجية، فلعل صداقتي القديمة معه تستطيع أن تستخرج شيئا من مكنونات صدره، وأتعرف على الخبر اليقين .

وقلت للوزير رياض بعد أن استقر بنا المقام في مكتبه المشرف على النيل، النيل المشرف بدوره على التاريخ :هل نحن مقبلون على الحرب، إن كل الحركات والكلمات الصادرة عن القاهرة تنبئ أن الحرب وشيكة الوقوع..

قال : وهل اجتمعت من قريب بالرئيس عبد الناصر ؟؟

قلت : لم أفلح حتى الآن ؟ ولعلى أستطيع ذلك قريبا كما وعدني السيد سامي شرف ..

قال : وأنا لم أقابله منذ أن تطورت الأحداث، ولكننا نتلقى توجيهاته من حين إلى حين.

قلت وما هو موقف الاتحاد السوفيتي إذا نشبت الحرب ؟

قال : إن معلوماتي العامة أن موسكو تؤيدنا..ولكن إلى أي مدى إذا نشبت الحرب، لا أعلم ..

وأنت تعرف موقف الروس كما اعرفه .. وعلى كل حال فما أظن أن الأمور ستصل إلى مرحلة الحرب.

قلت : هذا صـــــحيح لو أن الطرف الآخر هو غير إســـرائيل ..ولكن إسرائيل تنتهز الفرص حينا بعد حين، للتوسع ..والتوسع لا بد له من حرب .

ودخل مدير مكتب الوزير ليعلمه أن الســفير اليوغوســلافي قد وصــل، فنهضت مودعا، وهو يقول لي : إذا اجتمعت بالرئيس عبد الناصر .. أخبرني.

وقلت له ضاحكا : وأنت إذا اجتمعت بالرئيس أرجو أن تخبرني !!

وعدت إلى منزلي، ومددت يدي إلى مكتبي وسللت سيرة صـلاح الدين الأيوبي، فقد كنت على الدوام أجد السلوى فيما واجهه هذا البطل الفذ من العناء والإرهاق من ملوك ذلك الزمان ، وأمراء العصر والأوان .

وبعيدا عن الرياح الهائجة من شهر أيار من عام 1967، غبت في تلك القصة المجيدة قصة صلاح الدين الأيوبي، قدس الله سره وطيب ثراه ..

(كذلك نقصّ عليك من أنباء ما قد سبق) صدق الله العظيم .

الخطوة الثانية على طريق الحرب

نحن اليوم في الثاني والعشـرين من شـهر أيار (مايو) من عام 1967 ... ولا بد لنا أن نقف وقفة طويلة أمام هذا اليوم، وأن يقف معنا التاريخ، لنعرف كيف جرى ما جرى، وكيف حاربنا كما حاربنا، وكيف انهزمنا كما انهزمنا ..

ولقد بعدت الشقة بيننا وبين ذلك اليوم، وستزداد بعدا على مر الزمان، ولكن اليوم الثاني والعشرين من شهر أيار سيظل يعيش معنا .. بل سيظل أقرب إلينا من حبل الوريد، إلى أن يأتي يوم جديد .. يوم تتحقق فيه للامة العربية آمالها في القوة والمنعة والنصر والتحرير.

وإذا كان اليوم السابع عشر من شهر أيار من عام 1967 قد شهد الخطوة الأولى على طريق الحرب، بعد أن طلبت القاهرة سحب القوات الدولية من سيناء وقطاع غزة، فان هذا اليوم الثاني والعشرين سيكون هو الخطوة الثانية على طريق الحرب .. ولم يبق على الخامس من حزيران، إلا أسبوعان كاملان، لا يزيدان ولا ينقصان ..

ولقد كانت الخطوة الأولى قبل خمسة أيام، حين أرسل الفريق محمد فوزي رئيس أركان حرب القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة كتابا إلى الجنرال ريكي يطلب إليه انسحاب القوات الدولية، وانسحبت القوات فعلا، وحلت محلها القوات المصرية والفلسطينية .

وفي صبيحة هذا اليوم خرج جمال عبد الناصر إلى سيناء، إلى مركز القيادة المتقدمة للقوات الجوية، ليقول كلاما هز الدنيا بأسرها من مشرقها إلى مغربها، كأنما إعصار عاصف هب على العالم أجمع، فعصرهم بوثاقه، فخلخل مواطئ أقدامهم، وهزهز مواقع رؤوسهم .

وليس هذا الكلام من طراز البديع العربي الغني بالكنايات والمجازات، ولكنه ألحق كل الحق، والصدق كل الصدق، وما على المواطن العربي إلا أن يصبر عليَّ قليلا ويسير معي في موكب ذلك اليوم العتيد ..

في ذلك اليوم وصـــل الرئيس عبد الناصـــر في زيارة أرادها أن تكون خاطفة، لتخطف القلوب قبل الأبصــار، وأردها أن تكون على مســرح الأحداث، فاختار أن تكون في ســيناء ..وكم شــهدت ســيناء من رســالات المرســلين في العصور القديمة، وكم شهدت من بطولات الفاتحين في العصور الوسيطة ..

وكان مع جمال عبد الناصـر في تلك الزيارة المشـير عبد الحكيم عامر النائب الأول لرئيس الجمهورية ونائب القائد الأعلى للقوات المســـلحة، وزكريا محي الدين وحسين الشافعي وعلى صبري نواب رئيس الجمهورية، وشمس الدين بدران وزير الحربية، والفريق أول محمد صـــدقي محمود صـــدقي محمود قائد القوات الجوية، والفريق أول عبد المحســن كامل مرتجى قائد قوات الجبهة .. وبهذا حلت في سيناء قيادة مصـر السـياسـة والعسكرية العليا، يتربع على قمتها الرئيس عبد الناصـر، وهو يحمل بين منكبيه العريضـين آمال الملايين والملايين من الأمة العربية ..

وخطب عبد الناصــر في ســيناء في ذلك اليوم، كما لم يخطب في أي يوم من أيام حياته، فقد كانت الجماهير العربية تمســك أنفاســها عند كل كلمة لترى ما بعدها، وتحبس نبضــاتها عند كل عبارة لتنظر ما وراءها، وكان الشـوق والوجد والأمل والنصـــر والتحرير – كل أولئك يداعب القلوب كل القلوب.. من المحيط إلى الخليج ..

وعبـارة (من المحيط إلى الخليج) بـاتـت مبتذلـة لكثرة مـا تكررت في الكلام المبتذل، ولكن هذه العبارة قد تجدد شبابها وتألق جوهرها وحلا رنينها، في ذلك اليوم، وفي ذلك اليوم بالذات ..

وما انتهى عبد الناصر من خطابه ذلك..حتى كانت الأمة العربية تهتز بكل جوانحها وجوارحها، وتهتز معها سيناء كأنما أصابها مطر مدرار (فاهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج) وسيناء منذ كانت، تنام على القحط وتستيقظ على الجدب، ولكنها اليوم تخصب الأحداث الجسام وتنبت الأمور العظام ..

وقبل بضعة أيام، كانت الجماهير العربية تتساءل، وماذا بعد انسحاب القوات الدولية ؟؟ لقد خلصت مصر من آثار عدوان 1956، وبريء عبد الناصر من هذا الاحتلال البغيض الذي حمله عشرة أعوام ونصف العام، وكاد أن يذكر الناس بالاحتلال البريطاني الذي دام سبعين عاما..وتساءل المثقفون مع الجماهير، بل تساءل العالم كله .من ليندون جونسون في أمريكا، إلى هارولد ويلسون في بريطانيا، إلى هيروهيتو في طوكيو .. وماذا بعد ذلك.. ما هي الخطوة التالية ؟ ..

وجاء عبد الناصر إلى سيناء ليجيب عن السؤال، وليخطو الخطوة التالية فكان خطابه في سيناء ..ولقد سمعت ذلك الخطاب، لا كما سمعته الجماهير .. فقد رحت أستمع إلى المعاني وراء الألفاظ، والى جوف الأهداف تحت سطح العبارات ..فأنا واحد مع ثلاثة عشر رجلا عقدوا مؤتمرات القمة في القاهرة والإسكندرية والدار البيضاء، وعرفتهم في السر والعلن ..وها أنا ذا اليوم استمع إلى هذا الرئيس العربي وهو يقف أمام الزمان يتحدث وجها لوجه، وليصبح حديثه تاريخا في صميم التاريخ .

واليوم، فان يقيني أن الجماهير العربية قد نسيت ذلك الخطاب، والنسيان له حسناته وسيئاته ..بل إن الجماهير العربية التي ستأتي بعدنا، ستمر عليه مرور الكرام، هذا إذا صادفته في الطريق .

من أجل ذلك، بل من أجل حاضرنا المظلم، ومستقبلنا المشرق كان لا بد أن أضع أمام التاريخ، تاريخ الكفاح العربي، ماذا سمعت في ذلك الخطاب، وماذا قرأت، وماذا فهمت .

أراد عبد الناصر، أولا وقبل كل شيء، أن يقارن بين مصر الضعيفة في عام 1956، ومصر القوية في عام 1967 .. ليوحي إلى الشعب المصري والى الأمة العربية أن جيش مصر اليوم أقوى مما كان عليه بالأمس، عددا وسلاحا وتدريبا .. فأعلن عبد الناصر أنه (في سنة 1956 ما كانش أبدا لينا فرصة أن نقاتل إسرائيل .. في ذلك الوقت كان عندنا الاليوشن القاذفة وكان عددها قليل ولسه يادوبك متسلحين بيها – النهارده عندنا كثير، والفرق بين امبارح والنهارده .. بين سنة 1967 وسنة 1956 فرق كبير .. وإسرائيل النهارده ما معهاش بريطانيا وفرنسا زي ما كانت معاها سنة 56 .. التآمر اللي حصل سنة 1956 مش ممكن العالم يقول انه يعود مرة أخرى .. إحنا النهاردة عندنا الفرصة لكي نبين الحقيقة .. عندنا الفرصة فعلا .. نحن وجها لوجه مع إسرائيل ..).

وأراد عبد الناصر ثانيا، بعد أن استشعر أنه أمام الفرصة التاريخية، أن يؤكد ثقة الشعب المصري بقدراته، وثقة الأمة العربية بطاقاتها، فأكد في خطابه (نستطيع أن نقوم بواجبنا القومي في الدفاع عنا في مصر، سواء في الدفاع عن حدودنا، أو الهجوم إذا اعتدت إسرائيل على أي بلد عربي .. وإسرائيل

تعتقد أن مصــر لن تســتطيع ان تتحرك لأنها مشــغولة في اليمن ..ولكن إحنا نســتطيع أن نقوم بواجبنا في اليمن، وفي نفس الوقت نســتطيع ان نقوم بواجبنا القومي ..).

وأراد عبد الناصــر، ثالثا، أن يبرز موقفه من هذا التحرك المفاجئ فقال (يوم 12 مايو بدا أول تصريح لإسرائيل – وقح جدا بحيث لا يمكن أن نسكت عليه ..القادة الإسرائيليون أعلنوا انهم سيقومون بعمليات حربية ضد سوريا من أجل احتلال دمشق ومن أجل إسقاط الحكم السوري ..وفي يوم 13 مايو وصلتنا معلومات مؤكدة بان إسرائيل تحشد على حدود سوريا قوات مسلحة حوالي 11 لواء إلى 12 لواء .. واتصلنا بإخواننا السوريين وقلنا لهم إن إحنا أخذنا قرار إذا حصل هجوم على سوريا فان مصر حتدخل المعركة من أول دقيقة ..).

وأراد عبد الناصــر، رابعا، أن يتســاءل عن الســلام بالنســبة للعدوان الإسرائيلي والقضية الفلسطينية فقال (بنلاحظ إن الكلام كتر النهاردة عن السلام ..السلام الدولي والأمن الدولي ..طيب لما صرح رئيس الوزراء الإسرائيلي بأنهم حيحتلوا دمشــق وانهم حيســقطوا الحكم الســوري محدش تكلم عن الســلام وعن الأمن .. ولكن معنى الســلام أننا بنتجاهل حقوق شــعب فلســطين – طيب فين الأمم المتحدة بالنسبة لشعب فلسطين ..الكلام عن السلام بيكون موجود بس حينما تتعرض إســرائيل للخطر، أما إذا ضــاعت حقوق العرب وحقوق شــعب فلسطين ما بيتكلمش حد عن السلام ..) .

وأراد عبد الناصر، خامسا، أن يحدد الموقف الحاسم الفاصل القاطع بالنسبة لخليج العقبة فقال (القوات المسلحة المصرية احتلت امبارح شرم الشيخ .. ومعنى هذا تأكيد حقوقنا وتأكيد سيادتنا على خليج العقبة ..خليج العقبة يمثل

المياه الإقليمية بتعتنا المصرية . ولا يمكن بأي حال من الأحوال إن إحنا نسمح للعلم الإسرائيلي أن يمر في خليج العقبة .. بيهددوا بالحرب اليهود . بنقول لهم أهلا وسهلا إحنا مستعدين للحرب قواتنا المسلحة وشعبنا كلنا مستعدين للحرب .. هذه المياه هي المياه بتاعتنا وقد تكون الحرب فرصة علشان اليهود يخبروا قواتهم مع قواتنا ويشوفوا ان الكلام اللي كتبوه على معركة 1956 واحتلال سيناء كان كله كلام هجص في هجص وكلام تخريف في تخريف ..) .

وأراد عبد الناصر، سادسا، أن يتحدى الحلف الإسلامي ويقحمه في المعركة، فقال (أنا عايز من المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية وإيران أن يمنعوا إمداد إسرائيل بالبترول .. الذي يمون إسرائيل اليوم بالبترول هو الحلف الإسلامي اللي هو حلف استعماري، ومعنى هذا انه مع الصهيونية .. ونحن لا نستطيع أن ننسق خططنا مع أعضاء الحلف الإسلامي أبدا لان معنى هذا إن إحنا بندي خططنا لليهود) .

وأراد عبد الناصر، سابعا وأخيرا، أن يحقن الشحنة الأخيرة في الشعب المصري والأمة العربية، رأسا إلى الشرايين والأوردة، فقال (النهارده القوات المسلحة موجودة في كل مكان – الجيش معبأ والقوات كلها معبأة والشعب كله معبأ .. ونحن على ثقة أنكم ستؤدوا الأمانة .. كل واحد فينا مستعد بموت ولا يضحي برملة من ارض بلده .. اشرف شيء إن إحنا ندافع عن بلدنا، وبعدين مش حتخوفنا حملات الاستعمار والصهيونية والرجعية .. إحنا بنينا جيش وطني قوى ..وسنسير في طريق الواجب في طريق النصر والله يوفقكم ..).

انتهى عبد الناصـــر من خطابه وابتدأ العالم .. ابتدأ العالم يفور ويمور كأنما غلاف كهربائي قد أحاط بالدنيا بأســرها، وراح يهزها هزا عنيفا حتى باتت تترنح في مدارها .

ولم تكن هذه الهزة العالمية من صـــنع عبد الناصـــر وحده، بل إن عبد الناصــر مهما تعاظمت قدراته، ليس بالشــخص الذي يقدر أن يهز الدنيا، ولكن الســـبب في ذلك يعود إلى عاملين كبيرين :الأول أن خليج العقبة يمس العالم بأسره، فما من أمة إلا ولها صادر أو وارد عن طريق العقبة، والثاني أن إسرائيل لها وتد في كل بقعة من بقاع العالم، ومن هزها هز أوتادها في العالم..

وكائنة ما كانت الأسـباب فان خطاب عبد الناصــر في سـيناء قد شـد انتباه الدنيا بأسره، يستوي في ذلك الأصدقاء والأعداء .. ولقد عشت تلك الأيام مع الذين عاشـوها .. وما أحسـب الأجيال القادمة بقادرة أن تسـبر غور كلامي هذا، لأنها لم يقدر لها أن تعيش هذه الأحداث .. وإن واجب الأمانة لتاريخ النضـال العربي في هذه الحقبة المريرة الخطيرة أن أعيد بناء الصـورة، على هيئة نواة صـــغيرة بقدر ما تســـتطيع أن تحمل من ظلال وألوان ..ولو أن النصـــر قد جاء في أعقاب هذه الأحداث لكان واحدا من الملاحم الإنســانية، المتســامية في الروعة، المتشامخة في المجد ..

وأحســب أن أبهى ملامح هذه الصــورة هو موقف الأمة العربية . .وقد عرفت هذا الموقف هنا في القاهرة، حيث كنت في هذين الأسـبوعين، أعيش مع الشعب في ليلة ونهاره، في الشوارع، والميادين، والمساجد .

ولا يحســـبن المواطن العربي أني أتحدث بلغة المجاز والكناية، بل إني أناشـده باسـم الحق، أن يحمل كلامي محمل الصـدق كل الصـدق، وأن يعيش معي تلك الأيام الماجدة بأحلامها الرائعة ..

كانت القاهرة في تلك الأيام تعيش أروع المشـاعر وأعمق الأحاسـيس، عبر تاريخها العتيق ..وأنا أزعم أني قارئ متواضـع لهذا التاريخ العريق، وكل ما يهمني من التاريخ وأنا اقرؤه أن أنفذ إلى حياة الناس وما تظطرم به خلجات نفوسهم، لا يلفتني ما يتشاغل به حكامهم..

وعلى هذا فأنا عليم بحياة الشـعب في مصـر منذ أيام الكهنة والسـحرة والفراعنة، إلى أيام صـلاح الدين وعهد المماليك والأسـرة العلوية ..ولكني أقرر، وأنا لا أخشى نقضـا أو نقدا، أن الأيام الخمسـة عشـر التي شـهدتها في القاهرة (15–30 مايو) كانت أياما فريدة في فورانها ومعمعانها..فريدة ليس لها سـابق ..وما أظن أنه سـيكون لها لاحق إلا .. إلا يوم تهدم إسـرائيل الدولة، وتصـبح ركاما من الأنقاض يجوس خلالها الشـعب العربي الفلسـطيني بأقدامه وهو يعود إلى وطنه الحبيب، الذي طال حنينه إلى ربوعه الفاتنة .. لقد أصـبحت القاهرة في تلك الحقبة الغامرة من الزمان، شـعبا هائجا هادرا، صـائحا هاتفا، راقصـا هازجا، منشدا مرتلا، وكان يحتشد في كل ساحة، متجمعا في ميدان، مكتظا في كل حارة، مزدحما في كل زقاق .. وليسـت هذه كلمات مترادفات، ولكنها صـور نابضات بالواقع الحي، تملأ العيان والآذان .

ولم اكن أشـاهد هذه الصـور الحية في صـحف الصـباح ..أو أشـاهدها من شـرفة منزلي أو من نافذة سيارتي .. أو على شـاشـة التلفزيون وأنا ناعم في مقعدي !!

كلا .. لقد عشتها بنفسي وبكل جوارحي ..لقد عشتها مع الشعب، كتفا إلى كتف، في زحمة الجماهير، وسط تظاهراتهم الصاخبة، تهزني مناكبهم وتتعثر خطاي بين مواقع أقدامهم .

ومرة ثانية ليس هذا الكلام مجازا ولكنه الحق الذي ما أزال أحسه بكتفي وقدمي .. وأنا امرؤ أحب أن أعيش مع الشعب بكل خلجاته .. وأن أسعى إليه في مظاهراته وتجمعاته ...فان أحلى الساعات عندي، وأحلى الأيام من عمري، حين أرى الشعب يتجمع، وحين أراه يصيح ويهتف، وحين أراه يرقص ويهزج، وحين أسمعه يغني وينشد .. ذلك بعض ضعفي، وذلك بعض اعتزازي وافتخاري .. وقد أشبعت ضعفي، ورويت اعتزازي، وعشت تلك الأيام مع الشعب ..وخرجت من منزلي إلى الشعب في القاهرة ...تماما كما كنت افعل أيام شبابي في فلسطين في مسيراتنا ومظاهراتنا ضد سلطات الاحتلال البريطاني ..

ذهبت إلى حي بولاق قريبا من منزلي في الزمالك، ووقفت السيارة عند مدخل الحي، فلم يعد في الشارع متسع إلا لطائر يطير فوق الرؤوس، فقد كان الشعب كتلة متراصة مترابطة، تعلوها أقواس النصر بأعلامها، وتتمائل فوقها اللافتات الضخمة، وتدافع شباب الحي أمامي يشقون شقا، والهتافات مدوية لعبد الناصر ولتحرير فلسطين ولتدمير إسرائيل، تلعلع من الميكروفونات المنصوبة على الجدران وعلى العمدان ..ووصلت أخيرا إلى منصة رحبة ضاقت بالشباب والشابات من الاتحاد الاشتراكي، وقد تصبب العرق من جباههم، وهم يصيحون من الميكروفون النظام، النظام ..

ولكن أي نظام يدعو إليه الشباب باسم الاتحاد الاشتراكي .. لقد اصبح الحماس الهائج المائج هو النظام في ذلك اليوم .. الهتافات تشق عنان السماء،

وحلقات الرقص تدق جوف الأرض، والطبول تقرع الآذان، والصنوج تصدع الجدران ..ومن أين يكون النظام ..شعب هائج ثائر، يود لو ينقل بسحر ساحر، إلى إسرائيل ليهدها،عظما ولحما .

ودعاني عريف الحفل إلى الكلام، ووقفت أمام الميكروفون بعضا من الوقت انتظارا للهدوء والسكينة، ولكن لا هدوء ولا سكينة ... وبدأت بالكلام في أعلى صوتي، والميكروفون يزيده ضخامة وفخامة،ولكن صوت الجماهير الراعد طغى على كل كلام .. وتلوت بعض الآيات القرآنية استدرارا لسمعهم، ولكن لا سبيل، وأشرت إلى خطاب عبد الناصر الأخير، وما من سميع ..وتحدثت عن بطولة أهل بولاق في أيام الحملة الافرنسية، وكيف أبادوا الكتيبة الافرنسية حتى احمر ماء النيل في ذلك اليوم الرهيب ..وما من مجيب.

وأيقنت أخيرا، ان هذا اليوم ليس يوم كلام ..وإنما هو يوم يساق فيه الشعب إلى الميدان، ..لو انه كان مدربا على القتال ..

وعدت أدراجي إلى البيت، بعد أن خطبت لأول مرة في عمري خطابي الطويل، دون ان يسمعني أحد، ودون أن اسمع نفسي .. وأدركت يومئذ كيف أن الأمة العربية الماجدة قد وصلت في فتوحاتها إلى مقربة من باريس وروما وجنيف، حين كانت لها قيادات رائدة راشدة ... وفي يوم آخر دعيت إلى مهرجان شعبي آخر في حي السيدة زينب، وقد جند الاتحاد الاشتراكي كل رجاله للمحافظة على النظام والهدوء .. ولم أتردد في الاستجابة فقد كان يهمني ان أعيش مع الشعب في تلك الأيام الجليلة، سواء سمع الناس خطابي أم لم يسمعوه !!

وبدأ الحفل بتلاوة القرآن الكريم، وسكنت الجوارح وهدأت الجوانح، والمقرئ يتلو آيات الجهاد في تلك الأمسية الروحانية،ووقفت بعده أتكلم، وأنا أسير في ركاب بعض الآيات القرآنية التي تلاها، شارحا ومؤكدا، وانتقلت بعد ذلك إلى موضوع خليج العقبة .مرددا أقوال الرئيس عبد الناصر في سيناء بان الخليج مياه عربية ليس للبواخر الإسرائيلية أن تعبره، وأن وأن ... واستطردت بعد ذلك إلى معركة خليج العقبة بين العرب والإفرنج في العصور الوسطى حين أرسل صلاح الدين الأيوبي السفن على ظهور الجمال ألواحا ألواحا إلى خليج العقبة،حيث جعلت سفنا كاملة، خاض بها الجيش العربي معركة ضارية مع الإفرنج، فاغرق أسطولهم وجعل بحارتهم طعاما للحيتان، وطعما للأسماك .

ولم أكد انتهي من سرد هذه الملحمة التاريخية، حتى سقط زمام الموقف من يدي ومن يد الاتحاد الاشتراكي، فهاج الشعب هيجانه الذي لقيته في بولاق، وانتظم الناس حلقات حلقات يهتفون ويهزجون .. والنداءات الداعية إلى النظام ..ذهبت أدراج الرياح وانسللت من زحمة الجماهير إلى زقاق خلفي حيث قادني رجال الشرطة إلى سيارتي، إلى بيتي، لاستذكر في ساعة هدوء تلك الأيام التي تجمعت فيها القاهرة لوداع الجيش المصري الزاحف إلى (عين جالوت) على أرض فلسطين، للانتصار على جيوش التتار ..

وكان اللقاء الثالث مع الشعب، هذه المرة،في الجامع الأزهر.. وكان ينتظرني على الأبواب (جيش) من الصحفيين والمصورين،الأجانب أكثر من العرب، فقد ازدحمت القاهرة بمندوبي الصحافة العالمية جاؤوا إليها ليبرقوا بأنباء الحرب بين العرب وإسرائيل، وكل واحد منهم يطمح أن يكون السابق في إذاعة

أنباء ســـاعة الصـــفر ..من أطلق النار اولا..ومن كانت له الغلبة، إذا انتهت الحرب إلى غالب ومغلوب ..

وأديت صلاة الظهر مع المصلين، وكنت أجلس إلى جوار شيخ الأزهر الشيخ تاج، وأخذ يدفعني إلى المنبر لأخطب في الجمع الحاشد ولم أكن بحاجة إلى من يدعوني إلى الكلام، فقد جندت نفســـي لهذه المهمة، ذلك أني لا اقدر على حمل الســلاح، وأحســست أن دوري في المعركة هو أن أدعو الناس إلى الجهاد، بلساني، ..وهو أضعف الإيمان ..

وقفت على المنبر، وتزاحمت في فؤادي في دقيقة عابرة صــورة شــاملة عمرها ألف عام منذ ان أنشـــئ الأزهر ..ورحت أســـرد ما كان من أمر هذا المعقل الإســـلامي الكبير الذي تخرج من أروقته الصـــفوة الممتازة من العرب والمســـلمين الذين قادوا ثورات التحرير، لا من المحيط إلى الخليج، ولكن من الأطلنطي حتى الباسـفيكي، وذكرت بالتخصـيص ما كان للأزهر الشـريف من فضـــل عظيم في دفع راية الجهاد ضـــد الغزوة الافرنســـية والاحتلال البريطاني ..وختمت حديثي بالإشارة إلى المقدسات الإسلامية في فلسطين، والى أن خليج العقبة هو طريق الحجيج الإسلامي منذ أن انتشر الإسلام في ديار الشام ..

ونهض المصـــلون من صـــفوفهم، وراحوا يهللون ويكبرون ويهتفون ويصـفقون حتى كادوا أن يخرجوا عن حرمة المسـجد .. ونزلت من على المنبر، وأقبل علي شـــيخ الأزهر يعانقني، وانحنيت على كفيه الثمهما، وكأني أقول لمصــر كلها إن الأزهر هو اعظم (رجل) أنجبته مصــر، وإن شـيخ الأزهر هو (ضـمير) هذا الرجل، وهكذا يجب أن يكون ..لا واحدا من موظفي الدولة شأنه شان باقي الموظفين !!

وكان اللقاء الرابع مع الشعب، في مسجد مولانا الإمام الحسين، ولهذا المسجد حرمة فائقة عند جماهير المسلمين في الديار المصرية ، وتبعتني كاميرات التلفزيون إلى داخل المسجد، وأنا أشق طريقي بين صفوف المصلين، وما أن انتهينا من الصلاة حتى خطبت في الجموع مشيدا بالروابط التاريخية بين مصر وفلسطين، وأن الدفاع عن مصر كان دائما في ساحة ديار الشام وفي مقدمتها فلسطين، وأن المسجد الأقصى قد بناه الأمويون ولكن بخراج مصر لسبع سنين، وأن مصر كانت طليعة الجهاد في عهد صلاح الدين لتحرير فلسطين من الإفرنج، وأن ..وأن .. وختمت كلامي مشيرا إلى استشهاد الحسين صاحب هذا المسجد المبارك، وأنه هو المثل الأروع في التضحية في سبيل الحق، ومن أجل إعلاء كلمة الله .

وهكذا قضيت الشطر الأخير من شهر أيار (مايو)، أنتقل من حي إلى حي، ومن مسجد إلى مسجد، أحدث الجماهير، وكأني من أبناء القاهرة لألف عام او يزيد ..لا من المواطنين العرب الوافدين على مصر، لتكون دار هجرته، إلى أن ييسر الله طريق العودة إلى الوطن الصغير .

كان ذلك هو حال القاهرة، قلب الجبهة الداخلية للمعركة، تنام وتستيقظ على المعركة بكل أحلامها، الأحلام الوردية التي تجسد النصر المؤزر والظفر الأكبر .ولم تكن القاهرة وحدها هي التي تعيش المعركة،فقد كان الوطن العربي كله، هو القاهرة..صحيح أن القاهرة كانت هي التي ترسل (الموجات) إلى دنيا العرب، ولكن هذه (الموجات) كانت بذاتها هي جماع أفئدة الأمة العربية وحصيلة آمالها ومشاعرها ..

حقا، ففي الساعات القليلة التي كانت أقضيها في منزلي، كنت أستمع إلى الإذاعات العربية وهي تردد مشاعر المواطن العربي في الوطن العربي بأسره .. وتفصل أخبار المظاهرات، والاجتماعات، والإقبال على مكاتب التطوع ومعسكرات التدريب ..و..و..

تلك صورة موجزة عن الشعور الشعبي في كل صقع من الأصقاع العربية، في الحواضر والبوادي، في المدن والقرى ..وأحسب أنه كان أكثر عمقا في الخيام .. حيث ينتظر النازحون أن يسارعوا إلى رحلة العودة إلى فلسطين، ليعفروا جباههم في ترابها، ويلثموا أديمها، قبل أن ينزل بهم القضاء والقدر، بعيدا عن مرابع الوطن ..

أما الشعور الرسمي، شعور الملوك والرؤساء، ومن تحتهم من الوزراء والمستوزرين، فقد كان قاصرا على الرغبة والتمني، متفاوتا في العزم على البذل والعطاء ..وتلك هي مصيبة النضال العربي، منذ أن اصبح للامة العربية حكام او أشباه حكام !!

وقد استمعت إلى الصوت الرسمي في ذهابي وإيابي إلى المهرجانات الشعبية، وفي أوقات فراغي، فقد كان الراديو يصاحبني آناء الليل وأطراف النهار.. وأنا صادق حين أقول إني كنت أضعه على وسادتي، قريبا من أذني أستمع وأستمع حتى أنام..ولقد كتبت ما سمعت وهذه بعض النماذج مما سمعت ..من غير تعقيب او تعليق، تاركا لهذه الأحاديث أن تتحدث عن نفسها بنفسها : –

– أدلى اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع السوري بحديث لجريدة الشعب الدمشقية قال فيه (قد أصبحت قواتنا جاهزة ومستعدة ليس فقط لرد العدوان

وإنما للمبادرة لعملية التحرير بالذات ونسف الوجود الصهيوني من وطننا العرب، وأنا كعسكري أرى أن الوقت قد حان لخوض معركة التحرير) (1967/5/19).

– صـــرح الدكتور إبراهيم ماخوس نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية السورية، حين وصوله إلى القاهرة للبحث مع المسئولين في الموقف الراهن، أن (جميع مطارات سورية مفتوحة للطيران المصري، وأن كل قرار يقرره العسكريون سينفذ في الحال، ولا دخل للسياسيين في ذلك، ولتتأكد إسرائيل ومن يشفقون على إسـرائيل أنها سـتواجه ضـربات مصـرية سـورية من جميع الجهات ..) (1967/5/20).

وأدلى وزير الإعلام السـوري السـيد محمد الزعبي بتصـريح إلى وكالة أنباء الشرق الأوسط قال فيه إن (الوقفة الجبارة للقوى الثورية والتقدمية العربية قد أثبتت أن قوة دولة العصـابات ليسـت إلا اقل من نمر من الورق الهش القميء المهتري ... وأن إســرائيل اليوم محصــورة بين فكي الكماشــة: الجيوش العربية المســتنفرة من جهة،وأعمال الفدائيين من جهة أخرى، وهيهات لها أن تفلت من تلك الكماشة) (1967/5/20) .

وتحدث اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع السوري وقائد سلاح الطيران إلى جريدة الثورة الدمشقية فقال (إنه يرى أنه لابد على الأقل من اتخاذ حد أدنى من الإجراءات الكفيلة بتنفيذ ضربة تأديبية لإسرائيل تردها إلى صوابها، وان الوقت قد أزف لخوض معركة تحرير فلسطين، وأن ســلاح الطيران الســوري قد ازداد عدد طائراته، وحصــــل على أنواع من أحدث الطائرات في العالم، كما ارتفعت إمكانات التدريب ومناهجه) (1967/5/20) .

وخطب الرئيس السوري الدكتور نور الدين الاتاسي في المجلس المركزي للاتحاد الدولي لنقابات العمال المنعقد في دورة طارئة في دمشق، فأعلن (أن سورية والجمهورية العربية المتحدة قد اتخذتا ما يلزم، لا لإحباط المؤامرات الاستعمارية والرجعية والعدوان الصهيوني فحسب، بل ولخوض معركة تحرير فلسطين عند أول تحرك عدواني .. وأن أصوات التهديدات الإسرائيلية قد خفتت بعد أن أصبحت إسرائيل بين فكي الجمهورية العربية المتحدة وسورية ..وأن الملك فيصل يقوم بمؤامرة رجعية لاستغلال الشعور الديني في البلاد، وأن زيارته لبريطانية في الوقت الحاضر هي جزء من مخطط استعماري .. وأن دعوة الملك حسين إلى استئناف مؤتمرات القمة هي مؤامرة مفضوحة للتسلل إلى صفوف القوى التقدمية ..وأن الأردن يحشد قواته وقوات المرتزقة على الحدود السورية بدلا من حشدها على الحدود مع إسرائيل .. لقد آن الأوان لخوض معركة التحرير، ولا بد أن تنتصر قوى الحق والتقدم ..والى اللقاء في أرض المعركة..) (1967/5/22) .

ووصل إلى القاهرة الفريق طاهر يحيى نائب رئيس حكومة العراق وهو يحمل رسالة من الفريق عبد الرحمن عارف رئيس الجمهورية العراقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر يعرض فيها (إرسال قوات عراقية من المشاة والمدرعات والطيران إلى الجمهورية العربية المتحدة تأكيدا لوحدة النضال العربي، وتأكيدا لموقف القاهرة الجبار الذي أعلنته بشان قوات الطوارئ) ... (22/ 5/ 1967) .

وأعلن الدكتور أحمد البشتي وزير خارجية ليبيا لوكالة الأنباء الليبية (أن المملكة الليبية تعتبر أي اعتداء على أي بلد عربي عدوانا عليها ..) (1967/5/22).

وألقى المشــير عبد الله الســلال رئيس الجمهورية العربية اليمنية خطابا على الشــعب اليمني من إذاعة صــنعاء أكد فيه (أنه تم إعلان التعبئة العامة للقوات المســلحة اليمنية .. وأنه يجري الآن اتخاذ الخطوات اللازمة لفتح باب التطوع ليتاح لأبناء الشــعب اليمني فرصـــة الجهاد في ســبيل الله والوطن ..) (1967/5/22).

وسلم السيد محمد عيسى الرحيب سفير الكويت في القاهرة رسالة إلى السيد محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة موجهة من الشيخ صــباح الاحمد الصــباح وزير خارجية الكويت يؤيد فيها الجمهورية العربية المتحدة في (دورها الحاسم إزاء التحرشات الصهيونية .. وأن القوات المسلحة الكويتية وضعت في حالة استعداد للمساهمة بأي جهد مع شقيقاته العربيات ..) (22/ 5/ 1967).

وصرح الدكتور يوسف زعين رئيس الوزراء السوري عند وصوله إلى القاهرة ومعه اللواء أحمد سويداني رئيس أركان الجيش السوري قائلا (ليس هناك أي داع للحديث فنحن قادمون من أجل الحرب ..) (1967/5/23) .

وأصــدرت القيادة القومية لحزب البعث نداء ناشــدت فيه (جميع المناضلين التقدميين والمنظمات الشعبية في الوطن العري إلى تنظيم صفوفهم وتلاحم طاقاتهم لينقضــوا في ســاعة الصــفر على جميع الجيوب الرجعية والاستعمارية وليدمروا قواعد الاستعمار واحتكاراته النفطية وخطوط مواصلاته ..) (1967/5/23).

وأعلن الفريق طاهر يحيى نائب رئيس وزراء العراق بأن العراق (يؤيد قرار الجمهورية العربية المتحدة بإغلاق خليج العقبة في وجه الســفن

الإسرائيلية ..) كما أعلن اللواء شاكر محمود شكري وزير الدفاع العراقي بأنه (ستصل قريبا إلى الجمهورية العربية المتحدة قوة عراقية كبيرة مع تشكيل جوي كبير لتعمل جنبا إلى جنب مع جيش الجمهورية العربية المتحدة كطليعة للقوات الزاحفة نحو العدو) (1967/5/23).

وأكد العقيد أحمد المير قائد الجبهة السورية (بان الجيش السوري اصبح معبأ بشكل لم يسبق له مثيل من قبل، وأن الأعمال البطولية للفدائيين يجب توسيعها إلى حرب عصابات ..وأن العرب لم ينهزموا في معركة 1948 على أيدي الإسرائيليين بل من قبل حكام العرب الخونة ..وهذه المرة لن نسمح لهم أن يفعلوا ذلك) (67/5/23) وأوفد العقيد هواري بومدين رئيس مجلس الثورة الجزائري العقيد طاهر الزبيري رئيس أركان الجيش الجزائري إلى القاهرة لإجراء مشاورات مع الجمهورية العربية المتحدة وتأكيد التضامن العربي في المعركة ..) (1967/5/23) .

ووصل الشيخ صباح الاحمد الصباح وزير خارجية الكويت يحمل رسالة من أمير دولة الكويت إلى الرئيس جمال عبد الناصر (تؤكد تضامن الكويت حكومة وجيشا وشعبا ..) وأعلن وزير الخارجية بصدد استخدام البترول في المعركة المقبلة فقال (إننا لا نبخل بالدم في هذه المعركة فكيف بالبترول ..) (1967/5/23) .

ونفى دبلوماسيون سعوديون النبأ القائل (إن الملك فيصل هدد بقطع النفط عن الدول الغربية إذا ما ساعدت إسرائيل في الحرب ضد العرب) (1967/5/23) .

وألقى السيد محمد أحمد محجوب رئيس حكومة السودان خطابا في الخرطوم أعلن فيه (أن السودان حكومة وشعبا يقف بثبات إلى جانب الجمهورية العربية المتحدة وسورية وأن السودان سيتخذ مكانه في الخط الأمامي في حال وقوع عدوان إسرائيلي على أي بلد عربي) (1967/5/23).

وألقى الملك حسين خطابا بمناسبة عيد الاستقلال الأردني خصص معظمه للهجوم على سورية وحملها المسؤولية بصدد (انفجار قنبلة في الرمثا ذهب ضحيتها بضعة عشر قتيلا) ... (1967/5/24).

وبعث العقيد هواري بومدين رئيس مجلس الثورة الجزائري رسالة إلى الرئيس عبد الناصر أعرب فيها عن استعداد الجزائر لإرسال قوات جزائرية مسلحة إلى الجمهورية العربية المتحدة للاشتراك مع الجيش المصري في مجابهة احتمالات الحرب) (1967/5/25).

وخطب الدكتور نور الدين الاتاسي رئيس الدولة السورية في اجتماع جماهيري خطابا طويلا أعلن فيه (أن الأحداث تصاعدت بشكل ينذر بحرب شاملة في الشرق الأوسط .. وأن العمال سيكونون شعلة النضال التي تحرق مصالح المستعمرين وتدميرها) (1967/5/25) .

وأبرق السيد الحبيب بورقيبة الابن وزير خارجية تونس إلى السيد عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة العربية معلنا (ان تونس ستدعم أي قطر عربي يتعرض للعدوان الإسرائيلي) (1967/5/25).

وأرجو أن لا ينسى المواطن العربي أن هذه التصريحات كانت بين التاسع عشر والخامس والعشرين من شهر أيار .. قبل أسبوعين تقريبا من فجر الخامس من حزيران !!

وغير ذلك من الخطب والتصريحات، والرسل والرسالات !!

وإذا كانت هذه هي مواقف الدول العربية كما تجلت على لسان المسئولين فيها،فإن قطاعات أخرى من الرأي العام في الجمهورية العربية المتحدة كان لها صوتها ورأيها وموقفها.

ومن هذه المواقف ما أعلنه السيد محمد حسنين هيكل، وهو الصحفي المصري الذي كان يؤثره الرئيس عبد الناصر لأنه ينشر آراءه دون أن يلقنه إياها، من أن الصدام المسلح بين العرب وإسرائيل (قد اصبح حتميا بفعل الأضرار والمشاكل الاقتصادية التي تلحق بإسرائيل نتيجة إغلاق خليج العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية .. وأنه يجب أن يوجه إلينا العدو الضربة الأولى في المعركة.. ثم تكون الضربة الثانية في المعركة ..وهي ضربتنا الموجهة إليه ردا وردعا إلى أقصى حد مستطاع)..

ومن ذلك أيضا أن صحيفة الأهرام قد نشرت على صفحتها الأولى عنوانا بارزا بأحرف ضخمة،تكاد تصيح، ويقول العنوان(الحرب مع إسرائيل قد تنشب في أي لحظة) (1967/5/24) .

وهذا وزير العمل السيد أنور سلامة، وكأنه مؤهل أن يتحدث في شئون الحرب، خطب في مهرجان الطلاب الجامعيين قائلا(إن قوات الجمهورية العربية المتحدة أصبحت الآن قادرة على الوصول إلى قلب إسرائيل خلال بضع دقائق).

وتحدث اللواء سعد الدين الشاذلي قائد قطاع العريش فأعلن في مؤتمر صحفي (أن الجمهورية العربية المتحدة حشدت من القوات ما يكفي لصد أي هجوم مفاجئ، ثم القيام بهجوم مضاد .. وإننا واثقون من النصر).

ووجمت بعض الشـــيء وأنا أراجع القصـــاصـــات اليومية للصـــحف البريطانية والأمريكانية، وكنت أحرص أن لا أنام قبل أن اقرأها، حتى أعلم ما يدور خارج عالمنا من تعليقات وأخبار، صادقة كانت أو كاذبة ..وخصوصا أن صحف القاهرة لا تنشر من الأخبار الخارجية إلا ما يوصى به .. وعلى الصورة المنقاة المشتهاة !!

ومن أوائل الصحف البريطانية التي ناقشت موضوع الحرب بيننا وبين إســـرائيل، جريدة التيمس اللندنية، فقد كتبت في مقالها الافتتاحي تقول (إن إسرائيل قادرة على حماية نفسـها ضـد أي هجوم بري تقوم به إحدى الدول العربية او بعضـــها، وعلى الرغم من أن الجيوش العربية متفوقة عدديا إلا أن الجيش الإســـرائيلي يتمتع بتدريب أرفع مســـتوى، وقدرة أكمل على اســـتخدام المعدات، وخطوط مواصلاته الداخلية محكمة، وقيادته مركزية فعالة، بينما تفتقر الجيوش العربية إلى هذه المزايا جميعا ..) (1967/5/20) .

ونشـرت جريدة انترناشـنال هرالد تريبيون تحقيقا صـحفيا لمراسـلها في باريس قال فيه (إن المراقبين العسكريين الغربيين يعتقدون أن إسرائيل ستضرب الضـربة الأولى كي تمنع جيش الجمهورية العربية المتحدة وسـوريا من الالتفاف حولها في حركة كماشـــة .. وأن قيادة الجيش الإســـرائيلي لا بد وأن تنصـــح الحكومة الإســـرائيلية بعدم الانتظار طويلا نظرا لتحشـــد الجيوش العربية ..) (1967/5/25) .

ونشـرت مجلة الايكونمسـت البريطانية تحقيقا صـحفيا لمراسـلها في تل أبيب قال فيه (إن الحرب أصبحت حتمية وستكون دموية ..وإن قوة الجمهورية

العربية المتحدة في ســـيناء متفوقة جدا عما كانت عليه في عام 1956 ..ومع ذلك فلا أحد يشك في قدرة إسرائيل على هزيمة الجمهورية العربية المتحدة..).

وقرأت هذه القصـــاصـــات وغيرها من التعليقات الأمريكية والبريطانية، وتكاد أن تكون متماثلة في تقديرها للموقف العسـكري، فانتابني القلق وبدأ رأسـي يترنح بين الشك واليقين !!

ودق جرس التلفون في مكتبي، وأنا اقلب القصـاصـات الصـحفية بيدي وعقلي، وإذا بالسيد سامي شرف مدير مكتب الرئيس، عبد الناصر يقول : حددنا لك موعدا مع سيادة الرئيس، اليوم (1967/5/26) الساعة السادسة مساء :ومدة المقابلة سـاعة على الأكثر، لان سـيادة الرئيس سـيسـتقبل السـفير السـوفيتي بعد ذلك .

قلت له : شـكرا، ويكفيني نصـف سـاعة .. الرئيس عنده مسـئولياته الجسيمة في هذه الأيام، ولا نريد أن نثقل عليه ..

ودخلت على الرئيس في الموعد المحدد، فإذا به أكثر نشـــاطا من أي وقت منذ عرفته قبل خمسـة عشـر عاما، وعبد الناصـر من طراز الرجال الذين يتألقون أمام الشدائد، ويختفون في الأيام الساكنات الهادئات .

وبادرني الرئيس عبد الناصـــر قائلا:فيه إيه عند الأخ أحمد .. وهذه عادته يحب أن يسمع اولا ويتحدث ثانيا ..وهو يسمع مليا ويتحدث جليا ..

قلت : ليس عندي شـــيء أقوله بالتحديد .. أنا طلبت الموعد .. لأني أريد الأمان والاطمئنان ..

قال : (ضاحكا) يا ساتر ..الأمان من إيه ..والاطمئنان على إيه ؟

قلت :الأمة العربية خارج منزلك تصـــيح صـــيحة الحرب، والجيش المصـري محتشـد في سـيناء، والجيش السـوري محتشـد في الجولان، وقد تقع الحرب في أية لحظة، ومن غير إرادتنا..فهل نحن مســتعدون في هذا العام ..وهل هذا هو الوقت الذي نختاره للمعركة ؟ ..

قال : أنا اعرف كل ما تريد أن تقوله..نحن غير مســتعدين لمعركة التحرير، تحرير فلسـطين يحتاج إلى وقت طويل .. هذا أمر لاشـك فيه ..وأنت تعرف رأيي في هذا الموضـوع، وقد أخبرتك به منذ سـنين ..كما أني شـرحت موقفي في مؤتمر الدار البيضـاء في سـبتمبر (1966)، ولهذا فان تحرير فلسطين لم يأت وقته بعد .. لابد لنا من استعدادات أكثر .. لابد لنا من موقف عربي أفضـل .. ولكن نحن أمام معركة دفاعية ..فإذا هاجمتنا إسـرائيل، فنحن قادرون على صدهم. ويظهر أنها معركة مفروضة علينا ..

قلت : ولكن ألا يرى سـيادة الرئيس أنه حتى هذه المعركة الدفاعية كما وصـفتها يجب علينا أن نتجنبها، او نؤجلها لفرصـة أخرى نكون فيها أكثر استعدادا، ويكون الوضع العربي أحسن حالا..

قال : نحن لم نتحرك.. إسـرائيل هي التي بدأت التحرك .. لقد حشـدت قوات ضخمة على سوريا ..وعندنا معلومات وثيقة من مصـادر متعددة تؤكد أن إسـرائيل كانت تعتزم احتلال دمشـق يوم 17مايو، ولولا الإجراءات التي اتخذناها بسـحب قوات الطوارئ الدولية وحشـد قواتنا في سـيناء لاسـتطاعت إسـرائيل أن تغزو سوريا ونحن نتفرج .

قلت : إلى هنا فالموقف سليم جدا .. وهذه وقفة تاريخية من جانب مصر، ومن سيادتك بالذات، ويجب أن تسجل بالفخر والإعجاب ..ولكن ألا تعتقد أن الأمر يتطور إلى ما هو أكبر..

قال : أعتقد أن الأمر قد انتهى بالنسبة لنا في هذه المرحلة ..لقد حققنا ثلاثة نجاحات رئيسية أولا :لقد رفعنا الضغط عن الجبهة السورية وأصبحت إسرائيل تعلم علم اليقين أنها لا تستطيع أن تنفرد بأية دولة عربية وحدها ..ثانيا ..لقد خلصنا نهائيا من قوات الطوارئ الدولية،وثالثا انتهينا من موضوع خليج العقبة، وأعدناه إلى ما كان عليه قبل العدوان الثلاثي، ولن نسمح للملاحة الإسرائيلية في مياهنا الإقليمية بعد اليوم .

قلت :أنا أعلم ان الاتحاد السوفيتي يؤيدنا، ولكن إلى أي مدى إذا نشبت الحرب بيننا وبين إسرائيل ؟

قال :الاتحاد السوفيتي يمدنا بالسلاح والعتاد وبلا حساب، وسيكون إلى جانبنا مهما تطورت الأمور،وأعتقد أنها ستضغط على أمريكا لتضغط على إسرائيل حتى لا يتفجر الموقف .. وهذا طيب في الوقت الحاضر .

قلت :ولكن يجب أن لا يغيب عن البال نوع القيادة السوفيتية الحاضرة..

قال : ماذا تعني ؟

قلت : القيادة السوفيتية الحاضرة ليست فيها عبقرية لينين،ولا وحشية ستالين، ولا ديناميكية خروشوف ..إن القيادة السوفيتية الحاضرة مؤلفة من ثلاثة من الخبراء الفنيين الكبار، وليس عند أحدهم عقل سياسي نافذ .. ان خروشوف الذي عربد على العالم الغربي أثناء العدوان الثلاثي في عام 1956 ليس في

سدة القيادة في هذه الأيام ... والقادة الثلاثة الذين جاؤوا بعده فيهم برودة الخبراء، وتنقصهم شعلة الزعماء . .

قال : يكفينا من الاتحاد السوفيتي في الوقت الحاضر أن يمدنا بالسلاح ..ويصد عنا الولايات المتحدة، ونحن نتكفل ببقية الموقف .

قلت :وما هو الموقف الأمريكي في تقدير سيادتكم في الوقت الحاضر؟

قال : أمريكا على اتصال مستمر معنا ..أمريكا لها مشاغل كثيرة ولا أظن أنها تريد أن تخلق مشكلة جديدة في الشرق الأوسط .. وأعتقد أنها ستضغط على إسرائيل .. ونحن ليس من مصلحتنا في الوقت الحاضر أن نخوض معركة شاملة مع إسرائيل .

وهنا دخلنا في حديث طويل عن السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ومصالحها الاقتصادية والاستراتيجية، وأوجزت للرئيس تعليقات الصحافة الأمريكية والبريطانية عن الأزمة واحتمالات الحرب، وعدنا مرة ثانية إلى الكلام عن احتمالات القتال ..فقال :

المهم أن لا يزداد الموقف توترا، فإذا أمكننا الاحتفاظ بمكاسبنا التي حققناها من غير أن ندخل الحرب، نكون قد وصلنا إلى المرحلة التي حققناها من غير أن ندخل الحرب، نكون قد وصلنا إلى مرحلة طيبة كنا ننتظرها منذ زمن طويل ... المهم أن لا يفلت زمام الموقف من أيدينا ... المهم أن إخواننا السوريين يخففون حماستهم، ولو قليلا ..

قلت :وهذا بيدك أيضا ... إن اتفاقية الدفاع المشترك التي عقدت أخيرا بين القاهرة ودمشق تفرض على سورية أن تتحرك بتنسيق تام مع الجمهورية العربية المتحدة ..

قال : المفروض شيء، والواقع شيء آخر ... البارحة أرسلت إلى إخواننا السوريين أن يوقفوا الأعمال الفدائية لمدة شهر أو شهرين ... الأعمال الفدائية نشطت هذا الأسبوع نشاطا كبيرا ...والإسرائيليون متضايقون كثيرا .. فهل بإمكانك أن تتصل بالإخوان في دمشق .

قلت :الأمور ليست عامرة كما يجب بيني وبين البعث السوري .. وموضوع الفدائيين حساس عندهم ..وقد غضبوا على الفريق عامر لأنه أنذرهم عدة مرات بوقف الأعمال الفدائية إلى أن تستكمل القيادة العربية استعداداتها ..

وامتد الحديث إلى أكثر من نصف الساعة التي قنعت بها، ولم أشأ أن أطيل البقاء، فالرئيس عبد الناصر على موعد مع السفير السوفيتي، ولا بد أن عنده حديثا أهم بكثير من الحديث معي .. وحديثي لا يعدو الأمان والاطمئنان..

وخرجت من منزل الرئيس عبد الناصر في منشية الكبرى، إلى منزلي في الزمالك، والساحات والميادين والطرقات مزدحمة بالجماهير، وهي مزهوة بحمى الحرب، وأحاديث الحرب .

دخلت بيتي، وحسب عادتي في أيام الشدة، وأنا أستغفر الله عن ذلك، توضأت وصليت صلاة المغرب، ودعوت الله بأن ينصرنا ولا يهزمنا .. ولقد صدق معي قوله تبارك وتعالى :

(وإذا مسَّ الإنسان الضُرُ دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما)

صدق الله العظيم

حديث الحرب مع يوثانت

في الأسبوع الأخير من شهر (مايو) أيار كنت أسير حرب، قبل أن تقع الحرب ..

كان ذلك في مكتبي في حي الدقي في القاهرة، فقد حبست نفسي بين ملفاتي وأوراقي، وجهاز الراديو إلى جواري، أنتقل به حول العالم من عاصمة إلى عاصمة .. ألهث وراء التحرك الدولي، لأرى أين وصلت أمورنا مع الأصدقاء والأعداء ..

ولقد اخترت لنفسي هذه المهمة من غير اختيار .. فنحن شعب فلسطين اتخذنا مكاننا في المعركة وانتهى، فقد أصبح جيش التحرير الفلسطيني في غزة جزءا من الجيش المصري، وفي درعا جزءا من الجيش السوري، وفي بغداد جزءا من الجيش العراقي ..وأصبح شعبنا جزءا من الأمة العربية يسري عليه ما يسري على الشعوب العربية الأخرى من تدريب واستعداد، وشعارات ومظاهرات .

وعلى الصعيد العربي فقد تصدى الرئيس عبد الناصر لقيادة المعركة السياسية والعسكرية، والملوك والرؤساء العرب وراءه، أعوان وانصار، بعضهم يسايرونه مدفوعين، وبعضهم يسيرون مندفعين، وآخرون يسيرون متثاقلين .

ولم يعد للأجهزة العربية العامة أي مكان في المعركة ..فالجامعة العربية وراءها ربع قرن من الخيبة والخذلان ليس لها موقع قدم في القيادة العربية الموحدة عطلها الملوك والرؤساء، فقد وأدوها بعد أن ولدوها، فخالفوا توصياتها العسكرية وحجبوا عنها الالتزامات المالية، وأصبح القائد العام للقيادة العربية الموحدة الفريق عامر، ليس فريقا في الأحداث !!

وأنا، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، رأيت أن مكاني هو في مكتبي، أدرس وأحلل وأستنتج، لأجعل دراستي ورأيي في خدمة المعركة، إذا كان هنالك مجال للرأي، في هذا العالم العربي الذي يحتوي ثلاثة عشر ملكا ورئيسا على رأس أمة واحدة !!

وهكذا قنعت، واقنعت نفسي أن دوري أن أقرأ وأسمع .. أن أقرأ الصحافة الأجنبية ..وأن أسمع الإذاعة الخارجية وأن أبحث عن سؤال واحد لا سواه ..هل تبدأ إسرائيل الحرب ومتى ..وأين .. وكيف ؟؟

لقد كان سـؤالي عن إسـرائيل بالذات ..ولم يكن عن العرب فأنا أعلم أن الدول العربية غير راغبة في الحرب ولا قادرة عليها .. وهذا موضـــوع كبير لا تتحمله مذكراتي، ويكفي أن أوجز القول إن الدول العربية كما عرفتها خلال ربع قرن من الزمـان لم تكن قـادرة على الحرب لأنـها غير راغبـة فيـها .. ولم تكن راغبة فيها لأنها لم تكن قادرة عليها .. وهذه المعادلة التي قد تبدو متناقضــة في حاجة إلى كتاب، غير هذا الكتاب ..

وهل ســتحارب إســرائيل، ومتى، وأين وكيف .. ســؤال كبير لا بد أن نلتمس الإجابة عنه في المحافل الدولية، وعلى وجهة التخصـيص في الأوسـاط الغربية، وبصـــورة أخص في الولايات المتحدة ..فان إســـرائيل تلتمس النور الأخضر في البيت الأبيض، في كل ما تواجهه من أزمات..

أقول هذا لا لان إسرائيل مجردة من الإرادة المستقلة، فان إسرائيل تتمتع بكامل استقلالها الفكري والسياسي شعوراً بقدرتها الذاتية، وبتأثيرها على كثير من الأجهزة الرســمية وغير الرســمية في العالم الغربي .. ولكن إســرائيل لا تملك الإرادة الذاتية في موضـــوع خطير، مثل موضـــوع حرب أو لا حرب ..وهي لا تملك الإرادة الذاتية لأنها لا تملك القدرة الذاتية ..فان إســرائيل الدولة – والجيش - والاقتصـــاد - بل والوجود كله نابع من الولايات المتحدة وقرار إســـرائيل حول الحرب والسلام، هو قرار الولايات المتحدة .

ولهذا فقد عشـــت بحواســـي الخمس، هذا الأســـبوع الأخير من شـــهر (مايو) أيار في صـــميم العالم، كالباحث عن الماء في الصـــحراء ..وفي عقلي ســؤال يدور ..وعقلي يدور في الســؤال .. هل تحارب إســرائيل ..ومن هنا فان

جســمي كان في القاهرة، ولكن عقلي كان يجوب الآفاق، يلحق بالأحداث حيثما كانت، والأشخاص أنى كانوا ..

ولقد انشــد انتباهي إلى كلمات صــارمة حاســمة صــدرت عن البيت الأبيض، فقد أصــدر الرئيس الأمريكي لندن جونســون بيانا قال فيه (إن إغلاق خليج العقبة في وجه الملاحة الإســرائيلية يضـــيف بعدا جديدا وخطيرا للازمة الراهنة في الشرق الأوسط .. وإن إغلاقه في وجه الملاحة الإسرائيلية عمل غير قانوني ويشكل خطرا محتملا على قضـية السـلام ..وإن حق المرور البريء في المياه الدولية قضـية حيوية تهم المجموعة الدولية بأسـرها ..إن الولايات المتحدة ملتزمة كل الالتزام بدعم الاستقلال السياسي والسيادة الإقليمية لجميع الدول في منطقة الشرق الأوسط ..) (5/23/ 1967).

وقد غير إيضــاح فقد أوضــح هذا البيان مســاندة أمريكا لإســرائيل في قضــية خليج العقبة، والتزام أمريكا بالدفاع عن إســرائيل والحفاظ على ســيادتها واســـتقلالها. وكان هذا البيان موجها إلى الأمة العربية، وخاصــــة إلى القاهرة ودمشق .

وقد وضـــحت المعاني التي يحملها بيان الرئيس الأمريكي، بصـــورة خاصــة، حين صــرح دين راســك وزير الخارجية الأمريكي في اليوم ذاته بأن (الموقف حســاس جدا في منطقة الشــرق الأوســط ..وأنه لا يعلم إذا كانت الولايات المتحدة ستجد نفسها مجبرة للتدخل بالقوة المسلحة في الشرق الأوسط ..).

وازداد الأمر وضوحا على وضوح حين أصدرت السفارات الأمريكية في الشـرق الأوسـط تعليمات إلى رعاياها تنصـحهم (بتجنب السـفر إلى الجمهورية

العربية المتحدة والأردن وإســـرائيل، ومغادرة هذه البلدان إذا كانوا يزورونها في الوقت الحاضر).

وأصدرت وزارة الخارجية البريطانية تعليمات مشابهة تطالب فيها الرعايا البريطانيين (بمغادرة الجمهورية العربية المتحدة وإســرائيل والضـــفة الغربية من الأردن، كما طلبت إلى رعاياها في ســوريا ولبنان والعراق والضــفة الشــرقية من الأردن أن يكونوا على استعداد لمغادرة البلاد في أي وقت) .

وحتى اســتراليا، القارة النائية عن الشــرق الأوســط، فقد نصــحت وزارة خارجيتها رعاياها (بالابتعاد عن إسرائيل والدول المجاورة لها) .

وقد صـــدرت هذه التعليمات الأمريكية والبريطانية والأســـترالية كلها في يوم واحد ..وكأنها على ميعاد .. (23/ 5/ 1967).

والواقع أنه في هذا اليوم ذاته عقد اجتماعان هامان، الأول :في البيت الأبيض في واشـنطن، وقد حضـره الرئيس الأمريكي جونسـون،ودين راسـك وزير الخارجية، وروبرت مكنمارا وزير الدفاع، ووالت روسـتور الصـهيوني مسـتشـار البيت الأبيض، والاجتماع الثاني :في لندن حيث اجتمعت الوزارة البريطـانيـة، لبحث الموقف في الشـــرق الأوســـط ..وتقرر فيه ايفاد الوزير البريطاني جورج طومسون إلى الولايات المتحدة لبحث الموضوع مع المسئولين الأمريكيين .

وفي أوروبا الغربية كان التحرك الســياســي يســير في الفلك الأمريكي البريطاني، ومن أبرز ما قيل في هذا الســياق التصــريح الذي أدلى به الدكتور جوزف لونزوزير خارجية هولنده، حين قال إن (قرار الجمهورية العربية المتحدة بإغلاق خليج العقبة في وجه الملاحة الإســـرائيلية هو عمل قد تعتبره إســـرائيل بمثابة هجوم عليها ..).

وهولنده كما هو معروف من الدول البحرية ذات الشـان، وليس تصـريح وزير خارجيتها بأقل من دعوة مكشوفة لإسرائيل أن تشن الحرب على مصر لأن مصر (قد شنت هجوما عليها)على حد تعبير وزير الخارجية الهولندية !!

ولعل هذه الدعوة المكشوفة للحرب، هي التي دعت رئيس وزراء إسرائيل ليفي اشـكول، أن يطلب إلى كوسـتاباسـيو رئيس حكومة فنلندة، الذي كان يقوم بزيارة لإسـرائيل لمدة أسـبوع، بأن يقطع زيارته في يومها الثالث (بأسـف عميق بالنظر إلى خطورة الأمن في المنطقة ...) (1967/5/23).

وجرت الدانمارك على غرار هولنده، فقد أعلن رئيس حكومتها جنيس اوتوكراج أن قرار الجمهورية العربية المتحدة بإغلاق خليج العقبة هو أخطر حادث في الشرق الأوسط منذ أزمة السويس في عام 1956 .. (1967/5/24).

وواضـــح أن التذكير بالعدوان الثلاثي لعام 1956 هو دعوة أخرى لإسرائيل للقيام بعدوان مماثل، منفردة أو مع شركاء ..

ولكن الأوركســترا العالمية الكبرى، المسـماة بالكونجرس الأمريكي، هي التي دقت طبول الحرب ..الحرب ضد مصر وسوريا، فقد أصدر ستة وتسعون عضـوا من أعضـاء الكونجرس الأمريكي بيانا شـديد اللهجة طالبوا فيه (باتخاذ إجراء حازم من شانه أن يقاوم العدوان على إسرائيل ..باعتبار أن مصر وسوريا تهددان إســرائيل ..وأن الحرب واقعة لا محال إذا لم تعمل الولايات المتحدة بقوة وثبات .. وأن خطاب عبد الناصـر في سـيناء كان بالفعل أعلانا للحرب ..وأن حكومة الولايات المتحدة في عهود رؤسائها ترومان وايزنهاور وكندي وجونسونقد أعلنت المرة بعد المرة عزمها على مقاومة أي عدوان في الشـــرق الأوســـط ..

وإتخاذ جميع الإجراءات الكفيلة بإيضـاح الموقف الأمريكي لأولئك الذين يريدون تدمير إسرائيل ..)(1967/5/24).

ولم يقف الأمر عند حدود التصـريحات فقد بدأت مرحلة التحركات، وأخذت الولايات المتحدة بزمام المبادرة، كأنما أصـبحت إحدى ولاياتها مهددة بغزو خطير، فقد فوجئ العالم برحلة جوية خاطفة قام بها الرئيس الأمريكي جونسـون إلى كندا للاجتماع مع ليسـتربيرسـون رئيس الحكومة الكندية حيث اجتمع به لمدة ثلاث سـاعات عاد على أثرها إلى واشـنطن، وصـرح الرئيس الأمريكي للصحفيين بان (الطرفين اتفقا على أن الوضع في الشرق الأوسط في غاية الخطورة ..) (25/ 5/ 67) وأضـاف إلى ذلك قوله أن قصـد الاجتماع بالرئيس الكندي بيرسون (لأنه يعتبر واحداً من اعظم الخبراء الأحياء في شئون الشـرق الأوسـط ..) وقد كان جونسـون صـادقا في هذا التقييم فان الرئيس بيرسـون معروف بعدائه الشـديد للامة العربية .ولقد لعب دور (الفارس)أثناء رئاسته للجنة السياسية للأمم المتحدة في عام 1948 حين أصدرت توصيتها المشؤومة بتقسيم فلسطين ..وإنشاء إسرائيل ..

وقبل ذلك بيوم واحد (24/ 5/ 1967)اسـتمع العالم إلى أنباء رحلة أخرى، مختلفة الهدف والوسيلة، فقد طار جورج براون وزير خارجية بريطانيا إلى موسكو واجتمع بالقيادة السوفيتية الثلاثية .. – بريجنيف، كوسيجن، بودجورني – وحاول أن يقنع الاتحاد السوفيتي بأن تتفق الدول العظمى على حل مشـترك لمعالجة الموقف المتفجر في الشرق الأوسط .. غير أن الاتحاد السوفيتي لم يبد حماسـا لهذه الفكرة فقد قال رئيس الاتحاد السـوفيتي اليكسـي كوسـيجن للوزير

البريطاني، على حد تعبير وكالة اليونايتدبرس (إن حل مشكلات العالم لا يعتمد عليكم وعلينا فحسب ..) .

والى جانب هذه التحركات، أطلق المعسكر الغربي بزعامة الولايات المتحدة اقتراحا عمليا، يقصد منه جس نبض الاتحاد السوفيتي وإرهاب الجمهورية العربية المتحدة، وقد سمح لهذا الاقتراح (العملي) بأن يتسرب إلى الصحافة العالمية، فنشرت بأن (الخطط التي تبحثها الدول الغربية الآن هي إنشاء قوة طوارئ بحرية دولية تعمل تحت علم الأمم المتحدة في خليج العقبة .. وأنه في حالة قبول مثل هذه الخطة فان أمريكا تحبذ أن تقوم الدول البحرية بخطوة قوية تشترك فيها الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا لفتح خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية .) (1967/5/27).

وفي إطار الحرب النفسية على القاهرة أعلنت الولايات المتحدة من جهة أخرى بلسان وزير خارجيتها دين رأسك (أن على مصر وإسرائيل التزام الهدوء) ..وأن كل واحد يجب أن ينصح كل واحد بالمحافظة على السلام في هذا الموقف الخطير ..وأن كان ليس على أمريكا التزام بكبح جماح أحد الطرفين ..) (1967/5/27) ..

وببساطة فقد كان معنى التصريح الأمريكي ..أن الولايات المتحدة ليست ملزمة بكبح جماح إسرائيل ..وببساطة أبسط فان التصريح الأمريكي هو بمثابة دعوة لإسرائيل أن تحارب ..ودعوة لمصر أن تلتزم الهدوء والسكينة ..

وقد سبقت الحرب النفسية، حرب دبلوماسية قام بها السفير الأمريكي في القاهرة، في اليوم الذي كان يقدم فيه صورة من أوراق اعتماد ه إلى السيد محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة (1967/5/23) ..فقد

عرض السـفير الأمريكي رأي واشـنطن متمثلا في خمس نقاط تتلخص فيما يلي - :

1- بقاء قوات الطوارئ الدولية إلى أن تعرض المشـــكلة على الأمم المتحدة .

2- أن توافق الجمهورية العربية المتحدة على حرية الملاحة الإسـرائيلية في خليج العقبة..

3- أن تتولى الأمم المتحدة ووكالاتها المســـئولية عن إدارة قطاع غزة لحين تسوية المشكلة .

4- أن تعود القوات المصـرية في سـيناء والقوات الإسـرائيلية في النقب إلى مواقعها الأصلية .

وكان معنى هذه المطالب الخمســـة تحقيق أمر واحد ..وهو أن يبقى القديم على قدمه، كما يقول الفقهاء، وذلك بأن تلغي الجمهورية العربية المتحدة، والرئيس عبد الناصر بالذات، ما قال وما فعل، بدءاً من انسحاب قوات الطوارئ الدولية، إلى إغلاق خليج العقبة .. وفوق ذلك، بل انكى من ذلك، أن يســـلم قطاع غزة للأمم المتحدة !!

وكان من البديهي أن ترفض القاهرة هذه الوســـاطة الأمريكية، فان الولايات المتحدة هي آخر من يصـــلح لدور (الوســيط) فهي الطرف (العدو)، شـــأنها في ذلك شـــأن إســـرائيل ..وهذا هيوبرت همبفري نائب رئيس الولايات المتحدة يبعث إلى مؤتمر ضم عدة مئات من زعماء الصـهيونية، برسالة يصف فيها إسرائيل بأنها (صديقة أمريكا العزيزة في التقدم والسلام ..وأن إسرائيل منارة

لجميع الشعوب في الشرق الأوسط وخارج الشرق الأوسط، وضوؤها هو رسالة الأنبياء الكونية، رسالة الحرية والإنسانية ..) (1967/5/28).

بل كيف يمكن أن تكون أمريكا وسـيطا لحل الأزمة، وفيها كما في بريطانيا منظمات صهيونية تجاهر باستعدادها للوقوف إلى جانب إسرائيل في السلم وفي الحرب ..وهذا الدكتور امانويل جاكوبوفيتش كبير حاخامي اليهود في بريطانيا يدعو، في اجتماع كبير نظمه مجلس ممثلي اليهود البريطانيين، (إلى فرض ضريبة دخل عن كل فرد يهودي في جميع أنحاء العالم، ولتجنيد عشرات ومئات الألوف من الشـبان اليهود الذين يكونون مسـتعدين لدى أول مخابرة هاتفية من إسـرائيل للاستجابة للطلب ..وأن المجتمعات اليهودية في بريطانيا وأمريكا واسـتراليا مرتبطة بمعاهدات دفاع مشـترك مع إسـرائيل ..وإذا طلبت إسرائيل فستكون تحت امرتها ...) (1967/5/20).

ولو كان الأمر قاصـرا على تصـرف المنظمات الصـهيونية في أمريكا وبريطانيا وغيرها لجاز أن نعزل الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة عن نشاط الصـهيونية حتى ولو على صعيد (التضـامن العسكري) كما أعلن كبير حاخامي اليهود في بريطانيا، ولكن الأمر اخطر من ذلك بكثير فان الولايات المتحدة نفسـها وهي أكبر دولة في العالم غارقة إلى الأذقان بتبني الأهداف الصـهيونية والالتزام بحمايتها، والعمل على تنشـيطها وتشـجيعها، فقد كانت الولايات المتحدة في هذا الشـهر – أيار – وهو شـهر الأزمة تسـلك طريقين متوازيين :الأول المساندة الإيجابية لإسرائيل عسكريا وسياسيا، والثاني : تخدير الدول العربية وترويضـها وحملها على التراجع، وتوجيه هذا الجهد نحو الجمهورية العربية المتحدة، باعتبارها تحتل مكانة الرأس من الجسد .

واني لأذكر أن الرئيس جونســـــون قد تولى بنفســـــه محاولة التخدير والترويض فقد بعث برســالة خاصـــة إلى الرئيس عبد الناصــر يقترح فيها ايفاد نائبه، هيوبرت همفري لمشافهة الرئيس عبد الناصر بصدد الأزمة، والبحث عن حلول للخروج منها .. (23/ 5/1967).

وقد أعد مكتب الرئيس العربي جوابا عن رســالة الرئيس الأمريكي، وقد اتصــل بي الســيد ســامي شــرف مدير مكتب الرئيس يطلب إلى أن أوافيه إلى مكتبه لاطلع على الرســالة والجواب، لأن (ســيادة الرئيس يحب يعرف رأيك .. فالموضوع كله يتصل بالقضية الفلسطينية ..).

وقد كانت رســـــالة الرئيس الأمريكي، كما توقعت، تأييدا لوجهة نظر إســرائيل، لا محاولة للبحث عن حل عادل للازمة ... فقد تناولت الرســالة ثلاثة مواضــيع ... قوات الطوارئ الدولية – خليج العقبة – حشد القوات المصرية في سيناء – عولجت كلها من وجهة النظر الإسرائيلية، بفارق واحد، هو أن الرسالة كتبت باللغة الأمريكية بدلا من اللغة العبرية !!

وقد جاء في ختام رسالة الرئيس جونسون عبارة أصبحت ملكا للتاريخ، وليس للتاريخ أن ينساها ..فقد قال الرئيس الأمريكي (وليس لدينا سبب للاعتقاد بأن أحداً من أطراف اتفاقات الهدنة بين الدول العربية وإســــرائيل لديه النية في ارتكاب عدوان ..وتستطيع حكومة الجمهورية العربية المتحدة والحكومات العربية الأخرى أن تتأكد بيقين وأن تعتمد على أن حكومة الولايات المتحدة تعارض معارضة صارمة أي عدوان في المنطقة من أي نوع ..).

وكان جواب الرئيس العربي على رسالة الرئيس الأمريكي موفقا وحازما ... ولم أقترح فيه تبديلا أو تعديلا، إلا كلمة مكان كلمة وعبارة قبل عبارة .

وقد شرح الرئيس عبد الناصر موقفه من هذه القضايا الثلاث شرحا موضوعيا، فبالنسبة إلى الحشود المصرية في سيناء، فصل الرئيس عبد الناصر مسالة الحشود الإسرائيلية على حدود سوريا وتهديدات المسئولين الإسرائيليين بالعدوان على سوريا، وخلص إلى القول إنه (كان طبيعيا عندئذ أن تقوم الجمهورية العربية المتحدة بمسئوليتها وأن تتخذ كافة الإجراءات التي يتطلبها العمل دفاعا عن الوطن العربي ضد العدوان المدبر) وكانت الإشارة إلى (الوطن العربي) سديدة ورشيدة .

وبالنسبة لسحب قوات الطوارئ الدولية، فقد أوضح الرئيس عبد الناصر أن (الإجراءات التي اتخذتها الجمهورية العربية المتحدة بالنسبة لتقدم قواتها المسلحة إلى مواقعها الأمامية حتى تكون قادرة على مواجهة تطورات الموقف وعلى التدخل ضد الغزو الإسرائيلي المدبر فقد قررنا ضرورة انسحاب قوات الطوارئ الدولية حرصا منا على سلامتها ..).

وفيما يتعلق بخليج العقبة فقد أكد الرئيس عبد الناصر (انه كان منطقيا أن مارسنا حقوق سيادتنا الثابتة على مضيق تيران وعلى مياهنا الإقليمية في خليج العقبة بعد أن تقدمت قواتنا المسلحة واحتلت منطقة شرم الشيخ المطلقة على مضيق تيران ... وأن الجمهورية العربية المتحدة قد مارست قبل العدوان الثلاثي حقوقها القانونية الثابتة إزاء الملاحة الإسرائيلية في المضيق وفي الخليج ..وموقفنا في هذا ثابت شرعا، وهو يستهدف إزالة آخر أثر للعدوان الثلاثي، إعمالا للمبدأ الأخلاقي الذي يقضي بعدم مكافأة المعتدي على عدوانه ..).

ولم يكتف الرئيس عبد الناصـــر بالإجابة عن الأمور الثلاثة التي أثارها الرئيس جونسون، ولكنه أبرز موضوع القضية الفلسطينية .ولعل هذا هو السبب الذي دعا الرئيس عبد الناصر أن اطلع على الرسالة الأمريكية والجواب العربي .

ففي ما يتعلق بالقضـــية الفلســطينية، كان جواب الرئيس عبد الناصـــر حاسما وقاطعا، فقد نبه إلى أن هنالك (تجاهلا كاملا ومؤسفا) لقضية فلسطين التي (تفرض في الواقع حكمها على مجرى الأحداث اليوم، وســـتظل تفرض حكمها في المستقبل ..وأن حقوق شعب فلسطين هي في نظرنا أهم حقيقية يجب الاعتراف بها ..فلقد استطاعت القوة المسلحة المعتدية أن تطرد هذا الشعب من وطنه وتحوله إلى لاجئين على حدود هذا الوطن، وتقف قوى الســيطرة والعدوان اليوم حائلا دون حقهم الثابت في العودة إليه والعيش فيه، رغم قرارات الأمم المتحدة التي كان آخرها في العام الماضي ..).

وبألفاظ أخرى، ولكن في المعنى نفسه، أراد عبد الناصر في جوابه أن يصارح الرئيس الأمريكي لندن جونسون، أن موضوع خليج العقبة، وسحب قوات الطوارئ الدولية، واحتشـــاد الجيوش حول الحدود، إنما هي أمور، على أهميتها، نابعة من القضية الفلسطينية، يمكن الشعب الفلسطيني من العودة إلى وطنه .

وقد كان الرئيس عبد الناصــــر موقفا غاية التوفيق، في إثارة القضـــية الفلســطينية في تلك المناســبة، لان الرئيس الأمريكي قد أكد في رســالته على ضرورة (نسيان الماضي والعمل على إنقاذ الشرق الأوسط بل والعالم كله ..) وجاء عبد الناصر فنبش الماضي، وجعله سبب الحاضر ..وسبب المستقبل ..

وفي الوقت الذي كان فيه البيت الأبيض يوجه رســالته إلى الرئيس عبد الناصر، كان يوثانت الأمين العام للأمم المتحدة في طريقة إلى الشرق الأوسط ..وكان لا بد له أن يقوم بهذه الزيارة لســببين : الأول، هو أن الدول الغربية وعلى رأســها الولايات المتحدة، ومعها إسـرائيل والصــهيونية العالمية، قد شـنت حملة كبرى على الأمين العام للأمم المتحدة تتهمه بالتسرع في الاستجابة لطلب القاهرة بســـحب قوات الطوارئ الدولية، وأنه كان يجب أن يعرض الأمر على مجلس الأمن او على الجمعية العامة للأمم المتحدة، والأمر الثاني أن يوثانت لابد أن يقوم من جانبه بســـعي لتخفيف حدة التوتر في المنطقة، وهذا جزء من واجباته ومسئولياته كأمين عام للمنطقة الدولية .

وقد غادر يوثانت نيويورك (1967/5/23) يحمل رغبة الولايات المتحدة بضـرورة إعادة الحالة في الشرق الأوسط إلى ما كانت عليه، وقد تلقى مثل هذه الرغبة من الحكومة البريطانية في رسالة عاجلة وصلته من لندن وهو في طريقه إلى المطار ..وكان ما يزال في نيويورك ..وقد توقفت طائرته في باريس فاجتمع بأحد كبار موظفي وزارة الخارجية الفرنســـية ..ومرة أخرى وقفت به الطائرة في روما حيث اجتمع بالمنتوري فانفاني وزير الخارجية الإيطالية ..وفي هذين الاجتماعين (الترانزيت) استمع يوثانت إلى رأي باريس وروما في الأزمة ..

والواقع أن يوثانت كان يدرك خطورة الموقف في الشــرق الأوســط، قبل أسبوع ..فقد أعلن في بيان أصدره من مقر الأمم المتحدة (17/ 5/1967) (أن الموقف مليء باحتمالات الخطر ..وأنه لذلك يلغي الزيارة التي كان يعتزم القيام بها إلى كل من لندن وبروكســـل ..) وبعد ثلاثة أيام قدم يوثانت تقرير إلى مجلس الأمن حول تطورات الموقف بالشـرق الأوسـط محذرا من أن الوضـع في

المنطقة بات اكثر خطرا من أي وقت مضـى منذ حرب السـويس ..وأن الوضـع في الشـرق الأوسـط خطر بالنسـبة للعلاقات بين الدول العربية وإسـرائيل وبين الدول العربية نفســها ..وأنه صــدرت في الأســابيع الأخيرة تقارير من إســرائيل منســوبة إلى كبار المســئولين تحمل تهديدات تزيد من خطورة الوضـــع وحدة الانفعال ..وأنه ترددت في الأيام القليلة الماضــــية أنباء وتحركات وحشـــود، خاصة على الجانب الإسرائيلي من الحدود ..) (1967/5/20) .

تلك كانت الصورة العامة في ذهن يوثانت حين اعتزم السفر إلى الشرق الأوسط ليعالج المشكلة على الطبيعة، كما يقولون .

ولم يكد يصل يوثانت عشية ذلك اليوم إلى القاهرة – إلى اوتيل هيلتون – حتى كنت في غرفته، فان بيننا صداقة منذ سنين، وقبل أن يصبح أمينا عاما للأمم المتحدة، حين كان المندوب الدائم لبلاده في الأمم المتحدة، وكان له نشاط بارز في الكتلة الآسيوية الإفريقية وخاصة فيما يتعلق بقضية الجزائر .

وتبادلنا التحية، كما تبادلنا ذكريات أيامنا الســابقة، فقد تغيرت مواقفنا، فقد أصـــبحت رئيســا لمنظمة التحرير الفلســطينية بعد أن كنت رئيســا للوفد الســعودي، وهو أصـــبح أمينا عاما للمنظمة الدولية، بعد أن كان رئيس البعثة الدائمة لبلاده أمام الأمم المتحدة .

وفاجأني يوثانت بالسؤال مازحا : أين وصلت في تحرير فلسطين ..

قلت : لا زلنا في أول الطريق – وإذا أيدتنا في الأمم المتحدة يمكننا أن نقطع شوطا على الطريق ..

قال : ومار أيك في الموقف الحاضر ؟

قلت : كل الظواهر تدل أن إسـرائيل ماضـية في طريق الحرب .. وهي تسـعى ألان للحصـول على موافقة أمريكا ولو بصـورة ضـمنية .. ولكن ما هو رأيك أنت في الموقف الحاضر؟

قال : لا أظن أن إسرائيل تقدم على الحرب ..أنتم العرب تعرفون أهداف إسرائيل أكثر مني ..وأنا حريص على تهدئة الموقف .. إلى فرصة تنفس ..حتى يمكن البحث عن حل دائم وعادل لكل مشاكل الشرق الأوسط .

قلت :وهل عندك اقتراحات محددة ؟

قال : عندي أفكار عامة ..وليس عندي اقتراحات محددة .

قلت : مثلا ..ما هي هذه الأفكار ؟

قال : وهل تساعدني على إقناع القاهرة بقبولها ..

قلت : (مازحا) بل لعلك ستطلب مساعدة القاهرة لإقناعي أنا بقبولها!!

ودخلنا في أحاديث جانبية عن متاعبه في نيويورك – وعن الجو في القاهرة – وحكاياته مع الأصدقاء المشتركين في الأمم المتحدة .. ولكني عدت مرة ثانية إلى الحديث عن مهمته في القاهرة ..

قلت : والآن ما هي أفكارك العامة بصدد المشكلة ؟

قال :أرى أن تبتعد القوات المسـلحة عن خطوط الهدنة كما كانت في الماضي..

قلت :إذا كانت إسـرائيل تسـحب قواتها، فأعتقد ان مصـر حاضـرة لان تسحب قواتها ..

قال :ونعمل على إعادة (وجود الأمم المتحدة)بصورة او بأخرى .

قلت : إذا كانت إسرائيل تقبل بأن يكون وجود الأمم المتحدة في جانبها، فأعتقد أن مصر موافقة على ذلك من جانبها ..أيضا .

قال: لا أعتقد أن إسرائيل توافق على ذلك ..

قلت : وكيف يمكن للأمم المتحدة أن تطالب عبد الناصر بذلك، بعد أن انسحبت القوات الدولية من سيناء ..وحلت القوات المصرية محلها ..ولا بد أنك علمت أن اشكول رئيس الوزراء الإسرائيلي ألقى في الليلة الماضية بيانا في الكنيست انتقدك فيه للطريقة التي عالجت بها موضوع سحب قوات الطوارئ الدولية، وأن قرارك الفوري بالموافقة على سحب القوات الدولية (قد أصاب الجميع بالدهشة، وأنه كان يجب الاتصال بإسرائيل لاستشارتها ..) (1967/5/22).

قال : ولكن لو استشرتها .. هل ستوافق على سحب قوات الطوارئ؟

قلت : ومن أين لها أن توافق ..وقد قامت طائرتان إسرائيليتان باعتراض طائرة الأمم المتحدة التي كانت في طريقها من السويس إلى غزة مقلة الجنرال ريكي قائد قوات الطوارئ الدولية، وحاولت إرغامها على الهبوط داخل إسرائيل ..وأطلقت عليها النار ..لقد كان من الممكن ان تنفجر طائرة الأمم المتحدة في الجو، ويسقط الجنرال ريكي جثة ممزقة في داخل إسرائيل (1967/5/18).

قال : مع الأسف لقد كان ذلك ممكنا .

قلت : هذا هو مبلغ احترام إسرائيل للأمم المتحدة .

قال : وقوات جيش التحرير التي احتلت المواقع الأمامية من خطوط الهدنة ؟

قلت :إن قواتنا قد أصبحت جزءا من الجيش المصري ..وما يجري على الجيش المصري يجري عليها ..

قال : وموضوع خليج العقبة ..ألا يمكن الوصول إلى حل وسط ..؟

قلت : لقد حسم عبد الناصر موضوع خليج العقبة نهائيا .. وأنت تعلم أن عبد الناصر طعن في شرفه وأمانته وكرامته في موضوع خليج العقبة ..فقد اتهمه بعض المسئولين العرب بأنه وقع اتفاقا سريا مع سلفك داج همرشلد، اعترف فيه لإسرائيل بحق الملاحة في خليج العقبة..

قال :في ذهني مخرج معقول .. لعله يكون مقبولا من الجميع..

قلت :وما هو ؟

قال : يظل خليج العقبة مفتوحا للملاحة الدولية ومنها إسرائيل، إلى أن تنظر الجمعية العامة في الموضوع .

قلت : إن موضوع خليج العقبة هو جزء من القضية الفلسطينية .

والقضية الفلسطينية وصلت إلى هذه الأزمات بسبب سياسة الأمم المتحدة .

قال :وهل سنظل أمام الأزمة من غير حل .. ؟

قلت :هنالك حل .. ؟

قال : (في لهفة وعجب)وما هو ..؟

قلت :تصدر الأمم المتحدة قرارا يطالب الفريقين بالتزام الهدنة، وعدم إطلاق النار .

قال: ولكن الجيش المصري والجيش الإسرائيلي يقفان وجها لوجه، وقد يمكن أن تندلع الحرب في أية لحظة .

قلت : تصـدر الأمم المتحدة قرارا تدعو الجانبين لسحب قواتهما مسافة عشرين – ثلاثين، خمسين كيلومترا إلى ما وراء خطوط الهدنة .

قال : وموضـوع الملاحة الإسـرائيلية في خليج العقبة ..إنه هو مفتاح الأزمة في الوقت الحاضـر ... ولا سـبيل إلى تجنب الاصـطدام إلا بتسـوية هذا الموضوع .

قلت :وكيف ترى تسوية الموضوع؟

قال : عندي ثلاثة اقتراحات :

الأول :أن يفتح خليج العقبة للملاحة الدولية البريئة بشـرط أن لا تحمل البواخر أية مواد استراتيجية ..

الثاني : يطلب إلى إسـرائيل أن لا ترسـل أية بواخر من جانبها بقصـد اختبار حرية الملاحة ...

الثالـث : أن تمتنع الجمهوريـة العربيـة المتحـدة عن القيـام بـإجراءات التفتيش المعتادة .

قلت :ومن يضمن أن تنفذ إسرائيل تعهدها إذا قبلت بالاقتراح الثاني ؟

قال: سـأقترح على مجلس الأمن أن يصـدر قرارا بهذا المعنى .. وعلى كل حال فانه إجراء مؤقت حتى نخرج من الأزمة الحادة الحاضرة . .

وعند هذه النقطـة من الحديث دخل علينـا الجنرال ريكي قـائد قوات الطوارئ الدولية، فكان لا بد أن اخرج، وقد طال الاجتماع، وجئت من غير موعد ..

وغادرت الفندق، لأجد على أبوابه مظاهرة كبرى أوقفت حركة المرور، واستوقفت عددا من السياح، وكان همهم أن يصوروا ها المشـهد ليعودوا به إلى

بلادهم ويثبتوا لأهلهم وأصـــدقائهم أنهم كانوا في القاهرة أيام المظاهرات ..وكان المتظاهرون يحيون يوثانت ويهتفون (عاش عبد الناصر) (نريد الحرب) (النصر للعرب) ..والويل لامة لا تحقق هتافاتها وشعاراتها!!

وفي طريقي إلى مكتبي، مررت بوزارة الخارجية العربية على النيل، وكانت مصادفة حسنة فلم أجد عند الوزير محمود رياض أحدا، وكان يقرأ آخر ما جاء من التقارير من وفد مصر الدائم لدى الأمم المتحدة .

وفاجأت وزير الخارجية قائلا :إن عندي آخر التقارير ..إن التقارير التي تقرؤها الآن قديمة، لقد تجاوزها الزمن .

قال : وهل مكتب المنظمة في نيويورك أرسل لكم جديدا ؟

قلت :لا ... لم يصـــلني شـــيء ..ولكني جئتك الآن بآخر تقرير ..لقد كنت عند يوثانت منذ لحظة ..

وســـردت للوزير رياض ما دار بيني وبين يوثانت من الحديث حول مهمته وآرائه ... وخرجت إلى مكتبي وفي نفســـي شـــيء من الغبطة، فقد (تجسست)على صديقي يوثانت لصالح أمتي والجاسوسية أشكال وأصناف ...ولم اكن أدري أين أصنف نفسي !!

وعلمت صـــبيحة اليوم التالي أن يوثانت قد اجتمع بالوزير محمود رياض، وصـــدر على اثر الاجتماع بيان موجز جاء فيه (أن الأمين العام للأمم المتحدة اســتمع خلال هذا الاجتماع إلى وجهة نظر الجمهورية العربية المتحدة، وتم تبادل وجهات النظر حول الموقف الراهن في المنطقة ..).

ولكن العكس هو الصـــحيح، فان الوزير رياض هو الذي اســـتمع إلى وجهة نظر الأمين العام للأمم المتحدة ..ولكن تقاليد الدبلوماســـية الهادئة قد

أملت هذه الصيغة لتصور يوثانت بأنه لم يأت إلى القاهرة وهو يحمل مقترحات معينة ..ولكنه جاء يحمل أذنيه ليستمع بهما،ويعود أدراجه، إلى مكتبه في الطابق الثامن والثلاثين من مبنى الأمم المتحدة في نيويورك .

وفي مساء الرابع والعشرين (مايو) استقبل الرئيس عبد الناصر يوثانت بحضور الدكتور محمود فوزي نائب رئيس الحكومة للشئون الخارجية،والسيد محمود رياض وزيري الخارجية ..

وفي صبيحة اليوم التالي – الخامس والعشرين – عقد يوثانت اجتماعا ختاميا مع الوزير رياض، لاستكمال محادثات الأمس ..وقد صرح الأمين العام بعد الاجتماع بأنه (لا يرغب الإفضاء بأية تفصيلات ... ولكنه لا يستطيع أن يقول إن مهمته لم تنجح .. وسيقدم تقريرا عن مباحثاته في القاهرة إلى مجلس الأمن في الوقت المناسب)، كما صرح الوزير رياض من جانبه قائلا (إن مهمة الأمين العام قد نجحت وحققت الغرض الذي جاء من أجله) وهكذا يتفنن الدبلوماسيون في صياغة أحاديثهم سترا للفشل، ولكن في صيغة النجاح!!

وأردت أن أكون فضوليا في ذلك الصباح، ولعلها المرة الوحيدة التي فعلتها في حياتي ..فقد ذهبت إلى الفندق لازور يوثانت (مودعا) ولكن الواقع أني أردت أن أكون (مستقصيا) لأعلم ماذا جرى .. وقد دفعني إلى هذا الفضول هو أن (الكلفة) كانت مرفوعة بيننا، ولكن ما هو أهم من الكلفة أني كنت حريصا أن أعرف ما إذا كان الرئيس عبد الناصر قد قبل حلا وسطا او أنه بقي على صلابته .

وسالت يوثانت وهو ينظر في محفظة أوراقه :عسى ان يكون اجتماعك بالرئيس عبد الناصر ناجحا ..

قال: (ضاحكا) ناصر شخصية جذابة، لقد نسيت مهمتي معه ..

قلت :هذا جواب دبلوماسي .. وأريدك أن تنسى دبلوماسيتك معي ..

قال (مازحا) أنتم شعب فلسطين سبب كل هذه المشاكل .

قلت :هذا صحيح، نحن سبب كل هذه المشاكل ..ولكن مشكلة المشاكل هي الأمم المتحدة.. الأمم المتحدة هي التي قسمت وطننا وشردت شعبنا..ومن هنا نشأت الأزمة ..ولكن كيف رأيت موقف القاهرة .

قال :الحقيقة أنا لا أستطيع أن ألوم الجمهورية العربية المتحدة على أي عمل قامت به ..إن سيناء أرض مصرية ولا يمكن أن تبقى قوات الطوارئ فيها إلى الأبد، وعلى الرغم من مصر ..هذا أمر واضح ..ولكني كنت أفضل أن يؤجل هذا الموضوع إلى فترة أخرى اكثر هدوءا..

قلت :وبالنسبة إلى خليج العقبة ؟

قال : لقد استعرض عبد الناصر الموقف منذ التهديد الإسرائيلي لسورية، وما تبعه من تحرك الجيش المصري، وطلب سحب قوات الطوارئ الدولية، وإن إغلاق الخليج هو النتيجة الطبيعية لهذا الموقف ..وإن الجمهورية العربية المتحدة اتخذت ما اتخذت من إجراءات وهي على استعداد كامل لتحمل المسئولية .

قلت: الآن، وقد انتهت مباحثاتك في القاهرة، هل ترى احتمال وقوع الحرب ..؟

قال : الرئيس عبد الناصر لا يريد الحرب - أما متأكد من هذا الموقف - لقد شرح لي الموضوع كما ورد في خطابه الذي ألقاه في 22 مايو ..وأنه يريد

العودة إلى الظروف التي كانت قائمة قبل العدوان الثلاثي في 1956، ولا يريد أكثر من ذلك . .

ومع هذا فقد وافق الرئيس عبد الناصـــــر على اقتراحي بأن يفتح خليج العقبة للملاحة كالســـابق بعد أن تؤخذ الضـــمانات الكافية ان لا تشـــحن مواد استراتيجية لإسرائيل، وأن لا تقوم ج. ع. م. بأية إجراءات تفتيش ..وبهذا نكون قد كسرنا الحلقة المفرغة، وأعطينا الأمم المتحدة فرصـة لتسـوية الموقف، وفوق ذلك فقد أكد لي أن الجمهورية العربية المتحدة لن تبدأ بإجراء هجومي ضـــــد إسرائيل .

قلت :لقد حصـــلت على هذا التوكيد من القاهرة،فهل تظن أن إســـرائيل تلتزم بهذا الموقف..

قال: لا أعرف ... لا أظن ... لقد أعلنت حكومة إســـرائيل أنها تعتبر إغلاق خليج العقبة بمثابة مبرر للحرب ..ولا أكتمك، فقد أصـــبحت أخشـــى أن يؤدي النزاع بشان خليج العقبة إلى نشوب صدام شامل في الشرق الأدنى ..

وكانت عبارة (صدام شامل) هي النهاية الطبيعية للحديث، فخرجنا معا من الفندق، هو إلى المطار قاصدا نيويورك ..وأنا إلى حي الدقي قاصدا مكتبي، حيث ملفاتي وقصـــاصـــاتي، وجهاز الراديو إلى جانبي، لأعود مرة ثانية أســـير حرب قبل أن تقع الحرب ..وقد أصـبحت أكثر يقينا بأنها أقرب من حبل الوريد ..

وفي طريقي كانت المظاهرات على كل ســــاق وقدم، وكانت الهتافات على كل شفة ولسان، والسياح يمضون في هواياتهم، يصورون ويصورون، لا ينتهي فيلم إلا ويعبأون فيلما آخر ..وهم يحسبون أن القتال بعيد المنال ..

(انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) .

صدق الله العظيم

وجها لوجه أمام الحرب ..

ــــــــــــــ عبد الناصر .. الشرق .. الغرب

ثلاثة أيام سالفة، مضت أخبارها وبقيت آثارها..

لقد مضت أخبارها،لان الزمن يبتلع الأحداث في جوفه فلا يبقي ولا يذر..

وبقيت آثارها، لأنها ضربت جذورها في أرضنا الطيبة..وها نحن نعيش المحنة الكبرى، لست سنوات على احتلال الأرض العربية،بعد خمسة وعشرين عاما على احتلال التراب الفلسطيني، ونحن لا ندري، متى نخلص من الكارثة السابقة، والنكبة اللاحقة..

وهذه الأيام الثلاثة، الماضية الباقية هي :- السادس والعشرون والثامن والعشرون، والتاسع والعشرون من شهر أيار، من عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين ...أكتبها بالحروف حتى لا تنسى او تبلى ..فالأرقام أقرب إلى البلى، وأيسر على النسيان ..ومن يدري فقد تبلى الحروف قبل الأرقام !!

والقليلون القليلون،هم الذين يتذكرون هذه الأيام الثلاثة، فقد طغت عليها الأيام الستة..من حرب حزيران..والناس معذورون، فهم يذكرون الحرب ونتائجها..وينسون ما كان قبلها... ما هو لنا وما هو علينا ..

وفي هذه الأيام الثلاثة، ألقى الرئيس عبد الناصر ثلاث خطب فاصلة، لم يلق مثلهن في حياته العامرة الغامرة، إلا يوم خطب في الأزهر الشريف أثناء العدوان الثلاثي على مصر.

ففي السادس والعشرين خطب في وفد يمثل مؤتمر العمال العرب..وفي الثامن والعشرين أدلى بحديث مستفيض إلى مراسلي الصحافة العربية والعالمية..وفي الثامن والعشرين خطب في أعضاء مجلس الأمة..وبعد أسبوع وقعت الحرب..

وكانت الخطبة الأولى في قصر القبة،وتحدث فيها الرئيس جمال الناصر إلى ممثلي العمال العرب عن الموقف العربي الراهن، فألهب مشاعرهم اولا وأكفهم ثانيا، وألهب وراءهم قلوب الملايين والملايين من الأمة العربية ، ووراء هؤلاء وأولئك ألهب إعجاب الأصدقاء...وضغائن الأعداء..حيثما كان لنا أعداء وأصدقاء،في هذا العالم الرحيب..

وقد أذيع هذا الخطاب عدة مرات على جميع موجات الإذاعات العربية في القاهرة او في معظم العواصم العربية الأخرى،وأقول (معظم) لان الإذاعة السعودية، مثلا،لم تكن تنشر أخبار الرئيس عبد الناصر ولا خطبه..وإن كان الشعب السعودي، ومعه الملك فيصل وإخوانه الأمراء،كانوا يستمعون إلى إذاعة صوت العرب صباح مساء...

وكذلك الحال بالنسبة إلى إذاعة تونس وإذاعة الأردن، ورئيس الأولى وملك الثانية..

ولقد لفت نظري وسمعي مقاطع متعددة في خطاب الرئيس عبد الناصر، وقفت أمامها دارسا، ومراجعا، مستذكرا، كما دفعتني مقاطع أخرى إلى

آفاق فسيحة من الأمل والرجاء، ومن الغليان والفوران، وأصبحت ممزقا بين عقلي وقلبي .

لقد كان عقلي مع عبد الناصر، الذي عرفته في الماضي، شديد الحذر، كثير التقدير، دقيق الحساب، ويرى قضية فلسطين قضية تاريخية، كثيرة العقد، تتضاعف حولها المضاعفات الدولية ...,على قمة ذلك كله موقف الولايات المتحدة الذي لا يسلم أن تخدش إسرائيل في أناملها، أو تمزق أكمامها !!

وكان قلبي مع عبد الناصر، في الحاضر، وقد حقق في خلال أسبوعين ثلاثة انتصارات كبرى :الأول .. سحب قوات الطوارئ الدولية، وكان وجودها جرحا ينزف في جبهة الرئيس عبد الناصر، على مدى عشرة أعوام .. والثاني :إغلاق خليج العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية وهو أول انتقام شريف لثارات قديمة بين عبد الناصر وإسرائيل منذ أن كان محاصرا في الفالوجة في حرب فلسطين عام 1948 ... أما الانتصار الثالث، فهو تعبئة جماهير الأمة العربية، وشحنها وإلهابها، إلى درجة أخرست وألجمت خصومه التقليديين من حكام العرب، وجعلتهم يطفون على سطح المد الشعبي الجارف، وأصبحوا مثلهم مثل عامة الشعب لا حول لهم ولا طول، سوى السمع والطاعة ..

وقد بدا للرئيس عبد الناصر، فيما حسب، أنه حقق هذه الانتصارات من غير ثمن، وأحسب أيضا أن الرئيس عبد الناصر لم يكن يخشى العواقب..

لقد حقق هذه الانتصارات من غير ثمن، لأنه لم يفعل شيئا سوى تحريك القوات المصرية إلى شرم الشيخ، والمواقع الأمامية في جبهة سيناء .

وهو كذلك، لم يكن يخشى العواقب، فها قد مضى أسبوعان (15-30مايو) دون أن يدخل في صدام مسلح مع إسرائيل .. وزاد في اطمئنانه أن

الدول الغربية وعلى رأســـها الولايات المتحدة، قد أخذت على حين غرة في هذه (الضربة) الخاطفة، فلم تدر ما تفعل .. لقد فكرت في إرسال قوات بحرية تشترك فيها الدول الغربية لتفتح خليج العقبة أمام الملاحة، وثار الســـؤال وهل تبقى القوات البحرية الدولية إلى الأبد في المنطقة لتحمي الملاحة الإسرائيلية.. ؟؟

وهكذا اطمأن الرئيس عبد الناصــر إلى أن الضــربة الخاطفة قد أفلحت ..وأنه لم يبق أمامه إلا أن يتجنب الحرب ... وانتظار المعركة الكبرى إلى اليوم الموعود .

وحتى يتجنب الحرب، كان لابد له فيما أحســـب، أن يلجأ إلى الحرب النفســـية .ومن هنا كان خطابه في وفد العمال العرب هو في صـــميم الحرب النفسية، لتجنب الحرب العسكرية .

فقد بدأ خطابه، بعد مقدماته المعتادة قائلا (إحنا أخيرا شـــعرنا بان إحنا قوتنا كافية وان إحنا في دخولنا أي معركة مع إســـرائيل بعون الله نســـتطيع أن ننتصـــر وعلى هذا قررنا فعلا نأخذ خطوات حقيقية..واحنا على ثقة ان احنا إذا دخلنا المعركة نســـتطيع ان ننتصـــر بعون الله) ... وكان هذا الكلام موجها في الواقع إلى إســـرائيل والى أمريكا من ورائها، لإظهار القوة العربية بمظهر القدرة على النصـــر .. وأن على إســـرائيل أن لا تتحرك أية خطوة خارج الحدود، فلن تكون الغالب وقد تكون المغلوب .

وبعد ذلك تناول الرئيس عبد الناصـــر موضـــوع قوات الطوارئ الدولية فقال (كان ناس كثير جدا كانوا بيعيرونا بقوات الطوارئ الدولية .. هل كان أحسـن أن احنا نتكلم أي كلام والا احسـن ان احنا نبني جيشـنا ،وقوات الطوارئ الدولية قاعدة لغاية ما نبني جيشنا ولغاية ما نجهز نفسنا ..واحنا في نص ساعة

نقول لقوات الطوارئ الدولية دي تمشـــي ..يوم ما نجهز بنقول لقوة الطوارئ الدولية دي أمشـي وهذا ما حصـل) وهذا الكلام كان موجها كذلك إلى إسـرائيل والى أمريكا بان الجيش المصـري قد تم بناؤه وتجهيزه وأنه قد اصـبح قادرا على المواجهة ..

أما قول الرئيس عبد الناصـر (كان ناس كثير جدا كانوا بيعيرونا بقوات الطوارئ الدولية) فانه منصـرف إلى الملك فيصـل والملك حسـين وإضـرابهما الذين كانوا يعيرون الرئيس عبد الناصـــر في موضـــوع قوات الطوارئ الدولية بمناسـبة وبغير مناسـبة .. من ذلك ما أعلنه رئيس وزراء الملك حسـين، وصـفي التل، في حديث صـــحفي إلى جريدة الجهاد الأردنية (1967/1/17) قال فيه (إن بن غوريون وعبد الناصـــر عقدا معاهدة جنتلمان بواســطة همرشـــلد،وهذه المعاهدة هي التي أنهت الوجود العسـكري المصـري في سـيناء،ووضـعت قوات الطوارئ الدولية لاستتباب السلم بين الطرفين،وهكذا نرى أن الحرب مع إسرائيل بالنسبة لعبد الناصر قد انتهت رغم كل الشعارات والتهجمات).

وتحدث الرئيس عبد الناصـر عن شـرم الشـيخ،وهو(شـيخ) الأزمة كلها، فقال (بالنسـبة أيضـا لشـرم الشيخ احنا أيضـا هوجمنا من هذه الناحية بواسـطة بعض العرب..معنى اتخاذ هذه الخطوة لازم نكون على اســـتعداد لان ندخل حرب شاملة مع إسرائيل..كان لازم احنا نحسب بحيث ان احنا في يوم ما نكون قادرين على هذا بنروح شرم الشيخ وفعلا نثبت حقوقنا وعلى هذا الأساس أخذت هذه العمليات ..) وأراد عبد الناصـــر بهذا الكلام الواضـــح أن يقول لإســـرائيل وأمريكا، إن إغلاق خليج العقبة يؤدي إلى حرب شـــاملة وإن مصـــر حاضـــرة لها..وقادرة عليها .

وتوكيدا لمعنى الحرب الشـــاملة مع إســـرائيل،بل توكيدا لعواقبها على وجود إسـرائيل نفسـه، مضـى الرئيس عبد الناصـر يقول(فإسـرائيل إذا بدأت بأي عمل عدواني ضـد سـوريا وضـد مصـر فحتكون المعركة ضـد إسـرائيل معركة شـــاملة،مهيش معركـة محصـــورة في حتـة اودام ســـوريا، وفي حتـة اودام مصـر ،المعركة حتكون شـاملة وحيكون هدفنا الأسـاسـي هو تدمير إسـرائيل،واحنا نقدر نعمل كده) وكان هذا التهديد (بتدمير إسرائيل) هو قمة الحرب النفسية التي شـنها الرئيس عبد الناصـر إذا..إذا بدأت إسـرائيل بالعدوان،وان تدمير إسـرائيل سيكون هو الهدف الذي يقدر عليه إذا ..إذا بدأت إسرائيل بالعدوان..

وأضـــاف الرئيس عبد الناصـــر توكيدا على هذا التوكيد حين قال (هذا الكلام يمكن مكنتش اقدر أقوله من خمس ســـنين ومكنتش اقدر أقوله من ثلاث سنين..ولو كنت مش قادر مكنتش مستعد أقول هذا الكلام يبقى كلام فاضي ولا قيمة له..)

وإثباتا للقدرة العربية على تدمير إسرائيل، قدم الرئيس عبد الناصـر دليله على ذلك فقال (وبالنسـبة للمخطط العسـكري فيه تنسـيق كامل للعمل العسـكري بيننا وبين ســـوريا، وعملنا حيكون كعمل جيش واحد في معركة واحدة من أجل هدف واحد هو هدف الأمة العربية ..أنا واثق وعارف إيه اللي عندنا وعارف إيه اللي عندنا في مصـر وعارف إيه عند سوريا .. أيضـا النهاردة العراق دخلت قوات إلى سوريا،الجزائر حيبعت قوات، الكويت أيضـا حاتبعت لنا قوات، هيبعتوا لنا مدرعات وحيبعتوا كتائب مشـــاة.دي قوى عربية وده الشـــعب العربي فعلا الحقيقي للامة العربية اللي كانت يمكن تشعر بشيء من اليأس ..) وقد أراد عبد الناصـر بكلماته هذه أن يخاطب إسـرائيل والعرب معا .. فقد أنذر إسـرائيل بأن

الأمة العربية كلها ستكون في هذه المعركة بجيوشها .. وحذر الأمة العربية من اليأس ..وأن الذي فات فات، وأن النصر آت ..

وانتقل الرئيس عبد الناصر بعد ذلك إلى توسيع ميدان الحرب النفسية لتشمل الدول الغربية في مجموعها فقال (لازم نعرف ونأخذ الدرس الكبير النهار ده .. وبنشوف ان فعلا أمريكا تأخذ وجهة نظر إسرائيل ماية في الماية ..وبريطانية بتتحيز لإسرائيل ماية في الماية، والغرب واقف مع إسرائيل .. من الواضح ان أمريكا دي عدو العرب لأنها تنحاز إلى إسرائيل انحياز كامل، من الواضح ان بريطانيا هي عدو العرب لأنها تنحاز أي إسرائيل انحياز كامل ..وعلى هذا الأساس يجب ان نعامل أعداءنا .. ونحن نستطيع ان نعامل كأعداء لان احنا فعلا دول لها قيمة ودول لها مكان في العالم) ..وكل الذي قصد إليه الرئيس عبد الناصر من تهديد الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة انه يتمتم عليهم حفاظا على مصالحهم في الوطن العربي، ان يكبحوا جماح إسرائيل وأن يحولوا بينها وبين القيام بأية مغامرة عسكرية، ستفضي إلى تدمير إسرائيل، والى تدمير المصالح الغربية في العالم العربي أجمع .

هكذا كان الرئيس عبد الناصر يفكر، وهكذا كان يحسب ويقدر، في 26 مايو، ولقد جاءني وفد العمال العرب زائرا لمكتبي في اليوم نفسه..جاؤوا إلي والحماسة تطفح على وجوههم، فلقد استمعوا إلى عبد الناصر وهو يحدثهم بأعز آمالهم، وقد انتظروا عليها أعواما طوالا، ولاقوا في سبيلها اهوالا شدادا ..

قالوا: ما رأيك في خطاب الرئيس عبد الناصر ..أنه خطاب عظيم ورائع .. أليس كذلك؟؟

قلت:انه خطاب عظيم بلا شك ..ولكن عظمته لا تتحقق بكلماته، وإنما بأعمالكم انتم العمال..

قالوا: نريد مزيدا من الإيضاح..ماذا تعني ..؟

قلت : العمال يؤلفون الســـواد الأعظم من الأمة العربية ..وإن العمال يسـتطيعون أن يترجموا أقوال عبد الناصـر إلى أعمال ..إن عبد الناصـر بمفرده لا يســتطيع أن يحارب وان ينتصــر ..عبد الناصــر يســتطيع أن يحارب بكم وينتصـــر بكم ..ان عبد الناصـــر ليس الجيوش العربية ..بل إنه ليس الجيش المصـري ..وإذا حارب كل جندي وكل ضـابط نستطيع أن نحقق النصـر ..وأن الخطب وحدها لا تحارب ولا تنتصر!!

قالوا :وما رأيك في مســـتوى الجيوش العربية في هذا العام ..هل هي قادرة على تحقيق النصر؟؟

قلت :أرجو أن لا نخوض في هذه الأمور ..المســائل العســكرية أمور فنيــة ومن أخطر الأمور أن يخوض المـدنيون إلا إذا كــانوا على علم تــام بالتفاصــيل..وأنا لا أعلم ..ولكن الذي اعلمه أننا إذا قاتلنا متحدين، وصــابرين، وعازمين فلابد لنا أن ننتصـــر .. ولكن إذا كنا ســـنقاتل كما فعلنا في 1948، فسنكرر المأساة ..

قالوا : ومار أيك في موقف الاتحاد الســوفيتي إذا نشــبت الحرب بيننا وبين إســـرائيل .. لقد قال الرئيس عبد الناصــــر في خطابه اليوم (ان الاتحاد السوفيتي مع العرب ومع الأمة العربية ضد أي تدخل وأي عدوان ..).

قلت :أريدكم أن تعلموا حقيقة واحدة ..ان الاتحاد السوفيتي لا يدخل أي حرب من أجلنا، ومن أجل تحرير وطننا، الاتحاد الســوفيتي لا يحارب إلا دفاعا

عن وطنه ..يجب علينا أن نعتمد على أنفسنا وأن نحارب بأنفسنا ..إن الاتحاد السوفيتي يمدنا بالسلاح ..ولا يمدنا بإرادة القتال ..نحن نشكر للاتحاد السوفيتي معاونته العسكرية ومساندته السياسية ..ولكن هذه الحرب التي نواجهها مع إسرائيل هي حربنا وحدنا .. الاتحاد السوفيتي لم يحارب من أجل فيتنام، فهل يحارب من أجلنا ؟؟

قالوا : وهل تتوقع من أمريكا أن تتدخل لصالح إسرائيل ..

قلت : أمريكا هي العدو ..ولا أستبعد عنها شيئا ..وأمرها مع إسرائيل، يختلف عن أمر الاتحاد السوفيتي مع العرب ..

قالوا :ولماذا لم يتحدث الرئيس عبد الناصر عن تدمير المنشآت البترولية في خطابه ..لقد استطاع العمال السوريون أن يفجروا أنابيب البترول أثناء العدوان الثلاثي في عام 1956.

قلت : حكاية التهديد باستخدام البترول كسلاح في المعركة حكاية قديمة ..الولايات المتحدة لا تخشى هذا التهديد لأنها تعرف أنه لا ينطوي على جدية ..ومن الخير أن عبد الناصر لم يتعرض لهذا الموضوع حفاظا على البقية الباقية من كرامتنا ..

قالوا :وهل تظن أن إسرائيل ستكون البادئة بالحرب ..؟

قلت :المعلقون العسكريون الأجانب يكادون أن يكونوا على إجماع بان إسرائيل ستوجه الضربة الأولى ...وأعتقد أن هذا التقدير صحيح ..

قالوا : ولماذا لا نكون نحن البادئين ..؟

قلت (ضاحكا) : الخطاب خطاب عبد الناصر .. ولماذا توجهون إلي الأسئلة .. كان الأحرى أن تناقشوه وتجادلوه .. كان يجب أن تظهروا (شطارتكم) عند عبد الناصر لا عندي!!

وانصـــرف الاخوة العمال وهم في هرج ومرج، ولم يكن يدري أحد أن خطاب عبد الناصـــر في ذلك اليوم لن يكون واحداً من خطبه الكثيرة، بل واحد من خطب الحرب، وأن أسئلة العمال حوله ستكون في المستقبل القريب والبعيد أسئلة الدارسين والمؤرخين، الأصدقاء والأعداء، سواء بسواء .

ذلك كان أمر الخطبة الأولى للرئيس عبد الناصر ..أما الخطبة الثانية، فقد كانت بمثابة بيان ألقاه الرئيس عبد الناصر في الثامن والعشرين من شـهر أيار .. في مؤتمر صـحفي حضـره مندوبو الصـحافة، وممثلو وكالات الأنباء والإذاعة والتلفزيون العربية والدولية ..

وكان أعظم مؤتمر صـــحفي شـــهدته القاهرة ... وقد عبأت الجمهورية العربية المتحدة كل طاقاتها الإعلامية للإعداد له ولإنجاحه ... والجهد الإعلامي في مصر أصبح مهارة قومية فريدة فاقت كثيرا من الأمم .. وقد كنت أدعو الله، وسـأظل، أن تبرز في مصـر مهارات أخرى غير الإعلام العرمرم، وغير النكتة البارعة ... فان في مصـــر مهارات كثيرة، معزولة او مجهولة... والواقع أن هذا المؤتمر الصـــحفي كان حملة أخرى من حملات الحرب النفســية التي أراد أن يشنها على إسرائيل، وعلى الذين يساندون إسرائيل ..

ومن البداية، وضـــع الرئيس عبد الناصـــر العالم كله أمام قنبلة موقوتة تنتظر ســاعة الانفجار، وأن عقارب الزمن تتأرجح بين الحرب والســلام، فقد أعلن في مطلع حديثه (أن الموقف قد يعني الســـلم او الحرب بالنســـبة للامة

العربية كلها بما ينتج عن ذلك من آثار وردود فعل حتى خارج العالم العربي ..‏.‏. ونحن أمام مسالة تتعلق بقضية الحرب والسلام...) وهذا الكلام يشد انتباه الرأي العام، بقدر ما يمكن أن يكون للرأي العام من أثر على السياسية الدولية...

ومن غير مقدمات قفز الرئيس عبد الناصر إلى لب الموضوع .كما لم يفعل في حياته السياسية منذ أن انطلق في 23 يوليو من عام 1952 .. فلقد عالج الرئيس عبد الناصر قضية فلسطين في مناسبات متعددة، سواء في المؤتمرات العربية الشعبية والرسمية، او في الأحاديث الصحفية للمراسلين الأجانب، او في خطابه المعروف في الأمم المتحدة في دورة 1960..ولكنه في هذا المؤتمر الصحفي الذي نحن بصدده، قد تجنب الأسلوب الدبلوماسي والأوضاع الرسمية كرئيس دولة، وتحدث بلسان المواطن العربي على فطرته وسجيته ..

ومن هذا المنطلق القومي أعلن الرئيس عبد الناصر أن (المشكلة التي نعيش فيها الآن جميعا ونهتم بها ساسة وصحفيين وجماهير .. ليست مشكلة مضايق تيران وليست مشكلة سحب قوات الطوارئ .. هذه عوارض طارئة لمشكلة أكبر وأخطر، تلك هي مشكلة العدوان الذي وقع وما يزال وقوعه مستمرا على وطن من أوطان شعوب الأمة العربية في فلسطين وما يعنيه ذلك من تهديد قائم باستمرار ضد أوطانها جميعا ..هذه هي المشكلة الأساسية ..) .

ثم أراد عبد الناصر أن يرد على الدول الغربية والولايات المتحدة بصورة خاصة، التي كانت تطالب دائما بنسيان القضية الفلسطينية باعتبار أنها قضية ماضية تجاوزها الزمن، فقد صارحهم قائلا(الذين يتصورون أن القضايا

المصـيرية للأمم والشـعوب يمكن ان تموت بمرور الوقت او أن يصـيبها الزمن بأعراض الشــــيخوخة يقعون في خطأ كبير ..إن الأفراد يصـــــابون بأمراض الشيخوخة ومنها النسيان ولكن للشعوب وجود حي متجدد الشباب ..) .

وعاد بعد ذلك إلى الحديث عن مضـــــايق تيران وقوات الطوارئ الدولية مؤكدا أن الموقف لا رجعة فيه فقال (مضــــايق تيران مياه إقليمية مصــــرية ولقد طبقت عليها حقوق السـيادة المصـرية ..وموضـوع سـحب قوات الطوارئ الدولية هو الآخر أمر لا خلاف عليه .. فلقد جاءت هذه القوات في ظروف المؤامرة الدولية إلى أرضـنا بموافقتنا وقد سـحبنا هذه الموافقة، واسـتجاب السـكرتير العام للأمم المتحدة بأمانة ونزاهة وشــــرف .. وانتهى أمر هذه القوات تماما ولم يعد مفتوحاً لأي حديث ..) .

ثم أعلن الرئيس عبد الناصـر تهديدا مباشـرا إلى الدول الغربية، وكانت تتداول فيما بينها لتوجيه قوات بحرية دولية إلى البحر الأحمر (لتفتح) مضــــايق تيران أمام الملاحة الإســـرائيلية، فقال في عبارة حازمة (لن تســـتطيع قوة من القوى، مهما بلغ جبروتها، وأنا أقول ذلك بوضـــــوح لكي يعرف كل الأطراف موقفهم، أن تمس حقوق الســيادة المصــرية أو تدور حولها .. وأي محاولة من هذا النوع سـوف تكون عدوانا على الشـعب المصـري وعدوانا على الأمة العربية كلها وسوف نلحق بالمعتدين أضرارا لا يتصورونها ..) .

وبعد هذا التهديد الصـريح استدرك الرئيس عبد الناصـر أنه يلتزم موقف الدفاع، لردع العدوان .. وشـرح بالتفصـيل التحركات والتصـريحات الإسـرائيلية تمهيدا للعدوان على ســوريا فقال (لقد تقدمت قواتنا المســلحة إلى المواقع التي

تســـتطيع منها أن تعمل على ردع العدوان .. ونحن لا نعتبر أنه يمكن لأي منصف أن يسمي أي تصرف قمنا به في الأسبوعين الأخيرين عدوانا أو يجد فيه شبهة العدوان) .

وقدم الرئيس عبد الناصـــر بعد ذلك عرضـــا موجزا لنشـــوء إســـرائيل ومخالفاتها المتواصـــلة منذ عام 1947 وأن (أبرز مثل على ذلك ميناء ايلات الذي بنته إسرائيل على موقع أم الرشراش العربي الذي احتلته إسرائيل بعد توقيع اتفاقيات الهدنة في فبراير 1949) .

وبعد أن انتهى عبد الناصـــر من بيانه جاء دور الســـؤال والجواب، والصـــحفيون الأجانب، وخاصـــة الأمريكان يســـألون لا للوصـــول إلى الحقيقة، ولكن يؤدون دور النائب العام مع المتهم لاســـتدراجه للاعتراف بالجريمة .. فالعربي متهم .. والعروبة جريمة !!

وهذا ما وقع فعلا فقد كان أول من ســـأل هو مندوب إذاعة كولومبيا الأمريكية .. فكان سؤاله عن التفوق الإسرائيلي، وعن السلام والحرب، فأجاب الرئيس عبد الناصر، بعد شرح وإيضاح (أهو النهارده إحنا وإسرائيل لوحدنا إذا كانوا عايزين يجربوا الحرب باقول لهم تاني النهارده : أهلا وسهلا .. واللي أدانا فعلا التوقيت هو رئيس وزراء إسرائيل، لكن كنا مستعدين لهذا التوقيت .. أما بالنسبة للتفوق العسكري طبعا إحنا نعتقد أن قواتنا المسلحة قادرة على أن تقوم بواجبها بشرف وقوة وأمانة ..) .

ووجه الصـــحفي نفســـه ســـؤالا عن موقف الولايات المتحدة واحتمال تدخلها، فقال الرئيس عبد الناصر (وأعتقد أن الولايات المتحدة إذا تدخلت في سيادتنا سنقاوم هذا التدخل بكل قوة).

وسأل صحفي عربي عن احتمال استخدام البترول كسلاح في المعركة فقال الرئيس عبد الناصر (أنا أعتبر أن هذه المعركة يجب أن تستخدم فيها كل الأسلحة - تستخدمه الحكومات وتستخدمه أيضا الشعوب)، وواضح أن هذا السؤال العربي قد أعطى فرصة للرئيس عبد الناصر في تلك الأيام الهادرة وكأنه يقول للشعوب العربية (استخدموا سلاح البترول إذا تخلفت الحكومات) .

وأثار صحفي فرنسي السؤال عن (القضاء على إسرائيل وعن الوضع الذي تقبلونه كأسلوب للتعايش مع إسرائيل ..) فأجاب الرئيس عبد الناصر (إحنا أصحاب حق ما يهمنا من الدول الكبرى .. إحنا ما احناش تحت وصاية دول كبرى .. حقوق شعب فلسطين يجب أن تعاد لشعب فلسطين ولا نقبل أي أسلوب للتعايش مع إسرائيل .. اللي حيقف مع إسرائيل أعداؤنا واللي حيقف معانا هم أصدقاؤنا وسنستطيع أن نسترد حقوقنا .. وأيام الصليبيين لما احتلوا بلدنا قعدنا 70 سنة .. وبعدين فين الصليبيين، الصليبيين مشيو وفاضلة لغاية دلوقت بس قلاع الصليبيين كأثر من الآثار .. إذن ما فيش عربي حيفرط أبدا في حقوق شعب فلسطين) .

وسأل مندوب شبكة التلفزيون المستقلة في لندن، عما إذا كان من الممكن رفع الحظر عن السفن الإسرائيلية في خليج العقبة، فأجاب الرئيس عبد الناصر بلهجة حازمة حاسمة قائلا: (خليج العقبة مياه إقليمية مصرية لن تمر فيها سفن إسرائيل، وهذا موقف لن أتزحزح عنه بوصة واحدة ..) .

وسأل مندوب الإذاعة الدانمركية سؤالا من طراز النبوءات الصحفية، أضعه بنصه الكامل :

(هل يتوقع الســـيد الرئيس هجوما في المســـتقبل القريب من جانب إسرائيل أو الولايات المتحدة أو من جانبهما معا متواطئين ؟ .. وقال الرئيس في جوابه .. (أتوقع كل حاجة وبالنسبة لهجوم إسرائيل ده إحنا بنتوقعه كل يوم .. في سنة 1956 كنا نستنى فرنسا وإنجلترا وهجوم فرنساوي إنجليزي .. حصل اللي ما كناش نتصوره وتواطأت إنجلترا مع إسرائيل وهجمت علينا إسرائيل في الوقت اللي كنا نعتقد أن الهجوم حيكون علينا من جانب بريطانيا .. اليوم نحن نتوقع أي شيء ..) .

وعلى غرار هذه الأسئلة والأجوبة، كان المؤتمر الصحفي الذي عقده الرئيس عبد الناصر ليتخذ منه مناسبة دولية لشن حرب نفسية مركزة، لعلها .. لعلها توطد للرئيس عبد الناصـــر المكاســـب التي حققها بدون حرب، ولعلها تحمل الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة أن تصد إسرائيل عن الحرب .

وأظن، وبعض الظن إثم، أن الرئيس عبد الناصـــر كان يســـاوره هذا الاطمئنان أو بعض الاطمئنان بسبب مذكرة رسمية من الولايات المتحدة وصلت القاهرة قبل يومين (26 مايو) ..عن طريق ســـفارة الجمهورية العربية المتحدة في واشنطن .. وكانت المذكرة في منتهى (البراءة والحزم)، ولم تكتشف حقيقتها إلا بعد بضـــعة أيام .. وقالت المذكرة (أن أبا ايبان نائب رئيس الوزراء الإســـرائيلي ووزير الخارجية طلب مقابلة المســـتر دين راســـك وزير الخارجية الأمريكية فورا، ولا يحتمل الانتظار دقيقة واحدة، وذلك لأنه وصـــلت إلى إسرائيل معلومات بأن الجمهورية العربية المتحدة ستقوم هذه الليلة بهجوم مفاجئ على إسرائيل .. وأن الرئيس جونسون يرغب أن يبلغ الجمهورية العربية المتحدة

بأن هذا لو تم فسوف يؤدي إلى نتائج خطيرة للغاية، ويؤكد من جانبه أن الحكومة الأمريكية سوف تبذل جهد من أجل منع إسرائيل من البدء بأية عمليات عسكرية ضد الجمهورية العربية المتحدة ..).

هذه الرسالة وغيرها من العوامل العربية والدولية، كانت في ذهن الرئيس عبد الناصر وهو يتحدث إلى الصحفيين عما تخبئه الأيام المقبلة : حرب أو لا حرب .

وقد طلب عدد من الصحفيين الأجانب الذين حضروا المؤتمر الصحفي أن أتحدث إليهم عن الأوضاع الحاضرة، وموقف منظمة التحرير الفلسطينية، ولكني اعتذرت، فقد كان بيان الرئيس عبد الناصر كافيا ومغنيا .. واتصل بي السيد محمد فايق وزير الإعلام يقترح علي أن أعقد لهم مؤتمرا صحفيا .. فاعتذرت وقلت له : أنت لا تعرف هؤلاء الصحفيين .. إنهم لا يبحثون عن الحقيقة، كل ما يريدونه أن يجدوا فارقا صغيرا بين كلامي وكلام الرئيس عبد الناصر ليجعلوا من الحبة قبة ..

ومع ذلك، فلم أنج من المكيدة .. ذلك أن مندوب الإذاعة الأمريكية أبرق إلى مكتبه في نيويورك يقول إني لم أكن راضيا عن بيان الرئيس عبد الناصر وإنه لهذا السبب رفضت أن أستقبل الصحفيين أو أعقد لهم مؤتمرا صحفيا . وبهذا لم أفلح مع الصحفيين الأمريكان، متحدثا أو صامتا !!

أما الخطاب الثالث الذي ألقاه الرئيس عبد الناصر فكان في التاسع من شهر أيار .. قبل أسبوع واحد من الحرب .. في يوم الاثنين .. وفي يوم الاثنين، بعد سبعة أيام، وقعت الحرب!!

وقد كان هذا الخطاب هو النافذة إلى ضـمير الرئيس عبد الناصـر وإلى عقله .. بماذا كان يفكر وماذا كان يشعر .. إنه آخر كلام قاله الرئيس عبد الناصر قبل المعركة .. قبل الهزيمة ..

وكانت المناســـبة مثيرة بذاتها، وكأني أراها الآن أمامي .. لقد خرج أعضـاء مجلس الأمة وعلى رأسـهم السيد أنور السـادات في شبه مظاهرة وطنية إلى الرئيس عبد الناصــر في منزله في منشـية البكري ليسـلموه بأيديهم وقلوبهم مصير مصر، ومصير الأمة العربية ..

لقد ســـلموا إليه تقريرا اتخذه المجلس بالإجماع يفوض الرئيس عبد الناصر بإصدار قرارات لها قوة القانون في جميع الموضوعات التي تتصل بأمن الدولة .. وكان لهذا القرار سـبب ومعنى .. السـبب أن الدولة مقبلة على الحرب .. والمعنى أن مجلس الأمة سلم زمام الحرب إلى رئيس الدولة ..

ولكن هذا القرار كان مظاهرة بذاته .. فلم يكن عبد الناصر محتاجا إلى هذا القرار .. ففي ذلك الأســبوع كان عبد الناصـــر على قمة الموجة الشــعبية المصـــرية والعربية .. ولم يعد بحاجة إلى تفويض لا من مصـــر ولا من الأمة العربية .. وإذا كان ملوك العرب ورؤســـاؤهم قد ســـارعوا إلى الطاعة والولاء، مضـــطرين غير مختارين، فماذا بقي لمجلس الأمة في القاهرة..وكان قبل هذه الأحداث لا يملك إلا التصديق والتوثيق !!

ولكن عبد الناصـــر أرادها خطوة أخرى على طريق الحرب النفســـية، ليعلن إلى إسـرائيل ومن وراءها أن كل شـــيء قد اتخذ طريقه الدسـتوري .. وأن كل شيء قد اكتمل .. جيشا وشعبا،ومصرا وعربا ..

ومن هذه المنصة المصرية العربية وقف الرئيس عبد الناصر يخاطب العالم، فشرح بادئ ذي بدء تطور الأمور، ثم قال (النهارده بعد 11 سنة من سنة 1956 نعيد الأمور إلى ما كانت عليه قبل 1956 .. هذا من الناحية المادية أما من الناحية المعنوية فهو بعث أمة العرب . بعث قضية فلسطين، عودة الثقة إلى كل عربي، وإلى كل فلسطيني، على أساس أننا إذا كنا قد استطعنا أن نعيد الحالة إلى ما كانت عليه قبل سنة 1956 فلا بد أن الله يساعدنا ويدفعنا إلى أن نعيد الحالة الى ما كانت عليه قبل 1948 .. إن الثورة العربية وهياج الجماهير العربية الذي نراه اليوم في كل بلد عربي وفي كل مكان ليس فقط لأننا عدنا إلى خليج العقبة أو لأننا تخلصنا من قوات الطوارئ لا .. إنه من أجل عودة الشرف العربي .. من أجل عودة الأمل العربي .. وإننا سنقرر الوقت وسنقرر المكان، ولن نتركهم يقررون الوقت ويقررون المكان .. علينا أن نستعد لننتصر .. لا لنعيد مهازل 1948 .. ننتصر بعون الله وبتأييد من الله .. ونحن على استعداد لمواجهة إسرائيل الآن نحن على استعداد للمواجهة .. نحن على استعداد لأن نفتح قضية فلسطين كلها .. إن الموضوع اليوم ليس موضوع العقبة ولا هو موضوع مضيق تيران ولا هو موضوع قوة الطوارئ الدولية .. إن الأمر هو حقوق شعب فلسطين، هو العدوان الذي تم في 1948 بمساعدة بريطانيا ومساعدة أمريكا .. إن القضية اليوم أكبر مما يتكلمون عليها .. هم يريدون أن يحصروها في خليج تيران وفي قوة الطوارئ الدولية وفي حق المرور ونحن نقول أننا نريد حقوق شعب فلسطين كاملة غير منقوصة ..)

.

ولقد أنعمت النظر طويلا في هذا الكلام الذي ألقاه الرئيس عبد الناصر على أعضـــاء مجلس الأمة، ولكنه كان في الواقع يلقيه على إســـرائيل وأمريكا معا .. ولو شـــئت أن أتقيد بعباراته ومعانيه وألفاظه ومدلولاته لوجب علي أن أستنتج أن الرئيس عبد الناصر كان يستعد لتحرير فلسطين .. فإن كلامه واضح ولا يستطيع السامع - أي سامع - أن يستنتج غير ذلك .. ولكن سامعا مثلي، يعرف عبد الناصـــر وحســـن تقديره وتدبيره، ويعرف بعثرة الطاقات العربية وضعف الاستعداد العسكري العربي، لابد له أن يجزم أن الرئيس عبد الناصر كان يهدد بقضية فلسطين، ويتوعد بحقوق شعب فلسطين، وكأنما كان يقول بلســان حاله إلى إسـرائيل وأمريكا .. اسكتوا عن موضـوع خليج العقبة وقوات الطوارئ الدولية وإلا فإنني سأفتح قضية فلسطين وسنعمل على تحريرها .. وإن سكتم سكتنا، وإن عدتم عدنا ..

وتوكيدا لهذا التهديد، فقد مضـى الرئيس عبد الناصـر في خطابه وهو يخاطب أمريكا وبريطانيا بالاســم (وإننا لا ترهبنا أمريكا وتهديداتها . ولا ترهبنا بريطانيا وتهديداتها .. أمريكا تتحيز لإسرائيل وبريطانيا تتحيز لإسرائيل .. علينا أن نعرف من هو العدو ونعامله كعدو، ونعرف من هو الصـــديق ونعامله كصديق، وإذا كانت بريطانيا وأمريكا تتحيز لإسرائيل فإننا نقول أن عدونا ليس فقط إسـرائيل، ولكن أعداءنا هم إسـرائيل وأمريكا وبريطانيا وسـنعاملهم معاملة الأعداء ..).

ونقل الرئيس عبد الناصـر حملته النفسـية إلى ميدان آخر، وهذه المرة راح يخوف أمريكا وإســـرائيل بالاتحاد الســـوفيتي .. فقال في خطابه (.. لقد تقابلت مع السيد شمس بدران وزير الحربية وعرفت منه ما دار في موسكو ..

وإني أحب أن أقول لكم اليوم أن الاتحاد السوفيتي هو دولة صديقة لنا يقف معنا موقف الصديق .. بلغني شمس بدران بالأمس رسالة من وزراء الاتحاد السوفيتي السيد كوسيجن يقول فيها إن الاتحاد السوفيتي يقف معنا في هذه المعركة ولن يسمح لأي دولة أن تتدخل إلى أن تعود الأمور إلى ما كانت عليه عام 1956).

وكانت هذه العبارة الأخيرة، عن زيارة شمس بدران لموسكو، ورسالة كوسيجن رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي قد أثارت عاصفة من تصفيق مجلس الأمة، ولولا أن جو الجدية الذي كان يسود الاجتماع، لصاح أعضاء المجلس في وجه الرئيس عبد الناصر أعد ..أعد .. كما يفعلون مع السيدة أم كلثوم حين تترنح الرؤوس بين الآهات والنغمات !!

كنت أتابع إذاعة القاهرة وهي تردد خطاب عبد الناصر، والأمة العربية في جميع أرجاء الوطن العربي تردد الهتافات بحياة الاتحاد السوفيتي .. ولم تخل بيوت الله – الله ينكره الشيوعيون – من إطلاق الحمد والثناء للشعب السوفيتي العظيم !!.

ولكني، بعيدا، عن المظاهرات والهتافات، أردت أن أعرف موقف الاتحاد السوفيتي على حقيقته، فقد واكبت تطور السياسة السوفيتية سنين طويلة من عمري، في الأمم المتحدة وخارجها، وعرفت القادة السوفييت، مولوتوف، فيشنسكي، غروميوكو، خروشوف، كوسيجن، وجرت بيني وبينهم مناقشات ومباحثات بصدد القضايا العربية وفي مقدمتها قضية فلسطين .. بل إني واكبت مسيرة الحركة الشيوعية منذ أن كنت طالبا في معهد الحقوق – القدس –،

وصحافيا، حين كنا نرى في الاتحاد السوفيتي دولة المبادئ، والمبادئ فقط .. سواء كنا نحبها أو نبغضها .[1]

وفي خلال شــهر أيار الذي نحن بصــدده، زرت الســفير الســوفيتي بالقاهرة ثلاث مرات في محاولة للتعرف على موقف الاتحاد السوفيتي من تطور الأحداث في بلادنا..وســألت، بالتحديد، عن رأي موســكو في ســحب قوات الطوارئ الدولية، وموضــوع خليج العقبة .. وفي الاجتماع الأخير حصــرت أسـئلتي عن احتمالات الحرب بيننا وبين إسـرائيل ونظرة الاتحاد السـوفيتي إلى الموقف .

وكان السفير السوفيتي لبقا وحصيفا، يحدثني من غير كلفة، دون أن يبدي أي اهتمام أو قلق لتأزم الموقف، كأنما الأمور تجري بصــورة عادية .. وهو يردد على الدوام العبارات التقليدية العامة بأن (موســكو تؤيد الدول العربية التقدمية، وتقدم إليها المعاونات العسكرية والاقتصادية والفنية .. وإننا لن نسمح بأي تدخل من جانب الولايات المتحدة .. وإننا معكم ضــد أي عدوان يقع على الدول العربية .. وأن الاتحاد السوفيتي يقوم الآن بجميع الاتصالات مع إسرائيل وأمريكا حتى لا تتطور الأمور إلى نقطة الانفجار .. ولا بد لهذه المحاولات أن تنجح في عودة الأمور إلى الهدوء والسكينة) .

وكنت أخرج من هذه اللقاءات غير مستريح إلى حصيلتها .. أخرج منها جاهلا كما دخلتها .. وأيقنت في نفسي أن الأمر لا يعدو واحدا من ثلاث .. إما أن السفير لا يعلم كثيرا من سياسة موسكو أو أنه لا يريد أن يطلعني على شيء

---

[1] أحمد الشقيري، **أربعون عاما في الحياة العربية والدولية**، دار النهار، بيروت،1969.

.. أو أن موسكو نفسها تريد أن تقف عند حدود معينة لا تريد أن تتجاوزها، وتركت للزمن والتاريخ أن يكشف الحقيقة بين هذه الاحتمالات الثلاثة .

وقد شغلني هذا الموضوع أياما معدودات وأنا أديره وجها على بطن، أريد أن أعرف حقيقته، فهو من العوامل الرئيسية في تقرير مصير الأيام التي كنا نعيشها .. بل هو الجواب الحاسم عن السؤال الصارم : هل ستقع الحرب بيننا وبين إسرائيل .. وهل يكون النصر لنا أم لإسرائيل .. وبعبارة أعم هل سيكون النصر للولايات المتحدة أم للاتحاد السوفيتي .. فإن الحرب العربية الإسرائيلية على الطراز الكلاسيكي التقليدي هي حرب بين موسكو وواشنطون .. ما لم يغير العرب استراتيجيتهم، ويبدلوا موقفهم المتذبذب من الولايات المتحدة ..

وأخيرا لجأت إلى مراجعي، ولم يكن عندي سواها .. إلى ملفاتي وقصاصاتي، فقد كان مكتبي يعد لي يوما بيوم خلاصة عن الصحف والإذاعات الأجنبية .. وإذا كانت الصحف الغربية لا تتقيد بحكوماتها فيما تكتب، فإن الصحف الروسية تعتبر من جملة أجهزة الدولة، تعبر عن سياستها وتنطق بلسانها .

وكان أول ما وجدته في ملفاتي مقال لجريدة أزفستيا تحت عنوان (خيوط المؤامرة) قالت فيه (إن هناك مخططا لقلب نظام الحكم الثوري في سورية وإن الملهم الرئيسي لهذا المخطط هو الإمبريالية الأمريكية التي ترى في سياسة سورية المستقلة خطرا على مصالحها في هذه المنطقة من العالم، وإن العدوان الإسرائيلي الأخير على سورية كان من المقرر أن يكون إشارة البدء للرجعية المحلية لكي تبدأ عملها لقلب نظام الحكم ..) (67/5/11) .

ولقد قرأت هذا المقال غير مرة، فلم أجد فيه موقفا محددا للاتحاد السوفيتي .. لقد عرض الحالة القائمة والخطر المتوقع ..ووجه الاتهام، من غير تسمية، إلى الأردن للقيام بمحاولة قلب النظام في سورية، وأدان الولايات المتحدة بالاسم بأنها هي التي تخطط للمؤامرة .. ولقد أوضحت الازفستيا هذه الأمور كلها، ولم تكن بعيدة عن الصواب .. ولكنها لم توضح موقف الاتحاد السوفيتي ولو بالتلميح بديلا عن التصريح .

وبعد ذلك بخمسة أيام نشرت الجريدة نفسها، وهي تعتبر الناطق الرسمي بلسان الحزب الشيوعي السوفيتي، مقالا اتهمت فيه إسرائيل (بالعمل على إحداث اضطراب في الشرق الأوسط بمساعدة الولايات المتحدة، وأضافت أن سورية التي تعارض سيطرة الاحتكارات الأجنبية في الشرقين الأدنى والأوسط لا تحوز على رضاء واشنطن .. وقد حرصت الدوائر الإمبريالية على إشعال التوتر على الحدود السورية .. كما أن إسرائيل قد أخذت على عاتقها خلق متاعب جديدة للحكم السوري .. ومن هنا فإن تزويد إسرائيل بسرعة بالاعتدة الأمريكية بما فيها الدبابات الثقيلة لا يذهب هدرا ..) (1967/5/16) .

وفي اليوم ذاته نشرت وكالة أنباء (نوفوستي) السوفيتية الرسمية تعليقا ذكرت فيه أن (الوضع على الحدود السورية الإسرائيلية توتر من جديد بعد أن حشدت إسرائيل قواتها العسكرية على الحدود واستنفرت قوى الاحتياط، وأجرت مناورة عسكرية على شكل استعراض للجيش الإسرائيلي في القدس المحتلة .. وأن إسرائيل تحاول التأكد من دعم الأسطول الأمريكي السادس لها إذا قامت بعمليات عسكرية ضد سورية، وهي تتلقى معدات عسكرية أمريكية بما فيها

الدبابات الثقيلة باستمرار) ولقد كان هذا العرض قيما بقدر ما كشف من موقف إسرائيل والولايات المتحدة، ولكني لم أجد فيه ضالتي المنشودة .. ما هو موقف الاتحاد السوفيتي ..؟ .

ولم تمض أكثر من بضعة أيام حتى نشرت جريدة البرافدا السوفيتية (1967/5/22) مقالا تقول فيه (أن هناك ترابطا بين تفاقم الوضع في الشرق الأوسط والأعمال الإجرامية التي يرتكبها الأمريكيون في فيتنام بتوغلهم في المنطقة المنزوعة السلاح .. وأن هناك مؤامرة جديدة تعدها الإمبريالية وإسرائيل والرجعية العربية لضرب نظام الحكم التقدمي في سورية). وهذا التحليل أعجبني وأزعجني .. أعجبني لأنه كشف أهداف أمريكا وإسرائيل والرجعية، وأزعجني لأنه لم يكشف عما يعتزمه الاتحاد السوفيتي !!

وبقيت على غير يقين من سياسة الاتحاد السوفيتي ومقاصده حتى يوم صدر بيان رسمي من موسكو (1967/5/23) يعلن (دعم الاتحاد السوفيتي للدول العربية في الأزمة الراهنة مع التحذير بأن من يغامر في شن عدوان في الشرق الأدنى سوف يجابه لا بالقوة الموحدة للشعوب العربية فحسب بل بالمقاومة الحازمة من الاتحاد السوفيتي والدول المحبة للسلام) .

حقا لم يكن هذا البيان ليطمئن عقلي وقلبي، فلم أستطع أن أعرف من هي الدول المحبة للسلام المستعدة للمقاومة .. بل لم أكن أعرف ما معنى مقاومة الاتحاد السوفيتي الحازمة، باللغة الروسية .. وتساءلت هل تعني المقاومة المسلحة .. هل تعني الصواريخ عابرة القارات التي تحدث عنها الرئيس السابق خروشوف أيام العدوان الثلاثي على مصر !!

وإني لأذكر أن صحف القاهرة قد نشرت في اليوم نفسه أن الرئيس جمال عبد الناصر استقبل سفير الاتحاد السوفيتي .. ودفعني قلقي الذي كان يجيش في صدري في تلك الأيام إلى أن اتصل بالسيد سامي شرف مدير مكتب الرئيس عبد الناصر في ساعة متأخرة من الليل، وسألته :

- خيرا إن شاء الله .. علمت أن سيادة الرئيس استقبل السفير السوفيتي ..

قال : نعم .. للبحث في الظروف الحاضرة .. إنت عارف الموقف الروسي موقف تأييد..

قلت : هل من جديد .. وإيه التأييد على التحديد ..؟

قال : السفير سلم سيادة الرئيس رسالة تأييد من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ..

قلت : فيه شيء محدد ؟؟

قال : لا .. تأييد عام لموقفنا وموقف سوريا .. وأن لا نجعل زمام الأمور يفلت من أيدينا ..

وانتهت المكالمة التلفونية بيننا دون أن أشفي غليلي، فقد بقيت أجهل موقف الاتحاد السوفيتي بقدر ما أنا عليم بموقف الولايات المتحدة، موقف العداء السافر في وضح النهار وفي ظلمة الليل ..

ثم جاءت سبعة أيام متوالية متعاقبة، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، من هذا الشهر الذي نحن فيه، أيار، كانت عيناي تقرآن، وأذناي تسمعان ولا هم لي إلا التعرف على موقف الاتحاد السوفيتي من خلال بياناته وتصريحاته ..

وفي 25 سافر السيد شمس بدران وزير الحربية للجمهورية العربية المتحدة على رأس وفد من العسكريين والسياسيين مؤلف من عشرة أعضاء إلى موسكو .. وقد اجتمع الوفد فور وصوله مع المارشال جريشكو وزير الدفاع السوفيتي .

وفي 26 أجرى الوزير شمس بدران محادثات مع أليكسي كوسيجن رئيس الحكومة السوفياتية، وصدر عقب الاجتماع بيان رسمي جاء فيه أنهما بحثا في مواضيع ذات مصلحة مشتركة بالنسبة للبلدين .

وفي 27 استقبل الرئيس عبد الناصر السفير السوفياتي في القاهرة الذي سلمه رسالة من أليكسي كوسيجن رئيس حكومة الاتحاد السوفيتي .

وفي 27 أيضا، عقد الوزير شمس بدران اجتماعا آخر مع أليكسي كوسيجن، وقالت وكالة أنباء تاس السوفياتية أن الجانبين تبادلا في هذا الاجتماع وجهات النظر في جو ودي حول المسائل التي بدأت مناقشتها في اجتماعهما الأول أول أمس .

وفي 28 عاد من موسكو الوزير شمس بدران، وتوجه فور وصوله إلى مقر القيادة العليا للقوات المسلحة، حيث كان جمال عبد الناصر يعقد اجتماعا لمراجعة آخر تطورات الموقف العسكري، وقدم تقريرا عن محادثاته مع الزعماء السوفيت .. وأعلن الرئيس جمال عبد الناصر في اليوم التالي أن الوزير شمس بدران حمل له رسالة من أليكسي كوسيجن رئيس الاتحاد السوفيتي يقول فيها (إن الاتحاد السوفيتي يقف معنا في هذه المعركة ولا يسمح لأية دولة بالتدخل) .

وفي 29 ســافر الدكتور نور الدين الاتاســي رئيس الدولة الســورية إلى موسكو على رأس وفد سوري يضم الدكتور إبراهيم ماخوس نائب رئيس الحكومة ووزير الخارجية، ومحمد الزعبي وزير الإعلام، واجتمع الوفد الســـوري فور وصـوله برئيس الوزراء السـوفيتي أليكسـي كوسـيجن، وحضـر الاجتماع اندريه جروميكو وزير الخارجية السوفيتي، والمارشال جريشكو وزير الدفاع، وسيميون سكاتشكوف أحد كبار الخبراء السوفييت .

وفي 30 عاد الرئيس السوري الدكتور نور الدين الاتاسي والوفد المرافق من موسـكو، وصـرح السـيد محمد الزعبي وزير الإعلام السـوري بأن (الاتحاد الســوفيتي أكد تأييده للخط الثوري التقدمي الذي تنتهجه ســوريا كما أكد وقوفه بحزم ضد أي عمل عدواني قد يتعرض له الشعب العربي من جانب إسرائيل .)

وفي 31 أعلن رئيس الدولة الســوفياتية نيقولاي بودجورني، وكان يزور أفغانســتان في ذلك اليوم، (أن الاتحاد الســوفياتي ســوف يتخذ كل الإجراءات الممكنة ضـد أي محاولات لانتهاك السـلام والأمن في الشـرق الأوسـط .. وأن الاتحاد الســوفياتي يؤيد الأمة العربية لأن الاســتعماريين يريدون الاعتداء على استقلال البلدان العربية ويريدون المؤامرات ضد العرب).

وهكذا قضيت هذا الأسبوع بكامله وأنا هائم العقل بين الشك واليقين، لا أعرف ماذا يريد الاتحاد السـوفيتي .. وماذا يسـتطيع ومالا يسـتطيع .. وتذكرت طفولتي أيام كنا نضـــع زهرة شــقائق النعمان بين أصـــابعنا نقطع أوراقها ونحن نقول نعم لا .. نعم لا !!

وفي غمرة الحيرة، عكفت على دراسة ما تقوله الصحافة الغربية، فنزلت إلى قاع الحيرة بعد أن كنت على السطح وازددت قلقا على قلق .. وهموما على هموم ..

فهذه وكالة رويتر للأنباء تقول (إن مصادر سوفياتية عليا أكدت أن الاتحاد السوفيتي سيستخدم نفوذه في محاولة لتهدئة التوتر في الشرق الأوسط وأن الاتحاد السوفيتي أبلغ الدبلوماسيين الأجانب في موسكو أنه لا مصلحة للسوفيات في اندلاع الحرب، وأنه سيبذل الجهود المناسبة لتهدئة حدة التوتر دون أن يتخلى عن دعمه الأساسي للقضية العربية ..) (1967/5/25).

وهذه وكالة يونيتدبرس للأنباء تعلن (أن التقارير السياسية الواردة إلى لندن تشير إلى أن جميع الملابسات تؤكد أن الاتحاد السوفيتي مصمم على استغلال أزمة الشرق الأوسط إلى الحد الأقصى لتقوية مركزه في المنطقة والضغط على السياسة الأمريكية في فيتنام . وأن السوفييت يستخدمون الحجة القائلة بأن تعاونهم مع الأمريكيين في جهد مشترك لإحلال السلام في الشرق الأوسط أمر صعب جدا وذلك بسبب الحرب الفيتنامية، وأن أزمة الشرق الأوسط لا يمكن أن ينظر إليها منعزلة، بل يجب أن ينظر إليها على ضوء العدوان الأمريكي في أماكن أخرى من العالم وعلى الأخص فيتنام ..وأن الكرملين يدعم جمال عبد الناصر بحزم، وقد ترك له مجالا كافيا للمناورة .. وأن الاتحاد السوفيتي مستعد إلى المضي في إطلاق التصريحات السياسية وإغداق الأسلحة على عبد الناصر ولكنه لن يتدخل بالقوة المسلحة).

ولقد اسـتطعت أن أصـبر على هذه التعليقات بعض الشـيء .. ولكني وقفت أمام مقال مخيف كتبه المراسـل العسـكري لجريدة الاوبزرفر اللندنية، وتزاحمت مخاوفي في نفسي تزاحم السحب الثقال في يوم عاصف مدرار .

قال المراسل العسكري إنه (يتوقع أن تقوم إسرائيل بالضربة الأولى ضد الدول العربية المجاورة، وأنه وإن كانت سـورية والجمهورية العربية المتحدة تسـتطيع اتخاذ موقف التهديد لأجل غير مسـمى فإن إسـرائيل لا تسـتطيع أن تصبر طويلا نظرا لإغلاق خليج العقبة ولأنها لا تستطيع إبقاء الاحتياطي معبأ زمنا طويلا .. وأن الدوائر الإسـرائيلية تعتقد أن المعركة قد تربح أو تخسـر في الساعات الأربع والعشرين الأولى من بدئها .. وأن المبررات العسكرية لضربة جوية وقائية من قبل إسـرائيل على المطارات المصـرية والسـورية مبررات قوية، وذلك للتخلص من الخطر الذي يمكن أن تحدثه أسـلحة الجو العربية على مدينتي حيفا وتل أبيب الكثيفتي السـكان، ولتحقيق ضـمان التفوق الجوي الإسـرائيلي في العمليات البرية لتفتيت الجيوش العربية المحتشـدة على حدود إسرائيل، وأن إسرائيل تأمل بأن تضرب الجيوش المصرية وتخرجها من سيناء قبل أن يستطيع أحد أن يتدخل ..).

لقد أرعبتني حكاية (الضربة الأولى) .. (وأن تربح المعركة في الأربع والعشـرين سـاعة الأولى) .. (والضـربة الجوية على المطارات السـورية والمصرية ..) وانطلقت في خاطري أسئلة كالرعد القاصف ..

ماذا أعد الاتحاد السوفيتي لنصرتنا من هذه المفاجآت الرهيبة ؟

وهل تغامر الولايات المتحدة على ما بقي لها من رصـيد في الوطن العربي ؟

وهل أعدت القاهرة ودمشق العدة لمجابهة هذا الخطر الداهم ؟

هل الرئيس عبد الناصر على ثقة من وعود موسكو ؟

وهل موسكو على معرفة تامة بأوضاعنا العسكرية ؟

هل نخرج من هذه الأزمة بالنصر أو الهزيمة ..؟

وكان سؤال (النصر أو الهزيمة) هو الذي عاش في فؤادي في تلك الأيام، يؤرقني حين أنام، ويقرع رأسي حين أستيقظ ..

ولم أجد سكينة إلا حين تذكرت الحوار الإسلامي القديم .. هل الإنسان مخير أو مسير.. وأحسست أن الأمة العربية كلها، بحكوماتها وجيوشها وشعوبها، وصحفها وإذاعاتها، وعبد الناصر في القمة، قد أصبحت مسيرة غير مخيرة .. مسيرة إلى القدر المجهول .

وعلى هذه السكينة استسلمت إلى الغيب الداهم، ولم أعد أسأل عن مواقف الروس والأمريكان، ولا أتساءل عن النصر أو الهزيمة، وأنا أردد قوله تعالى ..

(إن ينصركم الله فلا غالب لكم، وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده).

صدق الله العظيم

أنا خائف من شهر حزيران

وإسرائيل، ماذا قالت وستقول .. ماذا فعلت و ستفعل ..؟؟

كان هذا هو السؤال الذي يقرع سمعي ويشغل عقلي، وأنا في خضم الأحداث التي تجري حولنا في الشهر إياه .. أيار .. لا كان ولا كانت أيامه ولياليه ..

ففي منتصف هذا الشهر طلبت القاهرة سحب قوات الطوارئ الدولية من غزة وسيناء، واستجاب الأمين العام للأمم المتحدة للطلب، فانسحبت تجر وراءها ذيلا من عشرة أعوام من الذكريات .. واندفعت القوات المصرية بآلياتها ومعداتها ومؤنها في أفواج كالأمواج إلى مواقعها المحددة لها، وتهيأت ساحة القتال .. ولم تبق إلا الرصاصة الأولى، من يطلقها .. ومتى..؟

وبعد أسبوع من ذلك الحدث أعلن الرئيس عبد الناصر أن القوات المصرية احتلت شرم الشيخ، وأصبحت تهيمن على مضائق تيران، وأن خليج العقبة مياه إقليمية عربية ليس للملاحة الإسرائيلية حق في عبوره .

وأشعل هذا الإعلان خيال الأمة العربية، وأذكى آمالها ومطامحها، وجدد عزمها حتى بدا تحرير فلسطين قاب قوسين أو أدنى .. أو رمية عصا كما يقول الأعراب بالبادية ..

ووثب سمعي وعقلي إلى إسرائيل أستطلع أخبارها وأتقصى آثارها، وهذه صنعة العاشق المدنف .. وطالب الثأر .. الأول يجري وراء حبيبه، والثاني

يلهث وراء غريمه .. وأنا واحد من ملايين الأمة العربية الذين كانوا يلهثون في طلب الثأر وراء العدو القديم، ذلك الذي احتل أرضنا وشرد شعبنا ودنس شرفنا .

ومن هنا كان السؤال يقرع سمعي دوما .. ماذا قالت إسرائيل وستقول، وماذا فعلت وستفعل ؟!

وتكدست أمامي الصحف الإسرائيلية والأمريكية والبريطانية، وتكدست معها النشرات الإخبارية من الإذاعات ووكالات الأنباء حتى أصبح مكتبي جهازا إعلاميا متخصصا، يعمل فيه الشباب ليلا ونهارا .. بعضهم يترجم من العبرية إلى العربية، وبعضهم يقتطع القصاصات من الصحف المختلفة، وآخرون يصنفون ويفهرسون .. وأنا غارق في القراءة لا أستريح منها إلا إلى عمل آخر ..

واستقرت في ذهني صورة عن مسيرة الأمور في إسرائيل .. كانت أشبه بلوحة المريض في المستشفى، تسجل حرارته صاعدة هابطة، متذبذبة ومستقرة ..

وكان أول ما استرعى انتباهي، في هذه (اللوحة) وأنا أراقب ردود الفعل في إسرائيل، أن انسحاب قوات الطوارئ الدولية لم يحدث صخبا ولا ضجيجا في المجتمع الإسرائيلي .. لقد كان أمرا جديدا – من غير شك – لدى المواطن العادي .. ولكن الحياة العامة ظلت سائرة في مجراها المعتاد .. وأحسب أن المواطن الإسرائيلي، وهو الذي يختار حكومته بملء إرادته، كان مطمئنا إلى أن الدولة تعرف واجبها وستؤديه على خير وجه .. وقد كتبت وكالة الصحافة الفرنسية نقلا عن مراسلها في تل أبيب تقول (لا يبدو أن هناك تدابير

غير عادية قد اتخذت في إسرائيل .. وإن الناس في الشوارع يعتصمون بالصمت بعد سماعهم بانسحاب قوات الطوارئ الدولية وحشد القوات المصرية في صحراء سيناء ..) (1967/5/16) .

وكان هذا هو الواقع .. فإن إسرائيل قد اتخذت الموقف اللازم وعبرت عن رأيها بشأن انسحاب قوات الطوارئ الدولية في حينه .وقد أوردت وكالة الصحافة الفرنسية نبأ لمراسلها في القدس المحتلة ذكر فيه (أن الحكومة الإسرائيلية طلبت من السيد يوثانت الأمين العام للأمم المتحدة أنه لا يصح أن يتخذ أي قرار بشأن قوات الطوارئ الدولية قبل استشارتها إذ أن هذا الموضوع له أهميته الحيوية والإستراتيجية بالنسبة لإسرائيل فيما يتعلق بأمنها وسلامتها.) (1967/5/18).

وتحركت إسرائيل خطوة أخرى إلى الأمام في إطار إستراتيجيتها التقليدية التي تلجأ إليها على الدوام، فراحت تشن حملة إعلامية على الجمهورية العربية المتحدة بأنها تدبر عدوانا على إسرائيل، وأن الحشود المصرية في سيناء باتت تهدد أمن إسرائيل وسلامتها .

وفي حديث على التلفزيون الأمريكي في نيويورك تناول جدعون رفائيل مندوب إسرائيل الدائم في الأمم المتحدة هذا الجانب فقال إن (سحب قوات الطوارئ الدولية هو مقدمة للهجوم على إسرائيل، وإن هذا الموضوع ينذر بخطورة الموقف، وإن إسرائيل تراقب بمنتهى الحرص والحذر تحشد القوات المصرية في سيناء وقطاع غزة ..) .

وكان من الملاحظ أن المندوب الإسرائيلي كرر تعبير (الهجوم على إسرائيل) عدة مرات، ليغرس في أذهان الرأي العام الدولي أن إسرائيل هي في

موقف الدفاع عن النفس، وأن أي إجراء عسكري تتخذه في أي وقت تشاء إنما هو عمل مشروع، ويقره ميثاق الأمم المتحدة!!

وتوكيدا لهذا المعنى فقد صـــدرت التصـــريحات الصـــحفية من داخل إســـرائيل تحذر المجتمع الدولي من تصـــرفات الجمهورية العربية المتحدة (العدوانية) .. وفي سياق هذه الإستراتيجية الإعلامية صرح مصدر إسرائيلي مأذون لوكالة رويتر في تل أبيب (بأن القوات المصرية المحتشدة في سيناء قد اتخـذت مواقع تعبر من نـاحيـة عســكريـة بـأنهـا مواقع هجوميـة..) (1967/5/19) .. وبهذا تركز الحديث عن (الهجوم) من جانب مصـــر، لتبرير (الدفاع) من جانب إسرائيل !!

وقد صـــادف في ذلك الوقت بالذات أن زالمان شـــازار رئيس إســـرائيل غادر تل أبيب في زيارة رســـمية إلى كنده، وفي وقوفه في مطار لندن أدلى بحديث تلفزيوني أراد من ورائه أن يظهر إســـرائيل بمظهر الحمل الوديع الذي يخشـى افتراس الذئاب من حوله، فقال (إن إسـرائيل لن تفعل من جانبها شـيئا يؤدي إلى إثارة قتال مسلح في الشرق الأوسط، وإن رحلتي إلى كنده تشير إلى الهدوء والثقة السائدين في إسرائيل رغما عن التطورات الأخيرة والحشود المصرية في سيناء) (1967/5/19) .

وترسـيخا لهذا المعنى أصـدر ناطق عسـكري بيانا قال فيه (إن القوات الإسـرائيلية اتخذت جميع الخطوات اللازمة لمجابهة جميع الاحتمالات (بعد) أن دخلت أعداد كبيرة من القوات المصرية إلى القطاع الشرقي من شبه جزيرة سيناء (وبعد) انســحاب قوات الطوارئ الدولية بناء على طلب مصـــر .. وإن من بين

الإجراءات التي يتم اتخاذها التعبئة الجزئية للاحتياطي ..) (1967/5/20).

وأخذ اشكول رئيس الوزراء الإسرائيلي الزمام من يد (الناطق العسكري الإسرائيلي) وأطلق لسانه على مدى يومين متعاقبين ليندد بموقف مصر ويبرر موقف إسرائيل .. فألقى في اليوم الأول في إحدى المستعمرات اليهودية خطابا مطولا أعلن فيه (أن الخطوات التي اتخذها الجيش الإسرائيلي إنما هي لمواجهة أي تطور حول إسرائيل، وأن الجهود الدبلوماسية ستبذل باستمرار للعمل على حفظ السلام ..) (1967/5/21) .

وفي اليوم الثاني ألقى اشكول بيانا في الكنيست الإسرائيلي أعلن فيه (أن القوات المصرية المحتشدة في سيناء لا تقل عن ثمانين ألف رجل، وأن هذه هي المرة الأولى التي تحشد فيها قوات مصرية في مثل هذا الحجم في سيناء .. وأنه يجب على الدول الكبرى أن تمارس تأثيرها الكامل لمنع وقوع صدام في الشرق الأوسط .. وأن هناك في هذا المجال مسئولية خاصة تقع على الاتحاد السوفيتي الذي يحتفظ بعلاقات صداقة مع القاهرة ودمشق .. وأن ضغطا دوليا يجب أن يمارس لتأمين استمرار الهدوء الذي ساد الحدود الإسرائيلية منذ آذار 1957 .. وأن إسرائيل دولة مسالمة لا تملك أية مخططات عدوانية ..) (1967/5/22) .

كان ذلك على صعيد الإعلام الخارجي .. أما على الصعيد الداخلي فقد كانت إسرائيل ماضية في الهاب ظهر المجتمع الإسرائيلي، وكان (السوط) الذي بيدها هو الهجوم العربي على إسرائيل وتدمير إسرائيل .. وانطلقت

الصحف والإذاعة الإسرائيلية تشحن مشاعر الإسرائيليين لتضعهم أمام خيار لا بديل له ..(الهجوم الإسرائيلي) لقمع (الهجوم العربي) في مهده..

ومن ذلك أن دافيد هاكوهن رئيس لجنة الشـــئون الخارجية والأمن بالكنيســت طالب بإصــدار بيان إلى الشــعب اليهودي (بأن يكون على أهبة الاستعداد للحرب).. وأن ياكون هازان ممثل حزب المابام قد أعلن (أن لا شئ يعدل إعداد القوات المســلحة لأي احتمال .. وأنه يجب على إســرائيل أن تعلم عبد الناصر بأننا مستعدون للحرب) .. وحتى يوري افنيري ممثل حزب هاعولام هازيه، الذي تعتبره الأوســاط الإســرائيلية من دعاة التفاهم مع العرب، قال إن الحرب لا تحـل المشـــاكـل ولكن يجـب أن نكون مســـتعـدين لها ..) (67/5/22) .

تلك كانت إســتراتيجية إســرائيل على صــعيد الإعلام بصــدد موضــوع انســحاب قوات الطوارئ الدولية، واحتشــاد القوات المصــرية في ســيناء، لقد عبأت إســـرائيل كل قدراتها الإعلامية في هذه المعركة في جميع أرجاء العالم، فلم تترك عاصــمة إلا وطرق الممثل الإســرائيلي فيها أبواب الدولة كلها، ليقول أن إسرائيل في خطر، وإن العرب يريدون أن يدمروا إسرائيل .. وإن يلقوا بشعب إسرائيل بالبحر ..

وجاء اليوم الثاني والعشــرون من شـــهر أيار، حين أعلن الرئيس عبد الناصر إغلاق خليج العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية، فانعقدت الكنيست في جلسـة طارئة، وبدأت إسـرائيل في حملة متصـاعدة موجهة إلى الداخل والخارج .. إلى المجتمع الإســـرائيلي وإلى المجتمع الدولي . فألقى ليفي اشــكول رئيس الوزراء ووزير الدفاع الإســرائيلي بيانا قال فيه (إن إغلاق خليج العقبة في وجه

الملاحة الإسرائيلية يشكل خرقا فاضحا للقانون الدولي وضربة لحقوق وسيادة الدول الأخرى وعملا عدوانيا موجها ضد إسرائيل، ثم أهاب بالدول الكبرى أن تعمل بدون تأخير على ضمان حرية الملاحة في خليج العقبة ومضائق تيران .. وإننا نواجه ساعة مصيرية لا بالنسبة لإسرائيل ولكن بالنسبة للعالم أجمع ..) .

وأدركت وأنا أقرأ هذا الخطاب بأن إسرائيل تخطط لمغامرة أخرى .. إلى سويس أخرى .. حين وقع العدوان الثلاثي قبل عشر سنوات، وكانت إسرائيل ذيلا لبريطانيا وفرنسا .. ومن هنا فإن كلام اشكول عن (حقوق وسيادة الدول الأخرى) كان يهدف من ورائه أن يدبر (عدوانا جماعيا) على مصر .. فإن لم يتيسر، فإن إسرائيل حاضرة لعدوان منفرد، أصالة عن نفسها ونيابة عن المجتمع الدولي .. أو على الأقل مجتمع الدول البحرية!!

وتوكيدا لقدرة (العدوان الإسرائيلي المنفرد) قام اشكول في اليوم نفسه بسلسلة مشاورات مع قادة المعارضة - موشى ديان ومناحم بيجن وغيرهما - وأعلن في حفل عام في إحدى المستعمرات الإسرائيلية (أن إسرائيل يمكنها أن تواجه قوة الدول العربية وتفوقها العددي، فإسرائيل متفوقة نوعيا ..) .

وفي الرابع والعشرين من شهر أيار، وصل وزير الخارجية الإسرائيلي ايبان إلى مطار باريس بصورة مفاجئة، وأعلن أنه في طريقه إلى لندن ونيويورك وواشنطن لبحث(التطورات الأخيرة في أزمة الشرق الأوسط ..) .

والواقع أن سفره كان إلى البيت الأبيض .. وما باريس ولندن ونيويورك إلا محطات ترانزيت، يتوقف فيها قليلا ليتحدث مع المسئولين فيها .. ولكن النور الأخضر أو الأحمر لا بد أن يلتمسه في البيت الأبيض .. ذلك أنه لم يجد النور في باريس مدينة النور .. فقد سمع ايبان حديثا قاسيا من الجنرال

ديجول أثناء اجتماعه به في قصـــر الاليزيه .. وقد وصـــل هذا الحديث إلى القاهرة في مساء ذلك اليوم عن طريق السفارة العربية في باريس .. وقال الجنرال ديجول للوزير الإسـرائيلي : إذا هوجمت إسـرائيل فلن ندع أحدا يدمرها .. ولكن إذا هاجمتم أنتم فسـنشـجب بادرتكم وعليكم أن لا تبدأوا الحرب .. ومن يطلق الرصاصة الأولى يكون هو الذي يبدأ الحرب) ..

وهكذا خاب أمل ايبان في فرنسـا .. فلم يعد يحكمها الرئيس الفرنسـي السـابق (جي موليه) الذي تآمر مع بن غوريون أيام العدوان الثلاثي على مصر في عام 1956 .

ولم يكن الأمر يحتاج إلى موهبة رفيعة في الفراسـة لمعرفة الأهداف الحقيقية وراء رحلة ايبان إلى البيت الأبيض، وواشـنطن، حيث الكونجرس، والخارجية ووزارة الدفاع الأمريكية، وأخيرا وأولا وكالة المخابرات الأمريكية التي هي حكومة فوق الحكومة !!

وحتى من غير فراسة أو دراسة، فقد كان واضحا أن ابيان كان يسعى إلى استنفار أعداء الأمة العربية للقيام بحرب عدوانية ثنائية أو ثلاثية أو رباعية، على مصر باعتبارها القلعة الأمامية في الوطن العربي، وأن تكون إسرائيل ذيلا لهذه الحملة . وكما قامت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل بالعدوان الثلاثي على مصر في أعقاب تأميم قناة السـويس . فلم لا تكون حرب أخرى من أجل فتح خليج العقبة ؟.

بل إن ايبان نفسه فضحته أحاديثه، فقد قال في مقابلة تلفزيونية، في مطار لندن، وهو في طريقه إلى الولايات المتحدة (إن المسـألة الحرجة هي ما

إذا كانت الدول البحرية تعتزم فتح خليج العقبة .. أو أنها ســـتنحني للعدوان والقرصنة الدولية اللذين كانا السبب في إغلاق مصر لخليج العقبة)..

وبعد ســت ســاعات من هذا الحديث في مطار لندن، تحدث ابيان في مطار نيويورك فأعلن (أنه لن يطلب من الأمم المتحدة اتخاذ أي أجراء، وأن مهمتي أن أعود بصورة واضحة عما إذا كانت الدول التي تعهدت بحماية حقنا في المرور الحر في الخليج العقبة وفي مضـايق تيران تعتزم تنفيذ هذا التعهد أم لا).

ومن نيويورك طار ابيان إلى واشـــنطن ..وما هي ألا برهة وجيزة حتى بدأ اجتماعاته العاجلة مع الرئيس جونســـون، مع دين راســك وزير الخارجية الأمريكية، مع رو برت مكنمارا وزير الدفاع، ومع عدد من رجال المخابرات الأمريكية .

ومن واشـــنطون، وبعد هذه الاجتماعات العاجلة، عاد ابيان ليلا إلى تل أبيب، ليصلها في السابع والعشرين من الشهر إياه، أيار صاحب الأحداث والأخبار ..

وتعاقبت القرائن والدلائل مثل بصمات الأصابع، أو، مواقع الأقدام في الرمال، وكلها تثبت أن تواطأ أمريكيا إسرائيليا قد دبر في واشنطن لينفذ في تل أبيب .

وســـرت في هذا الموكب من الدلائل والقرائن، ولم أكن في حاجة أن أكون حاضرا في الاجتماعات ومعي الأمة العربية كلها، لنسمع الأحاديث حول هذه المؤامرة ..فقد نشرت وكالات الأنباء أخبار هذه الاجتماعات نتفا نتفا، وما على العقل ألا يجمعها ليكون منها الصـورة الواحدة، الكاملة الشـاملة . وقالت

الأنباء .. وما (نعمة) الأنباء ألا رواتها .. في الاجتماع الرئيسي الذي امتدا قريبا من ساعتين مع الرئيس جونسون، شرح ابيان بوضوح موضوع خليج العقبة منذ حرب السويس، وقرأ المراسلات الأمريكية التي صدرت لإسرائيل في عهد الرئيس ايزنهاور ووزير خارجيته دالاس بالتعهد بضمان حق إسرائيل بالملاحة في خليج العقبة، وتواجد قوات الطوارئ الدولية في سيناء لضمان هذا الحق .. ثم ما كان أخيرا من سحب قوات الطوارئ وإغلاق خليج العقبة واحتشاد القوات المصرية . وأن الموقف الآن يتطلب الالتجاء إلى القوة .. إما القوة الدولية البحرية لفتح خليج العقبة، أو قوة إسرائيل العسكرية، إذا كانت الدول البحرية لا تريد اتخاذ هذه الخطوة..

وزاد ابيان على ذلك أخيرا (خبرا في غاية الخطورة) .. كان هذا الخبر الخطير أن ايبان تلقى برقية عاجلة من تل أبيب، سلمت إليه عند وصوله واشنطن (إن مصر ستهجم على إسرائيل غدا أو بعد غد) !!

ولمناقشة هذه البرقية العاجلة دعى الجنرال ويلر رئيس أركان حرب القوات الأمريكية لإبداء رأيه في الموضوع .. وقال الجنرال الأمريكي (إنه لا يشارك ايبان آراءه ومخاوفه لأن المعلومات التي لدى وزارة الدفاع الأمريكية أن الجيش الإسرائيلي هو الذي يلح بأخذ زمام المبادرة، وإنه ليس لإسرائيل ما تخشاه، فإن الجيش الإسرائيلي متفوق على الجيش المصري .. ومع هذا فإن الأسطول السادس المؤلف من خمسين سفينة حربية اتخذ مواقعه اللازمة في شرق البحر الأبيض المتوسط ابتداء من الرابع والعشرين من هذا الشهر) .

ويشاء القدر الساخر أن يكشف واقعة إضافية استشهد بها الوزير الإسرائيلي أبا ايبان في اجتماعه مع الرئيس جونسون، وكان ذلك في الخامس من حزيران .

أجل ففي الخامس من حزيران، وهي مصادفة القدر العجيب، نشر المعلق الأمريكي المعروف، جوزيف السوب، مقالا في جريدة هيرالد تريبيون ذكر فيه أن (ايبان قد أبرز للرئيس جونسون وثيقة رسمية بخط وزير الخارجية الأمريكي المستر دالاس (بالتزام أمريكا بحماية حق إسرائيل في الملاحة بخليج العقبة بجميع الوسائل المتاحة) ولكن أحدا لم يتساءل كيف وصلت وثائق الخارجية الأمريكية إلى وزارة الخارجية الإسرائيلية ..؟!!

ولعله كان طبيعيا أن لا يتساءل أحد، فالخارجية الأمريكية والخارجية الإسرائيلية هما وزارة واحدة في دولة واحدة، ويبقى السؤال المحير، هل الدولة، إسرائيل، أم الولايات المتحدة ؟؟!!

وفي اجتماع جانبي جرى بين الرئيس جونسون والوزير الإسرائيلي المفوض في واشنطن -افرون - وكانت بينهما صداقة وطيدة قبل أن يتولى جونسون الرئاسة، أشار الوزير الإسرائيلي إلى أن الرئيس جونسون حين كان زعيم الديمقراطية في الكونجرس في عام 56-57- كان مؤيدا لإسرائيل بصدد حرية الملاحة في خليج العقبة، إلى حد أنه وجه انتقادا شديدا إلى وزير الخارجية الأمريكية فوستر دالاس لأنه كان يهدد إسرائيل بوقف المعونات الاقتصادية .. وأجاب الرئيس جونسون قائلا : (أريد أن أرى العلم الإسرائيلي الأزرق الأبيض يمخر في خليج العقبة .. أنتم اعتمدتم على أنفسكم ولا تنتظروا منا أن نفعل لكم شيئا ..).

وهكذا عاد ايبان من واشنطون بانطباعات واضحة أبرزها :

أولا :– الأسطول الأمريكي السادس يرابط في شرق البحر الأبيض المتوسط على أهبة الاستعداد .. إذا هبت الرياح في غير صالح إسرائيل .

ثانيا :– أن على إسرائيل أن تعتمد على نفسها .

ثالثا :– أن الاتحاد السوفيتي لن يتدخل عسكريا في حالة حدوث أي نزاع مسلح .

رابعا :– أن الدول البحرية تؤيد فتح خليج العقبة، ولكنها في الظروف الحاضرة لم تستطع أن تتفق على خطة مشتركة، وما على إسرائيل إلا أن تقوم بهذه المهمة بنفسها ..

وقد أدلى ايبان بتصريح واضح غداة وصوله إلى تل أبيب قال فيه (لقد أتيت معي ببعض العبارات .. لقد لاحظت تأييد القادة الأمريكيين القوي الحازم لحرية الملاحة في خليج العقبة لجميع السفن، مهما كان العلم الذي ترفعه .. قد أوضحت للقادة الأمريكيين والفرنسيين والبريطانيين بصراحة أن السلام لا يمكن أن يتعايش مع هذا الإغلاق غير القانوني .. وأن إسرائيل لا تواجه هذا الاختبار بمفردها ..) (1967/5/27).

وفي اليوم الثاني عقد مجلس الوزراء الإسرائيلي اجتماعا مطولا استمر خمس ساعات أفضى خلاله الوزير الإسرائيلي ايبان بتقرير مفصل عن رحلته إلى الخارج، ولابد أن الوزارة الإسرائيلية قد توصلت إلى قرار .. قرار الحرب .. أو على الأقل إلى اتجاه في طريق الحرب، بعد أن نقل ما قاله المسئولون الأمريكيون .. وفي مقدمتهم رجال المخابرات الأمريكية، صانعو المؤامرات، ومدبرو الانقلابات، ومشعلو الحروب الصغيرة في هذه القارة أو تلك .

ومرة ثانية لم يعد الأمر في حاجة إلى دراســـة ماهرة للتعرف على هذا الاتجاه، لقد كنت أســتمع إلى النشــرة الإنجليزية لإذاعة إســرائيل وهي تلخص الخطاب الذي ألقاه اشــكول رئيس الوزارة الإســرائيلية بعد اجتماع الوزراء، وهو يعلن فيه :

(أولا: – أن الخطر الذي يتهدد إسـرائيل فد وصــل حده الكامل .. وقد تلقت الحكومة تقريرا عن إجراءات الاستعداد التي اتخذت، وهي أن قوات الدفاع الإسرائيلية مستعدة تماما لحماية أمن إسرائيل .

ثانيا : – أن حكومة إســـرائيل تعتبر إغلاق مضـــائق تيران في وجه الملاحة الإســـرائيلية بمثابة عدوان على إســـرائيل، وســـتقاوم هذا الإغلاق في الوقت المناسب طبقا لحق كل دولة في الدفاع عن نفسها .

ثالثا :– لقد تلقت الحكومة تقريرا من وزير الخارجية عن محادثاته مع قادة بريطانيا وفرنســـا والولايات المتحدة واتصـــالاته مع الدول الأخرى بما فيها الاتحاد السوفيتي .. وقد وضعت الحكومة الإسرائيلية توجيهاتها لاستمرار العمل السياسـي في المجال الدولي بقصـد حفز القوى الدولية إلى اتخاذ إجراءات فعالة لضــمان حرية الملاحة، وإزالة التحشــدات العســكرية على الحدود الجنوبية .. حتى لا نضــطر إلى اســتخدام قواتنا العســكرية في الدفاع عن أنفســنا..) (67/5/28).

واضـح أن هذه العبارات بصـورة عامة، وخاصـة (استعداد قوات الدفاع الإسـرائيلية) وأن إسـرائيل (سـتقاوم إغلاق خليج العقبة في الوقت المناسـب)، وأن إسـرائيل (سـتضـطر إلى اسـتخدام قواتها العسـكرية) .. هذا الكلام العام والخاص لا يترك مجالا للشـك في أن إسـرائيل قد قررت أن تحارب وأن تحارب

في الوقت المناسب .. ولم يبق إلا أن تأخذ زمام المبادرة .. وأن تحدد ساعة الصفر .

ودعما لهذا القرار .. فقد سار اشكول رئيس الوزراء الإسرائيلي خطوة عملية على طريق الحرب، فقد دعا زعماء المعارضة الإسرائيلية للاشتراك معه في الوزارة لتكون بمثابة وزارة حرب لمواجهة جميع مسئوليات الحرب .. وبدأت الأحزاب السياسية مشاوراتها لبحث الأسس العامة لتشكيل وزارة ائتلافية .

ويوم كان اشكول يعمل على تأليف وزارة حرب كان يخاطب المجتمع الإسرائيلي والدولي شارحا مبررات الحرب، داعيا الدول العظمى بوجه خاص إلى أخذ المبادرة الفعلية وبالقوة المسلحة، وإلا فليس أمام إسرائيل غير (الدبابة) مركبا .. (وليس على المضطر إلا ركوبها ..) وما كان منه إلا أن أعلن في الكنيست أن إسرائيل (لن تتراجع عن إصرارها على حرية الملاحة في مضائق تيران وأنها لا تقبل بأي حل وسط، وأن إسرائيل تظل ملزمة باختبار تعهدات القوى البحرية لضمان حرية الملاحة في المضائق .. وأن من المنطق أن تتوقع من هذه الدول أن تقوم بعمل فعال في فترة قصيرة لضمان حرية الملاحة .. وأن إسرائيل تعلن بكل اعتزاز أن الجيش الإسرائيلي هو في أوج قوته وعظمته فيما يتعلق بالمهارة والروح القتالية والعتاد الحربي ..) (1967/5/29).

وكان الحديث عن (الفترة القصيرة) وتفوق (الجيش الإسرائيلي) مدعاة لخروج بن غوريون رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق عن صمته وعزلته، وهو يعتبر نفسه مؤسس جيش الدفاع الإسرائيلي .. فقد عقد مؤتمرا صحفيا أعلن فيه (ثقته الكاملة بالجيش الإسرائيلي. وأنه يعدل نوعيا في الجودة أي جيش في العالم . وأن التهديد المصري لإسرائيل أخطر من أي تهديد واجهته إسرائيل في

الماضي .. وأن إسرائيل لها أصدقاء أقوياء جدا، ولكن ليس مستطاعا أن تأخذ بنصائحهم دائما، أو أن تتجاهلهم دائما).

ولم تعد الحرب حديثا عابرا بل أصبحت خطة مدبرة، وبدأ المتطوعون اليهود يتوافدون على إسرائيل فقد أعلن ناطق بلسان الوكالة اليهودية بأن (تطوع الشباب اليهود خارج إسرائيل لا يزال يتزايد باستمرار، وأنه يتوقع وصول جماعات كبيرة من المتطوعين إلى إسرائيل خلال الأيام القليلة القادمة .. (1967/5/29).

ولم يكد يطل اليوم الثلاثون من الشهر حتى أطلت معه بوادر سياسية وعسكرية تنذر بأن إسرائيل ستوجه الضربة الأولى، وتطلق الرصاصة الأولى .. (والمتطوعون اليهود يتوافدون خلال الأيام القليلة القادمة) كما أعلنت وكالة رويتر ..

فعلى الصعيد السياسي، عقد ايبان وزير خارجية إسرائيل مؤتمرا صحفيا أعلن فيه أن إسرائيل مستعدة أن تقدم أية تضحيات لفتح خليج العقبة، بمعاونة الدول الأخرى إذا أمكن، ولوحدها إذا اضطرت إلى ذلك .. وأن إسرائيل على استعداد للتريث بعض الوقت لمعرفة ما إذا كان بالإمكان حل القضية عن طريق إجراء دولي .. وأنه من المشكوك فيه ما إذا كانت الأمم المتحدة قادرة أن تلعب دورا حاسما .. وأن إسرائيل لا تستطيع أن تنتظر طويلا .. ولن يكون الانتظار شهورا ولا سنوات .. وأن إسرائيل الآن مستعدة تماما وكأنها رقاص مشدود وأن التأييد المعنوي الذي تلاقيه إسرائيل ضخم جدا ..).

كان هذا كلام الوزير الإســـرائيلي ايبان الذي يعتبره الإســـرائيليون من فصـيلة الحمائم .. وكان كلامه في ختام شـهر أيار، وعلى التحديد، بالرقم في 1967/5/30 !!

وعلى الصـعيد العسكري، كان لابد لهذا (الرقاص المشـدود) حسـب تعبير الوزير الإســرائيلي ايبان، من دعم مادي وحربي .. وتجلى ذلك بصـــورة فعلية في مطار اورلي (باريس) فقد وصـــــل بصـــــورة مفاجئة ظهر ذلك اليوم بنحاس سابير وزير المالية الإسرائيلية ومعه الجنرال حاييم لاسكوف مدير سلطة الموانئ ورئيس أركان الجيش الإسرائيلي سـابقا، وعقد اجتماعا طارئا مع سـفراء إســرائيل في باريس وبون وروما، واشــترك معهم المالي الفرنســي الصـــهيوني البارون روتشلد ..

ومن ناحية أخرى فقد وصــل في اليوم نفســه سـفير إسـرائيل المتجول، ميشـيل كوماي إلى لاهاي في جولة إلى العواصـم الأوربية .. وقد رفضـت هذه التجمعات الإسـرائيلية الإفصـاح عن مهمتها، واقتصـر وزير المالية الإسـرائيلية على القول بأنه (سـيقضــي بضـعة أيام في الولايات المتحدة بخصـوص بعض المسائل الاقتصادية التي نجمت عن حالة الأمن في إسرائيل..) (1967/5/30).

وإذا كانت الأفواه الإســرائيلية ملجمة في ذلك اليوم، ملتزمة الصـــمت، فقد تكلمت الذخائر الحربية وهي تشـحن عبر الأجواء إلى تل أبيب، فقد نشـرت الصـحف الفرنسـية نقلا عن مصـادر مطلعة (أن ثلاث طائرات نفاثة من طراز بوينج تابعة لشـــركة الخطوط الجوية الإســـرائيلية هبطت في مطار بوردو - الفرنســي - حيث وقفت في المدرج العسكري الملاصـق لمصـانع شـركة داسـو

للطيران التي تزود سـلاح الطيران الإسـرائيلي بالصـواريخ .. وقد عادت هذه الطائرات إلى إسـرائيل محملة بقطع الغيار ومواد حربية فرنسـية الصـنع، أما سـلطات مطار بوردو فقد رفضـت التعليق على الموضـوع وأحاطته بمنتهى الكتمان ..).

ومن جهة أخرى فقد أعلن ناطق بلسان وزارة الدفاع الأمريكية بأن أربعة أطنان من الذخيرة الخاصـة بالرشـاشـات الأوتوماتيكية قد أرسـلت أمس إلى إسرائيل وأن شحنة الذخائر قد أرسلت إلى وكيل شحن يمثل إسرائيل ..

ولم تكد تصل المعدات العسكرية إلى إسرائيل، حتى صدر بيان من تل أبيب يقول إن الأحزاب المعارضة قد قبلت الاشتراك في الوزارة الإسرائيلية، وإن موشـى ديان قد أصـبح وزيراً للدفاع .. وبهذا أعلنت وزارة الحرب .. ولم يبق إلا أن تقع الحرب في أي يوم، في أي سـاعة، في أي لحظة، ومن غير إعلان !!

بل إن إعلان الحرب قد تم فعلا في إسرائيل، ولم يبق إلا تحديد ساعة الصـفر .. وكانت هذه النتيجة الحتمية التي يصـل إليها القارئ - القارئ على المسـتوى العادي - وهو يتابع الصـحف الإسـرائيلية .. وهذه جريدة معاريف الإسـرائيلية حثت على وجوب قيام إسـرائيل باتخاذ خطوة عسـكرية في سـيناء، معلنة بأن (الحشود المصرية تهدد أمن إسرائيل، وأن القضاء على هذا التهديد أمر يتعلق بإسرائيل وحدها ..) (1967/5/31).

بل إن المرء ليدهش إذا كانت إسرائيل لا تبادر إلى الحرب، والمصادر الغربية كلها تحض إسـرائيل على القتال بصـورة مباشـرة أو غير مباشـرة، وكان آخر من دعاها إلى القتال المستر سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية السابق

وعضو مجلس العموم في مقال نشرته له جريدة (صندي تلغراف) اللندنية قال فيه (إن على بريطانيا وأمريكا وغيرهما من القوى البحرية أن تعلن بجرأة عزمها على ضـــمان حرية الملاحة في خليج العقبة، وإذا كان هناك نزاع على الحق فيجب أن تستخدم القوة المسلحة لضمانه ..) (1967/5/28).

وأي تحريض أشـد من ذلك لإسـرائيل ...وإسـرائيل بأصـلها العدواني وطبيعتها التوسعية ليست في حاجة إلى تحريض .

ولم يكد ينتهي شـــهر أيار، ويبزغ فجر حزيران، حتى نقلت وكالة رويتر رسالة لمراسلها في تل أبيب يقول فيها (إن مصادر موثوقا بها ذكرت أن إسـرائيل تضـغط الآن على واشـنطون ولندن وباريس للإسـراع بالعمل الدولي المقترح لفك الحصار المضروب على خليج العقبة .. وأن إسرائيل أبلغت الدول الغربية أن عنصـر الوقت أصـبح الآن أكثر أهمية من أي وقت مضـى .. وأن الدوائر الإسرائيلية تتساءل إلى متى نظل ننتظر ؟).

(إلى متى نظل ننتظر) كان هذا هو السؤال الذي طرحته إسرائيل على حلفائها في بداية شـهر حزيران .. وكان طبيعيا بل منطقيا .. بل حتميا أن تقع الحرب في أوائل حزيران .

ولم تكن هـذه نبوءات الفلكيين، ولا العرافين بطوالع النجوم، ولكنها حتمية الأحداث إزاء دولة تصـــطنع الأحداث لتعتدي، فكيف بها وقد وقعت الأحداث وتوافرت بين يديها المبررات .

وبدأت أخاف من حزيران .. وبدأت مخاوفي أكثر من غيري .. أعرف أننا غير قادرين على الحرب، ولســـنا على اســـتعداد لها .. فلقد كنت أعرف مؤتمرات القمة كما أعرف اسمي، وأحس مخالفاتها كما أحس جسمي..

وكان أكبر خوفي، أن تتحقق فراســـة الصـــحيفة البريطانية، جريدة الاوبزرفر، التي أعلنت (أنه من المتوقع أن تقوم إسـرائيل بالضـربة الأولى .. وأن المعركة قد تربح أو تخسر في الساعات الأربع والعشرين ساعة في هجمة جوية مفاجئة ..) (1967/5/28).

وجمعت شـــجاعتي، وقلت ســـائلا ومجيبا .. وذلك تعليقا على نبوءة الصحيفة البريطانية:

تساءلت : هل يستطيع العدوان أن يدمر سلاحنا الجوي بضربة ساحقة ؟

قلت : يســتحيل .. وهل نحن غافلون، جاهلون، مســتهترون إلى هذا الحد ..

وتســـاءلت : ولكن العدو ذكي وقوي، وماهر وماكر،ألا يســـتطيع أن يدمرنا بمفاجأة ما؟؟

قلت : يســـتحيل .. إن فينا القادة الكبار، والضـــباط العظام، ومعنا روسـيا بكل خبراتها العسـكرية والسـياسـية، فهل يمكن أن تجوز المفاجأة علينا جميعا ..

وتساءلت : ولكن الحرب خدعة .. وإسـرائيل ولدت على فراش الخديعة ..

وقلت : نحن نعرف أن الحرب خدعة .. ولابد أننا أخذنا لكل أمر عدته ..

وكبحت نفسي أن يدور هذا القيل والقال في نفسي، وقلت ليت ..

ليت الذين بيدهم مقاليد الأمور يعملون بقوله تعالى، وهو يعلم الرسـول كيف يصـلـي في ميدان القتال (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصــلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصـــلوا معك وليأخذوا حذرهم وأســـلحتهم، ودَ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة)

(صدق الله العظيم)

حقا صـدق الله العظيم .. فقد غفلنا عن أسـلحتنا وأمتعتنا، ومال العدو علينا ميلة واحدة، وكأنما نزلت آية القرآن، من أجل حرب حزيران ...

عبد النـاصر وحسين

(الملك حسين وصل إلى القاهرة) ...

تلك كانت همسة الجماهير في صبيحة يوم الثلاثاء، الثلاثين من شهر أيار، شهر الأقدار والأخبار .

وبدأت الهمسة في مطار القاهرة ثم انسابت إلى المدينة كلها، يتناقلها المواطنون من واحد إلى واحد، حتى ملأت ساحاتها ومقاهيها ومعابدها ووزاراتها، والناس بين مصدق ومكذب، وذاهل ومتسائل ..

وفي القاهرة حملت أمواج الأثير إلى سائر أرجاء الدنيا، النبأ المثير..(الملك حسين وصل فجأة إلى مطار القاهرة وكان الرئيس عبد الناصر في استقباله، وهما الآن في اجتماع مغلق في قصر القبة) .

وكان هذا الخبر هو خبر الساعة في الوطن العربي كله، وفي كل بقعة من بقاع العالم، حيث تقرأ الصحف ويضاء التلفزيون أو يسمع الراديو..

وقد سبق للملك أن زار القاهرة مرات ومرات، واجتمع بالرئيس عبد الناصر في عدة مناسبات .. ولم يكن وصوله إلى القاهرة مثيرا للاهتمام، أو باعثا على الدهشة والعجب .. بل إن كثيرا من زياراته لا تتعدى أن تكون عبارة واحدة (الملك حسين وصل القاهرة) وليست أكثر من مبتدأ وخبر .. كما يقول طلاب المدارس الابتدائية ..

ولكن وصـــول الملك الحســين إلى القاهرة وفجأة ... وفي آخر شــهر أيار، كان حدثا من الأحداث الجسام، طبع بصمات عميقة على مسيرة الأيام التالية .. ولم يبق على حرب الأيام الستة .. إلا ستة أيام .. وسقط القدر بكامله في اليوم السابع !!

وكانت الدهشة بالغة العجب في كل مكان .. ولكن مجيء الملك حسين إلى القاهرة كان أبلغ دهشا وعجبا في الوطن العربي .. فلم يكن أحد يتصور أن يخرج الرئيس عبد الناصــر من منزله في منشــية البكري وبرفقته المشــير عبد الحكيم عامر ليكون في اســتقبال الملك حســين، ويضــمه بين ذراعيه، ويطبع على وجنتيه قبلة التحية، التي أســماها مؤرخو حرب الأيام الســتة من أنصــار الصهيونية فيما بعد، (بالقبلة التاريخية القاتلة ..) !!

وكان السبب في العجب، وإذا عرف السبب بطل العجب، أن العلاقات بين القاهرة وعمان كانت على أقســى حال من التدابر والتناحر . وكان عبد الناصــر يتهم الملك حسـين بالعمالة والخيانة، وكانت إذاعة القاهرة تندد بالملك حســين، وبأمه وأبيه، وأســرته التي تؤويه، كما كانت إذاعة الأردن تنهش عبد الناصــر بلا حســاب .. وشــتان بين الموقفين، فالملك حسـين في قفص الاتهام وعبد الناصــر في كرســي النائب العام .. والجماهير تتندر وتســمر على هذا الحوار وهي متكئة على سدة الحكم !!

ولكن مجيء الملك حســين إلى القاهرة في صــبيحة ذلك اليوم كانت له قصـــة فريدة بذاتها خفيت أســرارها حتى على الذين يظنون أنهم يعرفون بواطن الأمور .. أو يعرفون الواقع قبل وقوعه ..

ففي عمان لم يكن يعرف أمرها إلا الملك حسين ورئيس وزرائه سعد جمعة ورئيس الأركان اللواء عامر خماش .. وفي القاهرة كان علمها عند اثنين، أو عند إنسان واحد مؤلفا من شخصين : الرئيس عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر .. وانضم إليهما ثالث فيما بعد، هو اللواء عبد المنعم رياض معاون القائد العام للقيادة العربية الموحدة .

وقد بدأت القصة في أوائل العشرينات من شهر أيار حين كانت الأمة العربية تقف على أطراف أصابعها مشدودة بكل جوارحها إلى إذاعة القاهرة وهي تتحدث عن سحب قوات الطوارئ الدولية واحتشاد القوات المصرية، تسبقها وتلحقها الأناشيد الوطنية وفي طليعتها النشيد الشهير (الله أكبر ..).

ففي الواحد والعشرين من الشهر وصل إلى القاهرة اللواء عامر خماش رئيس أركان الجيش الأردني، وأعلن رئيس الوزراء السيد سعد جمعة في بيان رسمي أن الحكومة الأردنية (طبقا لتوجيهات الملك حسين بن طلال أوفدت اللواء عامر خماش لإجراء مباحثات مع القيادة العربية الموحدة) .. غير أن الحقيقة كانت غير ذلك .. بل أن مجلس الوزراء لم يكن يعرف الحقيقة ... ولكنه بيان رسمي .. وأعذار رسمية لا تستند إلى الواقع لسببين كبيرين : الأول أن القيادة العربية الموحدة كانت قد جمدت منذ العام الماضي، والثاني أن الأردن قاطع القيادة العربية الموحدة على غير جدوى، كما لم تفلح كل المحاولات المخلصة لحمل الأردن على العودة إلى الحظيرة العربية والالتزام بمقررات مؤتمرات القمة ..

وكانت القيادات الشابة في الجيش الأردني هي السبب في رحلة اللواء خماش إلى القاهرة .. فقد وصل إلى علم الملك حسين أن مجموعة تعرف

(بالضباط الأحرار) قد بدأت تتساءل عن دور الجيش الأردني في المعركة، وقد أصبح الجيشان السوري والمصري يواجهان الجيش الإسرائيلي .. وتصايح الجيش الأردني في ثكناته : - ونحن هل نبقى في الخنادق، وإخواننا في السلاح يتواثبون إلى الميدان .. وبأي وجه نقابل شعبنا، بل نساؤنا وأولادنا ؟!

ولم يكن أمام الملك حسين إلا أن ينحني أمام العاصفة الجارفة، وخاصة بعد أن رأى أن الشعب في الأردن يعيش جو المعركة صباح مساء، وأن جماهير اللاجئين قد بدأوا يقلعون أوتاد خيامهم ليعودوا إلى مدنهم وقراهم في موكب النصر والتحرير، بعد أن سلخوا عشرين عاما طوالا يحنون شوقا إلى الديار ..

ومن غير أن يذهب اللواء عامر خماش إلى السفارة الأردنية في القاهرة، فقد توجه في (غزوة خاطفة) إلى مبنى القيادة العربية الموحدة .. راسا من مطار القاهرة الدولي .. وهناك اجتمع باللواء عبد المنعم رياض، وهو من الضباط المقربين من الرئيس عبد الناصر، وأفضى إليه برغبة الملك حسين بزيارة القاهرة وتنسيق الموقف مع الرئيس عبد الناصر، وأن الأردن مستعد أن يضع كل طاقاته في المعركة .. والمعركة أصبحت على الأبواب ..

وعاد اللواء عامر خماش إلى عمان في صباح اليوم التالي (1967/5/22) وصدر البيان الرسمي من رئاسة مجلس الوزراء الأردني، مصرا على الأسباب الكاذبة إياها، ليعلن (أن اللواء عامر خماش قد ذهب إلى القاهرة في مهمة رسمية تتعلق بتنسيق المجهود العربي مع القيادة العربية الموحدة ..) والقيادة العربية الموحدة بريئة مما يزعمون !!

وكان موقفا عسيرا على الرئيس عبد الناصر أن يستقبل الملك حسين في القاهرة بعد تلك الخطب الهادرة التي تحدث فيها عن الحسين، (الصغير، العميل، الخائن، وريث العمالة والخيانة ..) ولكن الرئيس عبد الناصر كان واقعيا بمقدار ما كان مثاليا، حين تفرض الظروف .. وأي ظروف أشد قهرا من المعركة المقبلة على الأمة العربية .. بل كيف يمكن أن تكون المعركة أصلا من غير الأردن، وهو يطل على إسرائيل تدميرا وتمزيقا، و إفناء وتحريقا ..

ومضت بضعة أيام وعبد الناصر يلوك هذا الأمر في نفسه .. غير أنه لم يستطع أن يبلع شيئا واحدا بعد أن مضغه ومضغه مرات ومرات .. لم يستطع أن يرى الملك حسين في القاهرة ومعه رئيس ديوانه وصفي التل، وهو الذي تولى حملة التشهير على الرئيس العربي، حين كان رئيسا للوزراء أيام العدوان الإسرائيلي على قرية السموع، ونزل فيه نزلة مالك في الخمر .. فاتهمه بالجبن والتقصير، والتواطؤ مع إسرائيل .. ورمتني بدائها وانسلت!!

وانتهز الرئيس عبد الناصر فرصة لقائه بالعمال العرب (67/5/26) وهو الذي يعرف كيف يدير كل فرصة، فوجه في خطابه كلاما كان بمثابة جواب إلى الملك حسين، دون أن تعرف الجماهير العربية معنى ذلك الكلام، ودون أن تفهم القصد والمقصود ..

لقد قال عبد الناصر، من غير أن يشير إلى الملك حسين بالاسم أو بالجسم، (إحنا النهارده مستعدين والجيش السوري والجيش المصري يمثلوا جبهة واحدة ونتمنى أن كل الجبهة إللي موجودة حول إسرائيل أن تكون جبهة واحدة، بنتمنى هذا، ولكن هناك عقبات في الوقت الحالي .. طبعا وصفي التل جاسوس عند الأمريكان وجاسوس عند الإنجليز لا يمكن أن أنا أتعاون مع

هؤلاء الجواسـيس بأي شـكل من الأشـكال لأن المعركة هي معركة مصـير ولا مجال للجواسيس في هذه المعركة .. نتمنى أن تكون جبهة واحدة حول إسرائيل ..).

وقد أراد الرئيس عبد الناصــر أن يحقق هدفين، وأن يرمي بحجر واحد عصـــفورين .. أراد أولا أن يهيأ الرأي العـام العربي إلى أن يكون الأردن في الجبهة العربية الواحدة .. حتى لا يفاجأ بعودة الملك حسين إلى الحظيرة العربية، ولا يرى في لقاء عبد الناصــر والحســين أمرا مســتنكرا، وأراد ثانيا أن يخاطب الملك حسـين علنا بأن (وصـفي التل العميل الجاسـوس) لا مكان له في هذه المعركة .. وبالتالي لا مكان له في هذا اللقاء .. بالقاهرة.

وتم تبادل الإشـارات والرسـالات السـرية بين القاهرة وعمان حول الموعد وأشخاص الوفد ومواضيع البحث .. ووصل الملك حسين إلى القاهرة في صباح الاثنين (67/5/30) ليجد في استقباله في المطار الرئيس عبد الناصر والمشير عامر وثلاثة آخرين من رجال الدولة، من غير اسـتقبال رسـمي ولا شـعبي .. ولم يكن الملك حسين يطمع بأكثر من هذا، فتلك عنده هي فرحة العمر !!

وفي السـاعة العاشـرة من صـباح ذلك اليوم، دق جرس التلفون في مكتبي، في رنين متواصـل منبعث من تلك الحقبة التاريخية .. وإذا بالسـيد سامي شرف مدير مكتب الرئيس عبد الناصر يحدثني من قصر القبة ..

قال : سيادة الرئيس يدعوك إلى قصر القبة، ضروري، حالا .

قلت : خيرا إن شاء الله .. هل أستطيع أن أعرف الموضوع ..

قال : أرجو أن يبقى الأمر سرا، الآن، (صديقك) الملك حسين، وصل القاهرة .. ستتم مباحثات مهمة بينه وبين سيادة الرئيس .. وطبيعي، حضورك ضروري للاشتراك في المباحثات .

قلت : أنا أفضل أن أتريث بعض الوقت، فإن نجحت المباحثات، يمكنني أن أحضر فيما بعد .. وأنت تعرف ما قد وصلت إليه الأمور بين المنظمة والملك حسين ..

قال : من فضلك، انتظر على الخط، دقيقة واحدة وبس ..

وبقيت ممسكا سماعة التلفون وإذا بالرئيس عبد الناصر على التلفون يتكلم ..

قال : يا أخ أحمد .. الملك حسين معانا في قصر القبة .. وحضورك ضروري .. ونحن نأمل أن نصل إلى اتفاق .. وأن يزول سوء التفاهم بين الملك والمنظمة .. على كل حال حينما تأتي سأشرح لك الموقف ..

قلت : سأتوجه الآن إلى قصر القبة .. إنما أرجو أن أرى سيادتك على انفراد أولا ..

قال : طبعا .. هذا في نيتي ..

وخرجت من مكتبي في حي الدقي .. وهمست في أذن زملائي أعضاء اللجنة التنفيذية بخلاصة حديث الرئيس عبد الناصر، وطلبت إليهم انتظاري إلى أن أعود .. فما عدت إليهم .. بل ما رأيتم إلا .. إلا بعد الكارثة بأيام وأيام .. وذلك له حديث الشئون والشجون !!

وانطلقت السيارة في شوارع القاهرة المزدحمة، وأنا أكاد لا أرى الشوارع ولا الجماهير، ووصلت حدائق القبة، وهي تفوح بالأريج، فما أبصرت

الأشجار ولا سمعت بلابل الأطيار .. فقد كان عقلي قد سبقني إلى قصر القبة وحقا أن المرء يبصر ويشم ويسمع بعقله، قبل أنفه وعينيه وأذنيه!!

ودخلت القصـــر، وقادني رجال التشــريفات إلى غرفة مجاورة لمكتب الرئيس .. ودخل الرئيس عبد الناصـــر يحدثني واقفا، وكأنما يوحي إلي بأن الوقت قصـير .. ولا يحتمل الشـرح والإيضـاح، وأوجز (قصـة) مجيء الملك حسـين إلى القاهرة .. (وإننا في ظروف حرب .. وأن كل الدلائل تشـير إلى أن إسرائيل ستهاجمنا .. وأن الجبهة الأردنية تؤلف أهم محور في هذه المعركة وأن الموقف لا يحتمل التردد والانتظار .. وأن الظروف تفرض علي وعليك وعلينا جميعا أن يكون الملك حســـين معنا في هذه المعركة) .. وبدأ الرئيس عبد الناصــر يسـير في خطواته عند آخر كلماته في طريقه إلى الباب، وإلى مكتبه الخاص .. وأنا أســير وراءه ســاهما واجما، وأطياف المعركة وأحلام النصـــر وآمال التحرير وأماني العودة، أفقدتني كل إرادتي، ورأيتني في داخل الصـــالة وجها لوجه أمام الملك حسـين .. وكانت لحظة عنيفة تماسكت خلالها الخفقات والنبضات .. وتبلد الإحساس، وانحبست الأنفاس ..

ومد الملك حسين يده مصـافحا، ومددت يدي مصـافحا، وكان المشـهد باردا كأننا في مسرحية باردة، غارقة في التفاهة ..

وصـــاح المشـــير عبد الحكيم عامر .. (يا جلالة الملك عاوزين نزيل سوء التفاهم .. يا أخ أحمد لازم تتفاهموا وتتعانقوا ..)

وأقبل علي الملك حسـين، بالعناق .. وبادلته بالعناق .. وجلسـنا جميعا في أماكننا .. الرئيس عبد الناصـر والمشـير عامر والملك حسـين .. وخيم على

الغرفة، بعض الوقت، جو من الصـــمت تقطعه نفثات المدخنين .. والقدر سميع رقيب ..

وتحدث الرئيس عبد الناصــر، وكســر جو الصــمت .. فأشــار إلى الظروف الراهنة وضـــرورة التحام جميع القوى العربية وحشـــدها في المعركة، وطلب أن ندخل في بحث أسباب الخلاف ونعمل على إزالتها ..

فقلت : نحن الآن أمام معركة، ولا داعي للتفصيل في أسباب الخلاف .. لقد بدأت مسيرتي مع الملك حسين في صدد إنشاء الكيان الفلسطيني بكل انفتاح، وقدمت له كل التطمينات المعروفة بأننا لا نريد أن نتعرض للكيان الأردني، ولا أن نسلخ الضفة الغربية عن الشرقية، ولا نمارس أي سيادة أو ســـلطة، وأن كل الذي أردناه هو تحقيق مطالبنا المعروفة: التجنيد الإجباري، تحصين القرى الأمامية، التدريب الشعبي، الدفاع المدني .. أما على الصعيد العام فقد كان رأينا العمل على تنفيذ توصيات القيادة العربية الموحدة فيما يتعلق بدخول القوات العراقية والسعودية إلى الأردن، وإنشاء مطارين عسكريين .. و .. و ..

وقاطعني الرئيس عبد الناصـــر قائلا : جلالة الملك موافق على دخول القوات العراقية، وســـأتصـــل اليوم بالرئيس العراقي عبد الرحمن عارف لأبلغه بذلك .. ونأمل أن تصل وحدات الجيش العراقي إلى الأردن في خلال يومين أو ثلاثة ..

وعقب المشـــير عبد الحكيم عامر قائلا : يا أخ أحمد .. عفا الله عما ســـلف .. نحن الآن كلنا إخوان .. يجب أن نعبئ كل جهودنا في معركتنا مع إسرائيل .. كل التقارير عندنا تشير بأن إسرائيل ستبدأ الحرب قريبا .. ربما غدا

.. ربما بعد غد .. من يدري .. فليس عندنا وقت للعتاب على الماضي .. نحن اليوم أبناء اليوم ..

قلت : إن خلافي مع الملك حسين من أجل المعركة .. وليس من أجل أي شيء آخر ..

وقال الملك حسين : أن الأخ أحمد يعرف أسباب خلافنا مع المنظمة .. على كل حال .. نحن جميعا مسئولون عما جرى .. أنا أحمل خمسين في المائة من المسئولية .. والأخ أحمد الخمسين في المائة الباقية ..

قال الرئيس عبد الناصر : وماذا يقول الأخ أحمد ؟؟

قلت : بل أنا أحمل كل المسئولية .. أنا المسئول عن كل الأخطاء .. نحن الآن نواجه المعركة مع إسرائيل .. وأنا أعتذر لجلالة الملك حسين عن كل الأخطاء .. وأنا مستعد أن أسير خلفه، وكل ما أطلبه أن نفتح صفحة جديدة، بكل صدق و إخلاص ..

قال الملك حسين : وأنا موافق من جانبي أن تبدأ المنظمة نشاطها بالتعاون والتنسيق .. وسنفتح مكتب المنظمة في القدس(وكانت السلطة الأردنية قد أقفلته بالشمع الأحمر قبل عام).[1]

قال الرئيس عبد الناصر : الحمد لله أنكم تصافيتم بسرعة .. والواقع أنه ليس بينكم أي خلاف جوهري ..

وأنا أقترح أن يسافر الأخ أحمد إلى عمان بعد بضعة أيام للتنسيق مع جلالة الملك ..

---

[1] أحمد الشقيري، **على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء** ، مصدر سابق.

قلت : بل إني أرى أن أسافر اليوم ومع الملك حسين في طائرته .. الأمر لا يحتمل التأجيل .. المشير عامر ذكر أن المعركة واقعة قريبا .. فلماذا الانتظار والتأجيل ..

وسكت الملك حسين، ووجهه لا ينم عن الرضا .. ولكن جو الحديث لم يسمح له أن يقول، لا، وإن كانت قسمات وجهه كانت تقول لا، لا..

واستطرد الرئيس عبد الناصر ليقول : إن شاء الله تنتهي هذه المعركة بتحرير فلسطين .. ونحن من جانبنا موافقون على إلحاق قطاع غزة بالأردن تحت حكم جلالة الملك .. وما رأي الأخ أحمد أليس كذلك ؟؟

قلت : والله، أنا لا أملك إلا نفسي .. قطاع غزة هو لأهل القطاع وللشعب الفلسطيني .. والشعب الفلسطيني هو الذي يقرر مصيره .. أنا من جانبي مستعد أن أبايع الملك حسين على التحرير، إذا خاض الملك حسين معركة التحرير، وحقق الله الآمال، وكل ما أستطيعه أن أناشد الشعب على أن يبايع الملك حسين ملكا على البلاد والعباد .. ونسأل الله النصر ..

وعاد الرئيس عبد الناصر إلى الكلام عن قطاع غزة، كمن يقدم من الحلوى إلى طفل صغير، فقال (قطاع غزة جزء من فلسطين، ولازم ينضم إلى الضفة الغربية، والملك حسين أولى أن يحكمه من أن يحكمه المشير عامر .. أليس كذلك ؟

فأجاب المشير عامر، (وكان قطاع غزة من اختصاصه) : نحن غير مستفيدين من قطاع غزة بأي حاجة .. وإذا كان الملك حسين يريد نضم إليه العريش !!

وانفرجت أســـارير الملك، وســـاد الاجتماع جو من الانفتاح، وطلب الرئيس عبد الناصر إلى رجال التشريفات أن (يتفضل الإخوان) فدخل السيدان زكريا محي الدين وعلي صبري نائبا الرئيس والسيد محمود صدقي سليمان رئيس الوزراء واللواء عبد المنعم رياض ... ودخل معهم الســـيد ســـعد جمعة رئيس الوزراء الأردني واللواء عـامر خمـاش رئيس الأركـان .. وتحول الاجتمـاع إلى مؤانسة ومباسطة، بعد أن انتهت المصالحة ..

وحان موعد الغداء فاستأذنت لأنصرف إلى بيتي، وأعود بحقيبتي حتى أسافر إلى عمان مع الملك بطائرته، وتحت قيادته ..

فقال الرئيس عبد الناصــر : ونحن في هذه الفترة ســنعد معاهدة الدفاع المشــترك بيننا وبين الأردن، لنوقعها في جلســة رســمية، ونذيعها اليوم ... فالجماهير العربية تنتظر النتيجة بعد أن أصــبح معروفا في كل أرجاء العالم أن الملك حسين هو معنا .. وأرجو الأخ أحمد أن لا يتأخر عن الساعة الثالثة ... وإلا (مازحا) فإننا سنرسل اللواء عامر خماش ليأخذك بالقوة ..

قلت : سـأكون في الموعد المحدد ... وأخشــى إذا جاءني اللواء عامر أن يخطفه رجال المنظمة ...

ومثل الســـهم المارق المنطلق انطلقت ســـيارتي مخترقة الشـــوارع والساحات، والجماهير في لهفة وراء الأخبار .. وفي عقلي مئة سؤال وسؤال .. وأنا لا أملك جوابا واحدا ...فقد انغمر فكري تحت ســـطح التيار المتدافق من الأحداث، حتى لم يعد عقلي موجودا ولا صاحبه مولودا ..

وصـــلت منزلي، فوجدت زوجتي إلى جانب الراديو تســتمع إلى إذاعة القاهرة، وهي مشدوهة بما تسمع ..

وقالت : وكيف جاء الملك ... وكيف استقبله الرئيس عبد الناصر .؟؟

قلت : ستعرفين كل شيء فيما بعد .. أريد حقيبتي .. أريد وجبة عاجلة من الطعام .. وسأعود إلى قصر القبة .. أنا مسافر إلى عمان مع الملك حسين .

قالت : وكيف تسلم نفسك إلى الملك حسين .. ألا تخاف من الغدر و .. و ..؟؟

قلت : اتكلي على الله ... ما فائدة صلاتك إذا كنت لا تؤمنين بقوله تعالى (وقل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) ..

وأعدت زوجتي الحقيبة التي رافقتني في أسفاري قرابة ربع قرن من الزمان .. والتهمت لقيمات من الطعام لا أدري كيف مضغتها، وخرجت من المنزل، وزوجتي مطرقة لا تطيق الكلام والوداع .. وقالت (الله معك) وما زادت ..

ودخلت قصر القبة، ووجدت الصالة الكبرى وقد ركزت فيها أجهزة التلفزيون واتخذ المصورون مواقع استراتيجية لتصوير الحدث الخطير الكبير في حفل توقيع اتفاقية الدفاع المشترك بين القاهرة وعمان .. وبالذات بين الرئيس عبد الناصر والملك حسين ..

وكان كل شيء جاهزا .. الاتفاقية على نسختين، الوفدان العربي والأردني، والوجوه المبتسمة على استعداد للتصوير .. ولكن شيئا واحدا كان ينتظر الفتوى من رجال البروتوكول .. وكان الموضوع البروتوكولي، أين

يجلس الشـــقيري .. مع الوفد العربي ؟ العربي .. أم مع الوفد الأردني ..؟ أم هل يجلس وحده، وأين .. ؟

وقلت : لا أجلس في أي مكان .. هذه حفلة لتوقيع اتفاقية الدفاع المشترك، ولست فريقا في هذه الاتفاقية، فنحن لا دولة ولا وطن .

وأصـر الرئيس عبد الناصـر والملك حسـين (بالإجماع) أن أحضـر، وأجلس، وأخطب، واقترح الرئيس عبد الناصـــر أن أجلس مع الوفد العربي .. وعارض الملك حســين وأصــر أن أجلس مع الوفد الأردني .. وهكذا كان، فقد أجلسني رجال التشريفات بجوار الملك حسين مباشرة، ومن بعدي رئيس الوزراء الأردني السيد سعد جمعة .. وهكذا جلست ..

ودخل الســـيد ســـامي شـــرف مدير مكتب الرئيس، يحمل الاتفاقية، ووقعها الرئيس عبد الناصر والملك حسين .. تحت أضواء المصورين والمتلفزين .. وإذاعات القاهرة مفتوحة على الهواء .. الهواء الذي كان يتنفســـهماية مليون عربي، في تلك اللحظات التاريخية ..

وجاء دور الخطابة، وهي المهارة الكبرى التي حذقناها في ميدان العمل الوطني .. فخطب الملك حسين في صوت خافت وقال (الحمد لله أن وفقنا الله وجعلنا الآن في مســـتوى المســئولية نواجه التحدي والعدوان، أمة واحدة، ويدا واحدة وقلبا واحدا، .. أملنا كبير في أن نتمكن من الوصــــول إلى أهدافنا، والحفاظ على أرضنا واستعادة حقوقنا ومجابهة التحدي بقوة، بعزم، بتصميم .. أشكر لأخي أنه أتاح لي الفرصة حتى نلتقي وحتى نتوصل إلى هذه النتائج .. وأنا واثق أن هدفنا قريب وحانوصـــل له .. وأرجو أن أغتنم هذه الفرصـــة لأنقل

إلى سيادتك وإلى إخواني في الجمهورية العربية المتحدة تحيات ومحبة ومساندة كل أعضاء الأسرة الأردنية في هذا الظرف وأشكرك على كل شيء) ..

(أشكرك على كل شيء .. وأشكر لأخي أنه أتاح لي الفرصة اليوم حتى نلتقي) .. كان ذلك كل ما يطمع فيه الملك حسين .. مجرد الاجتماع بالرئيس عبد الناصر .. وكذلك كان حال سائر الملوك والرؤساء .. فالقومية العربية في أوج عزها، وتباشير النصر تلوح في الأفق .. وبادروا أيها الملوك والرؤساء للحاق، ولو بذيل الموكب، قبل أن يفوت القطار في طريقه إلى تل أبيب !!

وألقى الرئيس عبد الناصر كلمة مكتوبة أعرب فيها عن شكره للملك حسين (للخطوة التي اتخذتموها والمبادأة التي قمتم بها للقيام بهذه الزيارة إلى القاهرة .. كانت هناك بعض الخلافات، ولكن موقف الأمة العربية اليوم يحتم على الرجال أن يتخذوا هذا الموقف .. ولقد اتفقنا اليوم منذ بدأت مباحثاتنا في الصباح سياسيا وعسكريا واتفقنا على كل شيء .. يقف الجيش المصري والجيش الأردني والجيش السوري والجيش اللبناني على حدود إسرائيل ومن ورائنا الجيش العراقي والجيش الجزائري والجيش الكويتي والجيش السوداني والأمة العربية كلها .. إن هذا العمل يذهل العالم اليوم .. والقضية ليست خليج العقبة ولكن هي قضية حقوق فلسطين .. وأشكرك مرة أخرى أيها الأخ العزيز وأرجو لك التوفيق وللشعب الأردني الشقيق كل العزة وكل توفيق ..).

وأمسك الرئيس عبد الناصر المذياع ووضعه أمامي لأتكلم .. وأنصت الحاضرون لما عسى أن أقول، وهم يحسبون أني سألقي واحدة من خطبي

الطويلة، ونحن في هذه المناسبة التاريخية .. غير أن هذه المناسبة التاريخية نفسها هي التي أوحت إلي أن ألقي أقصر خطبة ألقيتها في حياتي !!

أمسكت المذياع بيدي وألقيت كلمات قصيرات، قلت : (أدعو الله تعالى العلي القدير أن ينتقل هذا الاتفاق من الورق إلى الميدان، بكل أمانة، وبكل شرف، وبكل إخلاص) .. وما لقيت عربيا أو أجنبيا فيما بعد، إلى يومنا هذا إلا ويذكرني بتلك الخطبة الموجزة، ويا ليتني لم أخطب، ولم أكن في ذلك الموكب ..

ودهش الرئيس عبد الناصر، وأنا أزيح المذياع من أمامي، وهو يقول (بس كده .. كنا عاوزين نسمع خطبة شقيرية ..).

قلت : المعركة على الأبواب .. وشاعرنا يقول (تكلم السيف فاسكت أيها القلم) ..

ونهض الوفدان يتصافحان، ويتعانقان، وأصابني من المصافحة والعناق نصيبان : نصيب من الوفد العربي وآخر من الوفد الأردني .. والربح في ذلك اليوم خسران ..

وأراد الرئيس عبد الناصر أن يضفي مزيدا من الرهبة على الرأي العام العالمي فاقترح أن يذهب جميعا إلى مقر القيادة العامة للجمهورية العربية المتحدة الجديدة، قبل أن يسافر الملك حسين إلى عمان .. وكان ذلك ..

واخترق موكب السيارات الطريق من قصر القبة إلى مقر القيادة، والتاريخ معنا يسمع ويكتب، والقدر يراقب ويعجب .. حتى وصلنا إلى ذلك المبنى الفخم، وحملتنا المصاعد إلى الصالة الكبرى التي تعقد فيها الاجتماعات العسكرية وتقرر الخطط الحربية ..

ومكثنا ساعة من الزمن، فشربنا القهوة .. وتبادلنا الأحاديث في كـــل شيء .. إلا المعركة .. فقد أودعناها في اتفاقية الدفاع المشترك !!

وفي مقر القيادة عاد موكبنا إلى مطار الماظه العسكري، ووقفنا بضعة دقائق في مجاملات الوداع، وأطيب التحيات وأصدق التمنيات ..

ومال إلي المشـــير عبد الحكيم عامر، وقال : (كده مســـلم روحك ويا الملك حسين ..ولا معك سكرتير ولا حارس ..).

قلت : الملك حســين هو الذي يحتاج إلى حارس .. أما أنا فلســت في حاجة .. كل شـــاب في الأردن هو حارســـي وهو ســكرتيري، ودخلنا الطائرة، الملك حســـين وأنا من ورائه، وأقلعت بنا في الجو، ومن حولنا طائرات الميج المصرية، للتحية، وعبد الناصر على الأرض يلوح بذراعيه الطويلين، وحلقت بنا الطائرة فوق القاهرة ذات الألف مئذنة، وقلبي يهتف بالدعاء .. (يا رب نصرك الذي وعدتنا ..).

وتولى الملك حسين قيادة الطائرة، وجلست في مقعدي أتصفح اتفاقية الدفاع المشــترك فلم أجد فيها جديدا . بل إني وجدتها من حيث الصــياغة دون مستوى ميثاق الجامـــعة العربية وميثاق الضمان الجماعي .. وتذكرت ما كان يكتب عساكرنا في الدولـــة العثمانـــية حيـــنما يسطرون رسائلهم إلى ذويهم .. ويذيلونها بالعبارة المألوفة (عدم المؤاخذة، ، حرر على عجلة)!!

حقا إني لم أجد جديدا في الاتفاقية الجديدة، وقد حررت على عجلة .. لقد نصت المادة الخامسة على (إنشاء مجلس دفاع مكون من وزيري الخارجية

والدفاع في كل من البلدين .. يجتمع دوريا كل ستة أشهر ..) وحكمت الأقدار أن لا يجتمع هذا المجلس إطلاقا ..

ونصت المادة السادسة كذلك على (إنشاء مجلس رؤساء الأركان يجتمع دوريا كل ثلاثة أشهر ..) وكان نصيبه كنصيب مجلس الدفاع .. وارتهما حرب حزيران قبل الميلاد ..

وألقيت بالاتفاقية على المقعد المجاور، فقد سئمت قراءة الاتفاقيات العربية .. وخرج الملك حسين من غرفة القيادة وجلس إلى جواري ..

وسأل، بصوت يتجاوز عمره بعشرين عاما أو يزيد : وهل الأخ أحمد مبسوط .. لقد اتفقنا مع الرئيس عبد الناصر .

قلت : أنا نصف مبسوط ..

قال : لماذا .. لقد حققنا كل ما تريد .. القوات العراقية والسعودية ستدخل الأردن .. وقد أنشأنا قيادة مشتركة تحت إمرة اللواء عبد المنعم رياض، وسيصل غدا أو بعد غد إلى عمان ..

قلت : نعم هذه الأمور هي الأمور التي تجعلني نصف مبسوط .. ومن غيرها أنا غير مبسوط ..

قال : والبسط الكامل كيف يتم ؟

قلت : نحن الآن في الجو أقرب إلى الله .. وأنا معك بكل إخلاص وتأييد .. وإني أرى أن نتصل تلفونيا الليلة بقوات جيش التحرير الفلسطيني في درعا لتدخل الأردن، ولتكن تحت قيادة اللواء عبد المنعم رياض، شأنها في ذلك شأن القوات الأردنية ..

قال : أخشى أن يثير هذا الموضوع حساسيات معينة في الجيش الأردني .. وخصوصا أننا نحن على أبواب معركة ..

قلت : ولكن الجيش الأردني نصفه من الفلسطينيين ونصفه الآخر من (الأردنيين) ولا توجد بينهما حساسيات .. إنهم أبناء وطن واحد وشعب واحد ..

قال : اترك لي فرصة من الوقت أفكر في صيغة مقبولة، وأتشاور مع إخواننا العسكريين ..

قلت : الصيغة سهلة .. إني مستعد أن أعلن باسم منظمة التحرير أن القائد الأعلى لجيش التحرير الفلسطيني هو الملك حسين .. وأنا حاضر أن أذيع ذلك بنفسي من الإذاعة الأردنية غدا ..

قال : الجبهة العربية واحدة .. ومن الأفضل بقاء جيش التحرير في الجبهة السورية !!

قلت : الجبهة السورية قصيرة الحدود، كثيرة الجنود .. خط الهدنة السورية الإسرائيلية لا يتجاوز سبعين كيلومترا .. والخط الأردني الإسرائيلي لا يقل عن آلاف الكيلومترات .. ونحن في الأردن محتاجون لجيش يزيد خمسة أضعاف الجيش السوري لو أمكن .

قال : أظن أن الرئيس عبد الناصر لم يخبرك، أثناء الغداء اتفقنا مع الرئيس عبد الناصر أن يرسل ثلاث كتائب من قوات الصاعقة المصرية .. وستكون في الضفة الغربية غدا أو بعد غد ..

قلت : نحن نعتز بهذه المبادرة في أن يكون إخواننا المصـــريون في وطـــــنهم في الضـــفة الغربية .. ولكن أليس الأجدر أن يكون جيش التحرير الفلسطيني معهم، وهم من أبناء الضفة الغربية ؟

قال : ولكن أين يكون تمركز جيش التحرير ؟؟

قلت : هذا أمر متروك لتقدير القيادة .. ولكني أفضـــل أن يكون جيش التحرير في داخل بيت المقدس ..

قال : ولماذا بيت المقدس، بالذات .. عندنا خطة كاملة للدفاع عن بيت المقدس ؟؟

قلت : إذا وقعت الحرب فســيكون بيت المقدس هو الهدف الأول لإسرائيل ..

قال : وهل يسـتطيع جيش التحرير أن يحمي المدينة .. إذا اسـتطاعت إسرائيل التغلب على القوات الأردنية ؟؟

قلت : نعم بالتأكيد .. إن إسرائيل لا تقدم على قصف المدينة المقدسة، لا مـــن الطائرات ولا بالمدفعية، وستكون المعركة حرب شوارع .. ويستطيع جيش التحرير أن يقاتل وراء الأســوار، ومن الأســطحة، وفي الأزقة، بحيث يصبح اقتحام المدينة مستحيلا .. على الأقل يمكننا الصمود أسبوع أو أسبوعين إلى أن يتدخل الرأي العام الدولي .. وتكون المدينة بأيدينا .

قال : أترك لي فرصة لأبحث الموضوع مع القادة العسكريين .

قلت : يا سيدنا .. إن معركة ستالينجراد هي معجزة التاريخ الحديث .. لقد قاتل الروس عن مدينتهم وراء كل جدار، بل وراء كل حجر .. ونحن نستطيـع أن نجـعـل معـركـة القـدس معجزة للبطولة العربية .. إن الشعب في

القدس غير مدرب على القتال، وعلينا أن ندخل جيشنا إلى كل بيت في القدس .. وعلينا أن لا نسمح لإسرائيل باقتحام المدينة إلا بعد أن تصبح أكواما من الجثث، وركاما من الحجارة .. فالعار كل العار أن تستلمها إسرائيل ، والمسجد الأقصى قائم على جدرانه .. يا سيدنا أنت تعرف أطماع إسرائيل في بيت المقدس ، وأخشى أن يجدوا في هذه الأيام فرصتهم الذهبية .

قال : أنا معك .. أعطيني فرصة لأفكر في الموضوع مع القادة العسكريين .

قلت : يا سيدنا، والله لا داعي للتردد، أنا خائف على القدس ..

ودخلنا الأجواء الأردنية، (وأنا خائف على القدس) ترتجف بها شفتاي .. ونهض الملك حسين من مقعده إلى غرفة الملاحين ليتولى بنفسه قيادة الطائرة .. وكانت فرصة مناسبة ليهرب مني ومن إلحاحي .. وأنَى له أن يهرب من التاريخ !!

وحام الملك حسين بالطائرة عدة جولات فوق روابي عمان، فرأيتها على غير العهد بها .. لقد سبقتنا الأخبار إلى الأردن، وماجت أمواج الأثير منذ الصباح الباكر بأخبار الملك حسين في القاهرة، وتوقيع معاهدة الدفاع المشترك مع الرئيس عبد الناصر، وتصفية الخلاف مع منظمة التحرير الفلسطينية، وأن الشقيري عائد مع الملك حسين في الطائرة الملكية .. وأن .. وأن ..

وأحدقت بعمان من تحتنا فرأيت عجبا عجابا، وبحرا عبابا .. بحرا من البشر يغمر المدينة كأنه الطوفان الهادر .. كانت الروابي مزروعة بالأكتاف والرؤوس، وكانت الشوارع كتلة بشرية متراصة، فلا ترى مواضع الأقدام .. وما أحسب أن عمان سترى حشدا كهذا إلا يوم الحشر الأكبر ..

وهبطت الطائرة في مطار عمان، والخلائق في ســـاحاته ومن حوله، يعلو صـــياحها وهتافاتها فوق هدير الطائرة .. ووثب الملك حســـين من غرفة القيادة ببزته العســـكرية، وقد انتصـــبت قامته كمن قفز من القاع إلى القمة، وسار إلى باب الطائرة .. وإلى السلم، يؤدي التحية العسكرية، وأنا من ورائه أرفع يدي تحية للجماهير .

ودوى صوت المذيع الأردني، وهو يحمل الميكروفون بيديه في ساحة المطار، وصـــاح – الله أكبر .. هذا هو المليك المفدى .. ومعه الأخ أحمد الشقيري .. الله أكبر .. الله أكبر، وراح المذيع على غير وعي، يطلق صوته الهادر بهذه العبارة وأمثالها، ونحن ننزل ســـلم الطائرة .. والجماهير تصـــيح وتهتف، وتهلل وتكبر .. وانســـابت الدموع من عيني، وأنا بين أحضـــان المستقبلين .. الأردنيين والفلسطينيين، ولم أرهم منذ عامين بعد القطيعـــة مـــع الحسين !!

واستقل الملك سيارته الملكية، وأنا وراءه في سيارة أخرى، وركب معي السيد سعد جمعة رئيس الوزراء والوزير السيد عاكف الفائز، وخرجنا من أرض المطار، إلى الشـــارع الرئيسي، واخترقت الجماهير صفوف الجيش ورجال الأمن، وهجمت على سيارتي، يريدون اختطافي من السيارة .. ولم يعدلوا عن هذه المحاولة إلا بعد أن ناشدتهم (باسم فلسطين)، وأرادوا أن يقوموا بمحاولة أخرى .. أرادوا أن يخطفوني بالسيارة .. وهموا بحمـــلـــها .. وصحت بهم من النافذة مرة أخرى (باسم فلسطين) أن يحملوا سيارة الملك حسين !!

وقد أردت من ذلك أن أنجو بجلدي، وأن أكرم الملك حسـين، وأن أشعره بتعـلـق الشعب ومحبته، ليظل على العهد الذي قطعناه صباح اليوم في القاهرة ..

وكان ذلك فعلا .. فقد اتجهت جماهير الشباب إلى سيارة الملك حسين فحملوه، وكانت المرة الأولى في حياته وحياة الشـعب .. إلى أن وصـلوا به إلى الأبواب الخارجية للقصور الملكية !!

وتابعت سيارتنا سيرها، وأنا احتجبت بين السيدين جمعة والفائز، والسائق يسير فـي هـذا الزقاق، وفي الطريق الممنوع، وتحت هذه الربوة، وفوق هذا الوادي، حتى وصلنا إلى فندق أنتركونتنتال ورأسا إلى الجناح الملكي الفخيم .. وها أناذا أنزله لأول مرة .. وكانت آخر مرة !!

وجلست على مقعد وثير، ألتقط أنفاسي .. ورحت أفكر في هذه الرحلة المثيرة، ماذا كان الحال قبلها، وماذا أصبح بعدها ..

أنا الآن في عمان، وكان ظني أن لا أكون فيها إلا بمعجزات الزمان .. وها قد وقعت معجزة اللقاء بين القاهرة وعمان، بين عبد الناصر والحسين .. بين المملكة الأردنية الهاشمية ومنظمة التحرير الفلسطينية ..

ولم أسترسل طويلا فيما كان وما سيكون، فقد شقت الوفود طريقها إلى الفندق، ونزلت إليهم وقد غصت بهم ردهات الفندق، وأنا أتنقل من صـالة إلى صالة، في تحيات وذكريات، وأحاديث عن الحاضر والمستقبل .

وكانت أحلى لقاءاتي حين احتضـنني أصـدقائي القدامى، من خدم الفندق، الذين كانوا يضـفون علي سـابغ رعايتهم في المطعم، وأقضـي معهم

ســاعات حلوة من الحديث عن فلســطين .. عن أيامنا الخوالي، وذكرياتنا في الربوع الغوالي .. وما أغلى اللقاء مع الشعب وما أحلاه..

وانتصف الليل، ونحن في اللقاء والسمر، وكأنما الدنيا أحلام وأطياف، وقلوبنا مترعة بالأماني العذاب، والآمال الجســام .. فالمعركة مشــبوبة النار، والأمة مشدودة الأوار، ونحن على الطريق إلى فلسطين .. حيث الراحة الكبرى والسـعادة العظمى ..وخرجت أتهادى على هذه المنى، إلى غرفتي، لأنام طرفا من الليل .. استعدادا لنهار حافل طويل .

وأغمضــت جفوني، وأذناي تتجاوبان صــيحات الجماهير، وتكبيرات الشعب، وهدير الطائرة التي أقلتني إلى عمان، وكلامي إلى الملك حسين، (يا سيدنا أنا خائف على القدس)..ودعوت الله أن لا يشملنا بقوله تعالى (إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم، ولا تضروه شيئا والله على كل شـيء قدير .) صدق الله العظيم .

لن تسقط القدس قبل أن تسقط رؤوسنا ـــــــــــ

نامت عمان ملء الجفون، وأرقت دمشق، وما غمضت منها العيون!!

كان ذلك عشية الثلاثين من شهر أيار .. شهر الأخبار والأقدار ..

لقد قضـــت عمان ذلك اليوم وهي ترقص حتى كلت الأقدام، وتهتف حتى جفت الحناجر، وضــج مجلس النواب الأردني بالقصــائد والأناشـيد، وهو ويطرز برقيات التهنئة إلى الرئيس عبد الناصـــر والملك حســين وهما يوقعان اتفاقية الدفاع المشترك في قصر القبة في القاهرة .. وما أزف الليل حتى هجعت المدينة لترقد على أحلى الأماني وأعز الآمال ..

أما دمشـق فقد باتت مؤرقة المضـاجع أمام المفاجأة الكبرى .. لقاء عبد الناصـــر والحســين .. وحينما أتحدث عن دمشــق فإنما أعني حزب البعث في ســوريا، فقد كان الشــعب الســوري متلاحما في عواطفه مع الأمة العربية، يتجاوب مع الأحداث العربية بعقل واع وقلب مفتوح ..

حقا لقد كانت هذه (العملية) برمتها مفاجأة مذهلة لحزب البعث، فهو لم يكن يدري من أمرها شــيئا .. وعلم خبرها كما علم عامة الناس، ورأى فيها (خديعة) من قبل الرئيس عبد الناصـــر (وخيانة) للمســيرة الثورية والتقدمية، وطعنة لاتفاقية الدفاع المشــترك بين القاهرة ودمشــق، وما تزال تواقيعها ندية طرية .. وتلك كانت عبارات رجال البعث من القيادة إلى القاعدة ..، وناقل الكفر ليس بكافر ...

وأحسب أن الرئيس عبد الناصر لم يكن يستطيع أن يطلع حزب البعث على شيء في هذا الموضوع .. فهو خبير بحزب البعث وبأساليبه .. ومن المؤكد أن حزب البعث لم يكن ليوافق على أي لقاء بين الحسين وعبد الناصر حتى ولو في جنات الفردوس .. فضلا عن أن حزب البعث كان مستعدا – لو علم – أن يقوم بحملة تخريب على هذه المحاولة .. وتلك كانت قناعة عبد الناصر التي أملت عليه أن لا تعلم دمشق بشيء إلا في حينه .

ولم يكن الأمر في حاجة إلى دليل .. والدليل قائم في العشية التي سبقت سفر الملك حسين إلى القاهرة .. ففي التاسع والعشرين من شهر أيار وقف الدكتور يوسف زعين رئيس مجلس الوزراء السوري يخطب في مؤتمر المحامين العرب في دمشق ليقول (تقف الأمة العربية ويدها على الزناد، ولا تجد الرجعية العربية في عمان والرياض وتونس إلا التظاهر بالتأييد والوطنية، وأن حرب التحرير لا يمكن إلا أن تسير في العواصم الرجعية وتسقط الأنظمة العميلة .. فليحاول تلميذ أمريكا النجيب ملك الأردن حفيد عبد الله أن يمنع أبناء فلسطين من النضال لاستعادة وطنهم، فلن تكون النتيجة غير انهيار عرشه الكرتوني) .

ولقد كنت أشترك مع حزب البعث في تقييم الملك حسين والنظام الأردني أصلا وفرعا منذ أن قام قبل أربعين عاما، ولكن الظروف كانت قاهرة من غير شك .. فقد كانت الأمة العربية (مجرورة) من ناحيتها إلى هذه المعركة، وكان حزب البعث هو (حرف الجر) الكبير الذي أمسك بالقاهرة من العنق .. ولم يكن أمام الرئيس عبد الناصر، في هذه الحالة، إلا أن يدفع

الملك حسين إلى المعركة، ولو كان البعث هو الحزب الحاكم في القاهرة لصنع ما صنع عبد الناصر، وخرج للقاء الملك حسين بالدفوف والصنوج !!

ولقد اســـتطاع حزب البعث أن يكبح جماح الإذاعة في دمشـــق، فلم تهاجم لقاء عبد الناصـر والحسـين ولم تشـتم .. ولكن حزب البعث، من القيادة حتى القاعدة قد اتخذ موقفا عدائيا وشـــن حملة تشـــهير على اتفاقية الدفاع المشترك بين القاهرة وعمان . وانتشرت صور كثيرة تجمع عبد الناصر والشقيري والحســـين وكتب تحتها بالقلم العريض (العملاء الثلاثة) .. وقد فات حزب البعث في دمشق أنه بسياسته الغوغائية الهوجاء في العامين السابقين هو الذي كان سببا في لقاء العملاء الثلاثة .!!

وكانت هذه المواقف البعثية، وغيرها من الأســـباب، هي التي حملت الرئيس عبد الناصـر أن يوفد بعثة إلى بغداد ودمشـق في زيارة خاطفة للتفسـير والتبرير .. وقد بدأت هذه الزيارة في اللحظة التي طار فيها الملك حســـين من القاهرة إلى عمان (1967/5/30) ولم تسـتغرق أكثر من اثنتي عشـرة سـاعة، وستين دقيقة ..

وكان الوفد برئاســـة الســـيد زكريا محي الدين نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة وعضـــوية الســـادة أمين هويدي وزير الدولة، والدكتور حســـن صـبري الخولي الممثل الشـخصـي للرئيس عبد الناصـر، والفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان القيادة العربية الموحدة ..

ولم يجد الوفد المصري صعوبة في شرح الموقف للرئيس العراقي عبد الرحمن عارف فلم تتعد الجلسة أكثر من سرد الواقع .. ولكن الصعوبة كل الصعوبة كانت في معالجة التشنج في دمشق .. وكان على الوفد المصري أن يلتقي بوفد سوري كبير ، فقد كان الموقف خطيراً جد خطير !!

وكان الوفد السوري مؤلفا من الدكتور نور الدين الاتاسي رئيس الدولة، واللواء صلاح جديد الأمين العام المساعد لحزب البعث، والدكتور يوسف زعين رئيس الوزراء ، واللواء حافظ الأسد وزير الدفاع، واللواء أحمد سويدان رئيس أركان الجيش، ومحمد عيد عشاوي وزير الداخلية، وعبد الكريم الجندي مدير مكتب الأمن القومي .. وهكذا كانوا سبعة أعضاء يمثلون سبعة أجنحة في الحزب الواحد، الرائد القائد ..

ولم تتحرج صحف دمشق ذلك اليوم أن تشير إلى أن هذه المباحثات قد تناولت بحث (التطورات والملابسات التي أحاطت بتوقيع اتفاق الدفاع المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة والأردن ..) !!

وقد استطاعت هذه الأبحاث أن تهدئ من انفعالات البعث .. ولكن صور (العملاء الثلاثة) بقيت معلقة حيث كانت .. إلى أن أزالتها حرب حزيران، وسقطت مرتفعات الجولان !!

وعلى نقيض الحال الذي كان في دمشق، فقد كانت عمان تعيش في عرسها الكبير ، فقد تجمع الناس حول مبنى مجلس الأمة الأردني، الذي عقد

جلســـة اســـتثنائية بمجلســـيه النواب والأعيان، حيث تقدم رئيس الوزراء ببيان ضـــاف عن اتفاقية الدفاع المشـــترك، وأقرها المجلس بالإجماع، بالتصـــفيق والهتاف ..

وكان التصفيق على أشده حينما قال سعد جمعة رئيس الوزراء الأردني في كلمته(إذا كان يوم 15 أيار يوم عار في تاريخ هذه الأمة فإن يوم 30 أيار قد غســـل هذا العار .. (وأننا نســـتطيع بعد توقيع هذه الاتفاقية أن ننام ملء جفوننا، لأننا لا نخشى إسرائيل وعدوانها، فجيشنا الموحد كفيل بالقضاء على كل عدوان، وأن تباشـــير النصـــر تلوح في الأفق) .. وهذه خطبة أخرى من مقامات الحريري .. يحســـن أن تضـــم إلى الديوان .. ديوان خطب الملوك والرؤساء..

ســـمعت هذا الخطاب من راديو الســـيارة وأنا في طريقي إلى القصـــور الملكية لأجتمع بالملك حســـين، ونبدأ خطة التعاون والتنســـيق بين المنظمة والأردن، كما اتفقنا في اجتماع قصـــر القبة في القاهرة بحضـــور الرئيس عبد الناصر .

ولم يكن مع الملك حسـين في مكتبه سـوى (سـيادة الخال) الشـريف ناصر بن جميل، وسألني الملك حسين :

قال : عساك نمت يا أخ أحمد هذه الليلة .. واسترحت ؟؟

قلت : وأنى لي أن أنام، وعمان يقظانة من حولي ..

وقال الشريف ناصر : مجلس الأمة وافق بالإجماع على اتفاقية الدفاع المشترك .. عساك مسرور ؟

قلت : هذه خطوة طيبة .. ولكن المهم أن لا (ننام ملء جفوننا) كما قال رئيس الوزراء السيد سعد جمعة قبل لحظة ..

قال الملك : صحيح .. يجب أن نزيد في استعدادنا ..

قلت : ومن دواعي الاستعداد، يا سيدنا أن نبحث موضوع استدعاء جيش التحرير الفلسطيني من درعا إلى القدس، كما كلمتكم في الطائرة بالأمس ..

قال : لقد كنت أتشاور مع الشريف ناصر في هذا الموضوع قبل مجيئك، وسيدرسه مع القيادة في أقرب فرصة، ولكني أقترح عليك أن تزور مواقع الجيش الأردني في الضفة الأردنية لتطمئن إلى أوضاعنا العسكرية .. ولتتأكد أن القدس في أمان ولن تسقط قبل أن تسقط رؤوسنا عن أجسادنا .

قلت : أنا لا أفهم في الأمور العسكرية يا سيدنا، ولكني مستعد أن أقوم بهذه الزيارة لأجتمع بالضباط والجنود في خنادقهم وأتحدث إليهم .

قال : الشريف ناصر يكون في رفقتك .. وأنا أقترح أن يكون ذلك غدا صباحا ..

قلت : حســـنا .. أنا أذهب اليوم إلى القدس، لنفتح مكتب المنظمة، وأعود في المساء إلى عمان .

قال : (ضاحكا) إنه مقفل بالشمع الأحمر !!

قلت : سأحضر حفلة افتتاح المكتب، ونكسر الشمع الأحمر ..

قال الشـريف ناصـر : (متحديا) غدا السـاعة الرابعة صـباحا .. عند الفجر .. أحضر إلى الفندق .. ممكن ؟

قلت : لا، بل الساعة الواحدة بعد منتصف الليل !!

وخرجت من القصـــور الملكية، عبر التلال والوديان، في طريقي إلى بيت المقدس، تاركا ورائي عمان تترنح بأحلامها، وتميد بأفراحها .

ووصـلت إلى الحي الذي يضـم مكتب المنظمة، فإذا بجمهرة من رجال البلاد ينتظرون ليشـهدوا (حفل) فتح المنظمة وكسـر الشـمع الأحمر... وكان اللقاء حارا وتحية دافئة .. وجاء رجال الأمن وفضـــوا الأختام وفتحوا الأبواب، ودخلنا إلى مكاتبنا التي اشتملت أحاديثنا واحتوت آمالنا زمنا طويلا.

ولقد أحزننا ما رأينا .. رأينا مكاتبنا ترثي حالها .. وتكاد الجدران أن تنطق مســتنكرة هذا العبث الحقير الذي فشـا فيها .. الخزانات كسـرت أقفالها، وبعثرت أوراقها وملفاتها .. والطاولات مجرورة هنا وهناك، والتلفونات مقطعة

خطوطها، ومشاهد فلسطين المصورة محطمة على الأرض كأشلاء الشهداء .. والحال تماما كحال القضية الفلسطينية مفككة الأوصال، مخلخلة الأطراف !!

كان هذا بعض ما فعلته السـلطة الأردنية في مكاتب المنظمة بعد أن شجر الخلاف مع الملك حسين، وكان ذلك، بالتأكيد، تقليدا بل منافسة، لما كانت تفعله معنا سـلطات الانتداب البريطاني في فلسـطين حين كانت تداهم بيوت الشـعب في المدن والقرى، وتعيث فيها فسـادا وخرابا .. وليتنا تعلمنا من الإنجليز غير الفساد والخراب ..

وتركنا الخدم يصـلحون ما أفسـد الملك حسـين .. وانصـرفنا إلى فندق امباسـادور، وقد كان بيتي الثاني في عهد المنظمة، وتجمعنا في الصـالة التي شـهدت اجتماعاتنا ومداولاتنا، وأصـبحت في مثل لمح البصـر ندوة تضـم قادة الشـعب الفلسـطيني، تقاطروا من مختلف أنحاء الضـفة الغربية، جاؤا ليسـألوا أين تقف قضية فلسطين اليوم، وما مصيرها في الغد ؟؟

ومن غير انتظار لسؤال واستيضاح بدأت بعرض عام لأوضاع القضية الفلسـطينية في ظروفها الراهنة، وشـرحت ما جرى في اجتماع قصـر القبة بين الرئيس عبد الناصر والملك حسين، (والصلح) مع المنظمة على أساس التعاون والتنسيق ..

وقد استمع الأخوة لهذا العرض باهتمام بالغ، ولكن اهتمامهم كان مركزا على احتمالات الحرب، ومواقف الدول العربية منها، واتجاهات السـياسـة

الدولية وخاصــة ما كان منها متصــلا بالاتحاد السـوفياتي، بالولايات المتحدة .. ودار الحوار عميقا في الجوانب السياسـية والعسكرية وفي الحاضـر والمسـتقبل، وفي كل ما يخطر على البال، ويجول في الخيال، والفلســطيني إنســان ذكي، شـديد التوق إلى المعرفة، وقد شـحذته النوائب والمصـائب فزادت نباهته وأذكت فراسته .. ومسكين من يقع فريسة السؤال والجواب مع أبناء فلسطين ..

سألوا : ما موقف الدول العربية في الظروف الحاضرة ؟؟

قلت : الزمام بين يدي الرئيس عبد الناصــــر .. والجماهير العربية معه كما تعلمون، ومصـر في ذروة الحماسـة الوطنية، والتأييد الوطني والقومي آخذ بالازدياد .. والاستعدادات العسكرية على ساق وقدم .

سألوا : وإلى أي مدى وصلت الاستعدادات العسكرية ؟؟

قلـت : أنتم تعلمون أن القيـادة العربيـة الموحـدة قد جمـدت منـذ مـدة لأســــباب تعرفونها، وقائدها العام الفريق علي عامر يواظب على مكتبه ولكن من غير عمل، ويقرأ الأحوال الجارية كما يفعل أي مواطن آخر .. ولهذا فإن الاستعدادات العسكرية العربية تجري الآن بصورة افرادية، مع كل دولة بمفردها .. فقد عقد اتفاق للدفاع المشــــترك بين الجمهوريـة العربيـة المتحـدة والأردن بالأمس .. وعقد اتفاق مماثل مع سوريا منذ بضـعة أسـابيع .. وقد أعلنت الدول العربية استعدادها للمعركة وتأييدها ..

سألوا : وهل هناك قيادة موحدة للمعركة ؟؟

قلت : القيادة الفعلية هي بيد الجمهورية العربية المتحدة .. هناك قيادة مشتركة سورية ومصرية على الجبهة السورية، وقيادة مشتركة أردنية مصرية على الجبهة الأردنية، وسيصل غدا أو بعد غدا اللواء عبد المنعم رياض ليتولى قيادة الأعمال العسكرية على الجبهة الأردنية ..

سألوا : لقد أعلن الرئيس عبد الناصر أنه سوف يتخذ موقفا دفاعيا، وإنه لن يبدأ بالهجوم، وإنه سيدمر إسرائيل إذا بدأت بالهجوم .. أليس الأفضل أن تبدأ مصر بالهجوم حتى تكون لها مزية المبادرة ؟؟

قلت : هذه مسائل عسكرية وراءها حسابات طويلة دقيقة .. ونحن هنا كلنا مدنيون، وليست الوقائع بين أيدينا، ولهذا يصعب الخوض في هذا الموضوع، ولا أستطيع الإجابة .. وأعتقد أن الرئيس عبد الناصر هو الذي يملك الإجابة عن هذا السؤال ..

سألوا : (وبإلحاح) نريد رأيك الخاص .. إنك حضرت مؤتمرات القمة، واجتماعات مجلس الدفاع، وتعرف خطط القيادة العربية الموحدة .. ما هو تقديرك كرجل سياسي لا كرجل عسكري ..

قلت : إن تقديري الخاص أننا لم نستكمل استعداداتنا العسكرية، ولعل هذا هو السبب الذي يفرض على الرئيس عبد الناصر أن يتخذ موقف الدفاع ..

سألوا : والصواريخ المصرية، القاهر والظافر والناصر، هل سيوجهها الرئيس عبد الناصــر إلى تل أبيب .. إذا فعل تكون إســرائيل قد انتهت، أليس كذلك ؟؟

قلت : هذه أمور عســـكرية وفنية لا نعرفها .. المؤكد أن الرئيس عبد الناصــر ســيضــع كل أســلحته في هذه المعركة، هذا أمر طبيعي، فالمعركة معركة مصير، ولا يمكن التهاون والتفريط فيها .

سألوا : الأخبار كلها تشير أن الأسطول السادس يقترب من شواطئ البحر الأبيض المتوسط، كما أن قطعا من الأسطول البريطاني قد اتجهت إلى البحر الأحمر .. فهل تتدخل الولايات المتحدة وبريطانيا في المعركة ؟ ..

قلت : إن الأمر موقوف علينا نحن الأمة العربية .

سألوا : وكيف ذلك ؟

قلت : إذا أيقنت أمريكا وبريطانيا أن الحكومات العربية بملوكها ورؤسائها مصممة على المعركة بكل صدق وعزيمة، فأنهما تتجنبان التدخل.. إن مصالح أمريكا وبريطانيا ستفصل الأمر .. فإذا كانت مصالحها عندنا آمنة، تدخلت لجانب إســرائيل .. وإذا أصــبحت مهددة فإنها تقف على الحياد .. ذلك العقل والمنطق ..

سألوا : وموقف الاتحاد السوفيتي ؟؟

قلت : (ضـاحكا) إن موقف الولايات المتحدة وبريطانيا عدائي واضـح مئة في مئة .

سألوا : نحن نسألك عن موقف الاتحاد السوفيتي ؟ .

قلت : ليس عندي من العلم أكثر مما عندكم .. الاتحاد السـوفيتي يقف منا موقف التأييد كما تنشـر الصـحف السوفيتية نفسـها، ولكني لا أعرف مدى هذا التأييد ..

ســـألوا : لابد أنك التقيت بالرئيس عبد الناصـــر عدة مرات .. فما هو تقدير الرئيس عبد الناصـر لموقف الاتحاد السـوفيتي، نحن يهمنا أن نفهم هذا الموضوع ..

قلت : الرئيس عبد الناصـــر على اتصـــال يومي مع موســكو، ولعله ســاعة بســاعة هذه الأيام .. في تقديري أن الاتحاد الســوفيتي يريد أن يتجنب الحرب، ويسـعى إلى إنهاء الأزمة بالضـغط الدولي، وهو يسـعى مع الولايات المتحدة لتضـــغط على إســـرائيل فلا تبدأ بالعدوان .. ولا ادري إذا كان الاتحاد السوفيتي سينجح في هذه المحاولة، ولا أدري ما يكون موقفه إذا فشلت ..

سألوا : وما تقديرك في ما نحن فيه الآن ؟ .

قلت : تقديري أن الرئيس عبد الناصر قد ربح جولتين .. الأولى سحب القوات الطوارئ الدولية .. والثانية إغلاق خليج العقبة، وهو يريد الاحتفاظ بهذا

النصــر في الوقت الحاضــر، ولا أظن أنه يريد أكثر من ذلك الآن .. الســبب واضح، نحن الآن غير مستعدين للمعركة .

سألوا : وإذا قامت إسرائيل بالهجوم على مصر، وعلى الأردن، وعلى سوريا .. ماذا تتوقع

قلت : أدعو الله أن تتأخر المعركة عاما أو عامين ..

سألوا : لماذا .. نحن الآن أمام فرصة العمر .. أمريكا غارقة في حرب فيتنام، ولا تستطيع أن تتصرف لمعاونة إسرائيل .

قلت : نحن لم نســتكمل اســتعداداتنا .. القدرات العربية متوافرة ولكنها مبددة .. والحرب لا تكسب بالحماسة اللفظية .. الحرب إرادة واستعداد ووحدة .. ونحن لا زلنا نفتقر إلى هذه العناصر الثلاثة .. وهي متكاملة عند إسرائيل ..

وانتقل الســؤال والجواب، إلى الأخوة فيما بينهم .. وكان محور النقاش حول موقف الاتحاد الســوفيتي .. اليســاريون يؤكدون قوته ودوره، وفضــله في انتصــارات فيتنام، والآخرون يشككون ويرتابون، ويشـرحون أوجه الخلاف بين قضــيتي فيتنام وفلســطين، وإن الاتحاد الســوفيتي وافق على قيام إســرائيل، واعترف بها، ويريد استمرارها ولكن من غير أنياب ومخالب، ومن غير توسـع جديد .

واسترحت بعض الشيء أن الأخوة انشغلوا عني في جدلهم فيما بينهم، وكان لابد لي من العودة إلى عمان لأكون جاهزا فجر اليوم الثاني للموعد إياه مع (سيادة الشريف ناصر) لتفقد الجيش الأردني في مواقعه في الضفة الغربية ..

ونهضت مودعا، وأنا أقول لهم : أنتم في بيتكم .. استمروا في النقاش والحوار .. وليس عندي ما أقوله لكم إلا أن أدعو الله أن يؤجل المعركة عاما أو عامين ..

وحملتني السيارة إلى عمان وإلى الفندق، فقد أصبحت في هذه الأعوام الثلاثة نزيل الفنادق، وأصبح بيتي في القاهرة محطة ترانزيت . ووجدت وفودا من رجالات فلسطين يملأون ردهات الفندق حلقات حلقات، وانتقلت من واحدة إلى أخرى، ربع ساعة هنا، ونصف ساعة هناك، والأسئلة إياها والأجوبة إياها، فإن قلب الناس واحد ولسانهم واحد، في كل مكان ..

وتسللت من بين هذه الحلقات، وقد أصبح التسلل من مهارتي أمارسها حين الحاجة، وصعدت إلى الجناح الملكي لأنام نومة مواطن كل همه بعد التحرير أن يجتلي طلعة الوطن السليب، وينام في كوخ بسيط قبل أن يغادر هذه الدنيا ..

واستيقظت عند الساعة الرابعة صباحا، كأنما في رأسي ساعة منبهة، وهذا شأن المحب يوقظه الحب في ساعة الميعاد .. وارتديت ملابسي إلى ساحة الفندق من غير حلاقة ولا فطور، فقد عزمت أن أبدأ نهاري بالتقشف ..

وكانت نسـمات الفجر تعوضـني عن الفطور وعن نعيم الحلاقة في الصباح .. ووقفت انتظر بضعة دقائق إلى أن جاء الشريف ناصر وهو يقود سيارة عسكرية مثبت عليها مدفع لمقاومة الطائرات .. وانطلقت السيارة، ونحن نتحدث ..

قال : لقد كشفني الأخ أبو مازن .. والله إنك سباق

قلت : أرجو الله أن تكونوا سباقين إلى الميدان ..

قال : وهل أفطرت .. والله أنا ما أفطرت .. لماذا لا تفطر في الاوتيل ..

قلت : فلنتقشـف هذا اليوم .. أنت يلزمك صـيام عدة أيام .. المعركة تحتاجك رشيقا من غير كرش !!

قال : الله يلعن السيارات .. أيام الخيل لم يكن لنا كرش ..

قلت : أنا لا أعرف الضباط الإسرائيليين إلا من صورهم في الصحف .. لم أر أحدا منهم يحمل كرشا على بطنه .. فلماذا لا تفعل مثلهم ..

قال : هذا صحيح .. الله يلعن (المنسف) هو سبب السمنة (وهو أكلة أردنية شهيرة).

قلت : لا مانع من أكل المنسف، ولكن على أن يأتي بعده صيام يومين ..

قال : الموضوع ليس المنسف وحده .. الويسكي ملعون هو الذي يسبب السمنة ..

قلت : وهل الويسكي فرض .. اترك الويسكي ..

قال : والله أنا تركته الأسبوع الماضي .. ولكن ما العمل .. كنت عند سيدنا وشربنا .. ورجعت له، وأصبحت أشرب أكثر مع أن كبدي تعبان .. وسيدنا كذلك كبده تعبان وقد نصحه الأطباء في لندن أن يمتنع عن الشراب خصوصا وإنه يشكو من أزمات حادة بسبب الجيوب الأنفية .

قلت : هل تريدني أن أنصح الملك بترك الشراب ؟؟

قال : لا .. دخيلك .. نحن نتكلم كإخوان .. أنا أتكلم الآن حتى أسليك، ولا تمل من طول الطريق . وقطعنا الغور، واجتزنا جسر النبي، ومدينة أريحا، ونحن في هذا الحديث، وعند عطفة في إحدى المرتفعات على طريق القدس، عرجنا على موقع من مواقع الجيش الأردني يقوده الشريف زين بن شاكر ..فترجلنا، وسلمنا ومكثنا بعض الوقت، والشريف ناصر يشير بيده إلى الغور

من تحتنا، ويشـرح احتمالات الكر والفر، والتطويق والالتفاف بيننا وبين العدو إذا حانت سـاعة المعركة .ز وكان الشـريف زيد يشـارك في الشـرح والإيضـاح، وأنا معجب بوسـامته وقامته، وأدعو في نفســي أن يكون في بسـالته كحاله في رشاقته ..

وبعد رشـــفات خاطفة من القهوة العربية تابعنا ســـيرنا في ذلك الطريق الأفعواني إلى بيت المقدس، إلى رام الله، إلى نابلس، وإلى جنين، لا نلوي على مدينة ولا على قرية ..ثم اقتحمت سيارتنا طريقها إلى مواقع الجيش الأردني بين الأحراش وكروم الزيتون، نقف عندها موقعا موقعا من الشمال إلى الجنوب ..

وكان الجو في أحلى أيامه، وما تزال الثمار والأزهار في أكمامها، ولله ربيع فلسـطين، وطاب لنا أن نمشــي من مخيم إلى مخيم، وبين مواقع المدافع المظللة بأغصـان الأشـجار، وتحدثنا إلى الضـباط والجنود عن المعركة، عن العدو، عن السـلاح، عن الجبهتين المصـرية والسـورية، عن تحركات العدو وهو على مرمى البصـر، عن الطائرات الإسـرائيلية وهي تحوم صـباح مسـاء استطلاعا واستكشافا، وتتوغل في الأجواء الأردنية، حرة طليقة ..

ومكثنا في مقر القيادة المحلية في كل موقع فترة من الوقت، ورفعت الأســـتار عن خريطة العمليات ليتولى قائد المنطقة شـــرح الخطة العســـكرية، فأثنيت على علمهم وشـجاعتهم وإيمانهم، ولو كانت أسـلحتهم وذخائرهم ومؤنهم بقدر بسالتهم لكان لنا مع العدو يوم وأي يوم..

ثم تابعنا تفقدنا ومســـيرتنا إلى أن عدنا إلى بيت المقدس، ومنها إلى موقع(قبة راحيل) قريبا من بيت لحم حيث قضـــينا بعض الوقت مع الضـــباط والجنود في هذا الموقع الإســـتراتيجي، وهو يطل على الأحياء اليهودية من القدس الجديدة ..

كان هذا الموقع معدا إعدادا كاملا، بما فيه من الخنادق والمخابئ، وقواعد المدافع، والمنافذ والنوافذ، والمناظير والمراقب .. وقال لي قائد الموقع في نبرة مملوءة بالحسـرة (لو كانت إمكاناتنا المالية أكثر وأيسـر لاسـتطعنا أن نجعل من هذا وحده منطلقا لتدمير العدو، وها أنت تراه رأي العين تحت أقدامنا ..وليت الملوك والرؤســـاء حضـــروا معك ليروا بأعينهم ..) ولم أتمالك إلا أن أجيبه قائلا (ليتهم يحضرون إلى هذا الموقع لنحتفظ بهم رهائن حتى يدفعوا كل متطلبات المعركة .. فإنهم لا يدفعون إلا إذا حبســـتهم في هذا الموقع ..) وعاد مـــرة ثـــانـــيـــة بـــنـــبـــرة وحســـــرة (ومـــن أيـــن يـــأتـــون إلـــى هنا ..) ؟ !!

وتناولت الطعام مع الجنود والضباط، وما أشهى الطعام الميداني حتى لو لم يكن شـهيا .. ونهضـنا لزيارة بقية المواقع في بيت لحم والخليل .. ونعمنا ســـاعتين من الزمن ونحن نجوس خلال الكروم في تلك الربى الجميلة، وكان الأنس، كل الأنس في تلك الروح المعنوية العالية في جنودنا وضـــباطنا الشـجعان .. وجلسـت في غرفة العمليات في تلك المواقع .. وكان الحديث يدور حول خطة عســكرية مشــرقة بهيجة .. خطة اللقاء مع الجيش المصـــري في كماشـة على القدس الجديدة، ومنها إلى السـاحل، عبر اللد والرملة ويافا – إلى

تل أبيب – وما عشت في عمري كله مع أحلام اليقظة، أحلى وأغلى من ذلك الحلم الغالي ..

وأدركنا الليل، ولم يعد يتسع الوقت لمزيد من الزيارات فعدنا أدراجنا إلى بيت المقدس، ومنها إلى الطريق الأفعواني في اتجاه البحر الميت .. إلى عمان ..

وكما بدأنا عند الفجر في حديث الصباح، عدنا إلى حديث العشية، وكنا نقترب من الأغوار التي امتلأت من العقبة جنوبا إلى اربد شمالا بمقابر الشهداء من الصحابة والتابعين، منذ صدر الإسلام أيام معركة مؤتة وتبوك واليرموك وأجنادين وبيت المقدس، إلى عهد صلاح الدين بطل معركة حطين .. إلى السلطان قطز بطل معركة عين جالوت .. إلى كل تلك الأيام الغراء والذكريات الزهراء..وما القبور القائمة حتى اليوم لأبي عبيدة الجراح .. وزيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة إلا حفنة من تلك المعالم الغالية ... وكلها يعرفها الأعراب والفلاحون أكثر مما يعرفها المؤرخون و الباحثون ..

ومددت يدي إلى كتف الشريف ناصر وهو يقود السيارة ..

قلت : يا أبا ناصر .. أنا أشكرك على هذه الزيارة .. هل أنت مطمئن إلى أوضاع الجبهة في الضفة الغربية ؟ .

قال : ما رأيك أن نتكلم في هذا الموضوع مع (سيدنا) إنه ينتظرنا في قصر الحمر .. وهذه هي رغبته .

ومضينا في طريقنا حتى وصلنا مشارف عمان، وعطفنا على قصر الملك حسين، المتلألئ بالأنوار، وخطوات الحرس تقطع سكون الليل ذهابا و إيابا .. ودخلت إلى الصالة لنجد الملك مدثرا بعباءته، وملتفا بغلالة من أطباق الدخان تتلوى حتى السقف ... وبادرني بصوته الأجش ..

قال : ما هي انطباعاتك عن الجيش ... وعن الاستعدادات العسكرية في الضفة الغربية... نحن الآن أقوى بكثير من السنة الماضية ... أليس كذلك ... لقد حضرت العرض العسكري قبل عامين ..

قلت : أنا فخور بالجيش الأردني إن روحه المعنوية عالية جدا، وهذه شيمة الجندي العربي في كل مكان .. لكن الأمر موقوف على استعداد الجيوش العربية الأخرى .. فالجيشان المصري والسوري هما عماد المعركة .. والجيش الأردني وحده لا يستطيع الصمود أمام القوات الإسرائيلية .. ثم إن الأمر يحتاج إلى تجميع الطاقات العربية كلها، عسكرية وسياسية واقتصادية ..

قال : لقد تلقينا بالأمس رسالة من الملك الحسن الثاني يقترح فيها عقد مؤتمر قمة عربي لدراسة الوضع الحالي في الشرق الأوسط واتخاذ القرارات الجماعية لمواجهة أي عدوان .. والرئيس عبد الناصر كلمني اليوم ظهرا بالتلفون .. وسألني عنك .. قلت له إنك في الضفة الغربية .. وسألني رأيي في اقتراح

الملك الحسن الثاني بشأن الدعوة لمؤتمر قمة .. ما هو رأي الأخ أحمد في الموضوع ..

قلت : لقد ضجرت الأمة العربية من مؤتمرات القمة .. ثم إن الأحداث تمر بسرعة هائلة .. وما الفائدة من مؤتمر قمة جديد إذا كانت قرارات مؤتمرات القمة السابقة لم تنفذ .. المعركة الآن على الأبواب .. والقضية بسيطة، ومن كان عنده مال أو سلاح أو رجال فليتفضل إلى الميدان، هذا خير من مؤتمر قمة ..

قال : وهل تظن أن المعركة مقبلة بهذه السرعة ؟؟

قلت : بضعة أيام وستنشب المعركة .. إني أتابع الاستماع إلى الإذاعة الإسرائيلية، وقراءة الصحف الإسرائيلية .. كل شئ ينبئ أن إسرائيل ستشن الحرب، وستضرب مصر أولا .. ثم أن هنالك (بوصلة) الحرب قد أصبحت معالمها واضحة ..

قال : وماذا تعنى ؟

قلت : (بوصلة) الحرب هي لجنة الصليب الأحمر الدولية في جنيف. لقد أوردت الإذاعة البريطانية خبرا في هذا اليوم بأن لجنة الصليب الأحمر اتخذت احتياطات الطوارئ لمجابهة احتمال نشوب الحرب في الشرق الأوسط، وعينت وفودا إلى الجمهورية العربية المتحدة وسوريا ولبنان والأردن لتعمل على ضمان تنفيذ اتفاقيات جنيف بشأن الجرحى والمدنيين، وما إلى ذلك ..

قال : لنعد إلى الضـــفة الغربية .. كيف وجدت الروح المعنوية لدى الشعب ؟؟

قلت : لم أر أحدا من الشـــعب .. كل زياراتي كانت لمواقع الجيش .. غير أني واثق من الروح المعنوية لدى الشعب .. ولكن المشكلة أن الشعب لا مكان له في المعركة .. إنه أعزل .. إنه غير مدرب على الســـلاح .. وهذا ما كنا نطالب فيه على الدوام .

قال : (وكأنه يريد أن ننصـرف عن هذا الحديث) وهل من ملاحظات أخرى ؟؟

قلت : لا توجد في الضفة الغربية استعدادات للدفاع المدني ..

قال : ولكن الأوامر صـــدرت إلى قيادة الدفاع المدني باتخاذ الإجراءات اللازمة .. وإن كانت إمكاناتنا المالية قليلة ..

قلت : الشعب هو الإمكانات المالية .. الشعب مستعد أن يحفر الخنادق ويبني المخابئ .. وأن يكدس أكياس الرمل في الشوارع وأمام المنازل .. الشعب مستعد لأن يقوم بكل ذلك .. ولقد مررنا بالضـفة الغربية كلها فلم أجد خندقا ولا كيس رمل واحداً أمام المنشـــآت العامة .. على حين أننا كنا نرى بأعيننا اليهود يعملون في حفر الخنادق . لقد رأينا ذلك صـــباحا في منطقة اللطرون .. كان اليهود يحفرون الخنادق .. أليس كذلك يا أبو ناصر..

فقال الشريف ناصر : نعم رأيناهم .. وإذا أمر سيدنا أن يصدر التعليمات إلى قيادة الدفاع المدني بإجراء اللازم ..

قلت : وأعتقد أنه يجب توزيع الأسلحة على الأهلين حتى يشتركوا في الدفاع عن مدنهم وقراهم ..

قال الملك : نخشى أن تحصل الفوضى .. توزيع السلاح على الأهالي موضوع صعب..

قلت : فليكن على رأس هذا العمل ضابط من الجيش الأردني في كل قرية وفي كل مدينة .. لقد استطعنا أن ننشئ في قطاع غزة في الأسبوع الماضي كتائب للمقاومة الشعبية تعدادها عشرون ألفا، وهم يباشرون الآن حفر الخنادق وبناء الملاجئ وحماية الجسور وما إلى ذلك فلم لا نفعل ذلك في الضفة الغربية ؟؟

قال : هذه كلها مسئوليات الجيش، ونحن لا نريد أن يقع تضارب بين القوات المختلفة..

قلت : إذا كان الجيش يقوم بهذه المهمة فلا مانع .. المهم أن تقوم بها جهة مسئولة سواء كان الجيش أو غير الجيش ..

قال : وهل أنت مطمئن للدفاع عن القدس .. لقد رأيت كل شيء ..

قلت : مازلت عند رأيي .. القدس معرضـــة للســقوط في كل لحظة .. الأســوار وحدها هي التي تفصــل إســرائيل عن القدس من الداخل .. يجب أن تتمركز القوات المســلحة في داخل المدينة، في البيوت، في الشــوارع، على الأسـطحة .. على الأسـوار .. إن بيت المقدس لا يحميها إلا حرب الشـوارع .. في كل حارة وزقاق، بل وراء كل حجر ..

والتفت الملك حسين إلى الشريف ناصر وسأله ..

– وما رأي أبو ناصر في الموضوع ؟؟

وقال الشـريف ناصـر : عينِّ خير .. يا سـيدنا .. عندك رجال مسـتعدين يموتوا قبل أن تسـقط القدس ... لقد أعددنا خطة عسـكرية متكاملة للدفاع عن القدس .. الحرب الحديثة هذه الأيام تفرض أن يكون الدفاع عن القدس من الخارج لا من الداخل ..

قلت : أنا لست عسكرياً .. ولكني أريد أن أسأل .. وما العمل إذا سقط الخارج، فما هو مصير الداخل ؟؟

فقال الملك حسـين : فليطمئن الأخ أحمد .. سـأتولى بنفسـي الدفاع عن القدس .. الله يعطيك العافية اليوم تعبت كثيرا .. خليك تسـتريح .. والقدس أمانة في أعناقنا، نفديها بأرواحنا.

فنهضـــنا في تلك الســـاعة المتأخرة من الليل، وأنا أحســـب أن كل اقتراحاتي متأخرة .. فلم تعد المعركة تنتظرنا لنسـتعد، ولم تعد إسـرائيل تنتظرنا لنسـتكمل اسـتعداداتنا .. بل هي تريد أن تضـرب الضـربة القاصـمة في هذه المرحلة بالذات، قبل أن نجمع صـــفوفنا ونعبئ طاقاتنا، ســـواء في الجبهة الأردنية أو في الجبهات العربية الأخرى ..

ومددت يدي لأودع الملك حسـين، ولم أسـتطع أن أحبس نفســي عن كلمة أخيرة قلتها له على الطريقة العربية، بل على الطريقة العشائرية ..

مرة أخيرة أقولها لســـيدنا .. القدس في رقبتك .. أنا لا زلت أعتقد أن إدخال جيش التحرير الفلسـطيني إلى القدس هو أمر ضـروري لحماية المدينة.. ولو أذنت لي أن أتصـل تلفونيا في دمشـق صـباحاً فان كتائبنا في درعا مسـتعدة أن تكون ظهرا في بيت المقدس ..

فقال الملك حسـين : عينِّ خير .. القدس في رقبتي .. روح نام مطمئن .. والله لا تدخلها إسرائيل إلا على جثتي ..

قلت : لقد سبق للسلطان عبد الحميد، في زمن الدولة العثمانية أن قال لهرتزل مؤسـس الحركة الصـهيونية (أن الوطن القومي اليهودي لن يقوم إلا على جثتي) .. ولقد قام الوطن القومي اليهودي .. وقامت إسرائيل.. والسلطان عبد الحميد تحت التراب .. وقد أكرمه الله أنه مات قبل أن يقوم الوطن القومي اليهودي ..

ولم تحتمل تلك الوقفة على أبواب القصـــر أكثر من هذا الكلام .. وتركت الملك حسـين والشـريف ناصـر عند الباب، وأقلتني إحدى السـيارات الملكية إلى الفندق، وقلبي ينازع عقلي، وعقلي يصـارع قلبي، وأنا لا ادري ما يأتي به الغد وما بعد الغد ..

وألقيت بنفسـي على السـرير، وأنا خائف منها وعليها .. خائف من الأمانة وعليها .. الأمانة التي حملتها وما أدري هل كنت ظالما جهولا، والله تبارك وتعالى يقول : (انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان انه كان ظلوما جهولا ..).

صدق الله العظيم

ليلة الخامس من حزيران

من صباح الجمعة المبارك، إلى صباح الاثنين المشئوم، كنت في بيت المقدس. . . وكان ذلك على وجه التحديد، وبالتاريخ، يوما وشـهرا وعاما ... من الثاني إلى الخامس من شهر حزيران من عام 1967.

ولقد كانت لي في عمري أيام وأعوام في بيت المقدس، حين كنت طالبا في العشرينات، وصحافيا في الثلاثينات، ومحاميا في الاربعينات .. وسياسيا في الخمسينات .. ولكن هذه الأيام الثلاثة قد طغت على كل أعوامي وأيامي .

ولقد أهل صباح الجمعة ليجدني في فراشي في فندق عمان، بعد نهار طويل قضيته في مواقع الجيش الأردني، وما زلت كأني في الخنادق مع الجنود

والضباط، نركز المنظار على العدو أمامنا، والعدو يرصدنا من أبراجه وطائراته .. والقدر محلق في السماء يرانا كلينا، من غير ان نراه ..

ودق جرس التلفون ليقطع علي سارحات الذهن وشاردات الفكر .. وإذا بمدير مكتب المنظمة في المقدس، يتحدث ..

قال: نحن سنصلي الجمعة في (الصخرة)هذا اليوم

قلت :إن شاء الله ..سأسافر بعد قليل إلى القدس ..

قال: أرجو أن يكون حضوركم مبكرا .. اولا إلى مكتب المنظمة ثم إلى المسجد .. لقد اتصل بنا إخواننا من نابلس وجنين وطولكرم والخليل، إنهم يريدون الحضور إلى المكتب ليذهبوا إلى الصلاة معا .

قلت :حاضر .. ولكن أرجو أن لا تكون مظاهرات .. فليكن لقاء عاديا ..

قال : جماهير كثيرة ستأتي بالسلاح، السيارات محجوزة اليوم .. سيكون أشبه بزحف على القدس ..

قلت : أرجو أن تتصل بالإخوان جميعا وأن تناشدهم، باسم فلسطين، وبهذا اليوم المبارك أن لا تكون هنالك تظاهرات ولا سلاح.. وليكن كل شيء هادئا..والظروف دقيقة ..وحساسة .. ونحن لا نريد أن نزعج الملك حسين ..لا

داعي للمظاهرات ..إن شاء الله بعد النصر يفعل الشعب ما يشاء ..أرجوك أن تتصل بالتلفون بالجميع .. الآن ..

وما هي إلا دقائق حتى ركبت السيارة إلى القدس قبل أن يفلت الزمام ونقع في أزمة ..وقد صح ما خشيته، فقد رأيت الجماهير محيطة بمكتب المنظمة بأسلحتها، من المسدس إلى البندقية إلى الرشاشات، ودخلت المكتب فوجدته غاصا برجال البلاد وأعيانها ..

وعقدنا جلسة (طوارئ) وشرحت للاخوة أن الظروف الحاضرة تقتضي الهدوء والسكينة ..وأننا نحرص على (حساسيات) الملك حسين، فلا نريد أن نزعجه في قليل او كثير، حرصا على الاتفاق الذي تم في القاهرة, إننا لا نريد ان يشعر أننا نحاول أن (نسرق) الشعب منه ..

واستجاب الأخوة، فخرجوا إلى الجماهير يرجونهم أن يتركوا أسلحتهم في سياراتهم، وأن يذهبوا إلى المسجد بنظام ..وكان كذلك، وقد ترك عدد منهم سلاحه في المنظمة في (عهدة) الموظفين ..

ومكثنا ساعة من الزمن نتداول الموقف الحاضر ..ولا حديث إلا المعركة، فحدثتهم بكثير من التحفظ، فقد كانوا من الحماسة بحيث لا يحتاجون إلى إثارة، فصاح أحد الشباب ...

قال : ولكن الأستاذ هيكل رئيس تحرير الأهرام أكثر منك تفاؤلا...

قلت، الموضوع ليس تشاؤما أو تفاؤلا ..وماذا قال الأستاذ هيكل ..

قال : (وأخرج عدد الأهرام وقرأ) جاء في ختام مقاله قوله (إن إسـرائيل مقبلة على عملية انكسـار تكاد تكون محققة سـواء من الداخل أو من الخارج .. لقد كانت (إسرائيل ولا تزال في وجودها كدولة، تقليدا للطبيعة، صنع من مادة ليست أصيلة وليست صلبة أقرب ما تكون إلى تشكيل من الجبس لا يستطيع أن يتغير إلا إذا انكسر ...).

قلت :أنا غير موافق على هذا المقال .. لا يجب أن نبالغ في قوتنا، أو في ضـعف إسـرائيل .. إن (كسـر) إسـرائيل ليس سـهلا إلى هذا الحد الذي تتصوره ...

قال : ولكن المعروف أن الأسـتاذ هيكل يعبر عن رأي الرئيس جمال عبد الناصر ..

قلت : وهذا غير صـحيح أيضـا ..هنالك شـخص واحد يعبر عن رأي الرئيس عبد الناصر.

قال : من هو الشخص ؟

قلت انه الرئيس عبد الناصر نفسه ..

ومضـينا في الحديث عن المعركة المقبلة، وظروفها، ومواقف الدول الصـديقة والمعادية، من الاتحاد السـوفيتي إلى الولايات المتحدة، واقترب موعد

الصلاة، فذهبنا إلى مسجد الصخرة لأداء فريضة الجمعة، وأوقفنا سيارتنا عند باب (ستنا مريم) ومشينا في موكب التاريخ عبر السور المجيد الذي شهد أعظم انتصارات الأمة العربية إلى ساحة الحرم الشريف فكانت مزدحمة بالخلائق من الرجال والنساء والأطفال، من أهل المدن والقرى في حشد زاخر رائع، يهلل ويكبر ويهتف بالنصر والتحرير ..

ولقد كان يوما مشهودا ذلك اليوم، فحين يحتشد الشعب في ساحة الحرم الشريف تحتشد معه ذكريات جليلة القدر، ابتداء من إسراء الرسول ومعراجه، إلى دخول عمر بن الخطاب ومعه عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد وغيرهما من كبار الصحابة، إلى دخول صلاح الدين الأيوبي ..إلى سائر تلك الأيام التاريخية الماجدة ..

تزاحمت هذه الذكريات الجليلة في نفسي وأنا أشق طريقي بين الجماهير، الراكعة الساجدة، الخاشعة القانتة، وألقى الخطيب خطبة الجمعة، ونهضت للانصراف، ولكن أنىّ لي أن أنصرف ..فقد انتصب أمامي الجمهور واقفا يحول بيني وبين الخروج ..ولا بد من خطاب .وكانت هذه هي حجة الجماهير ..

وماذا عساي أن اخطب، فلم يعد الموقف يتسع للكلام .. فالجيوش العربية تقف وجها لوجه أمام القوات الإسرائيلية، وأصبح الكلام للطائرات والمدافع ..ولكني أذعنت وخطبت، وشرحت للجماهير ما كان من اجتماع قصر القبة بين الرئيس عبد الناصر والملك حسين ودعوت مرة ثانية (أن ينتقل الاتفاق

من الورق إلى الميدان بكل أمانة وإخلاص وشرف) ثم شددت على وحدة الأمة العربية في هذه المعركة المصيرية لتحرير الديار المقدسة وتطهيرها من رجس الصهيونية والاستعمار، وناشدت العالم الإسلامي أن يصون عروبة القدس، مستشهدا بالآيات القرآنية ..وختمت كلامي بترديد الحديث النبوي الشهير، الساحر الباهر، البديع المبدع (إن الجنة لتحن شوقا إلى بيت المقدس) .

ونزلت عن المنبر، لأجد نفسي على أكتاف الشباب، وكنت أكره هذه (العراضة) الوطنية ولكني رضيت بها ذلك اليوم، فلم يكن من سبيل لأتفادى زحمة الجماهير إلا أن أكون محمولا على سواعد الشباب، ولم أطأ الأرض إلا عند السيارة ..وكان الجو حارا شديد الجفاف يكاد المرء أن يلفظ رئتيه التماسا للهواء ..ولكن الشعب يرى في الأيام القومية بردا وسلاما ..ولو كان الجو زمهريرا أو يحموما !!

وعدت إلى فندق امباسادور، القائم في حي الشيخ جراح، هو على بعضة أمتار من خطوط الهدنة الإسرائيلية ..وجلست على الشرفة أستريح بعض الشيء، ولكن متاعبي ومخاوفي أخذت تندلع في نفسي اندلاع النار في الهشيم ..

كانت مدينة القدس أمامي بشطريها، القديم والجديد، وكلاهما عربي..فقد عشت شبابي في المدينة، والمقدسيون العرب يبنون أحياءها الجميلة خارج الأسوار :القطمون، والطالبية، وغيرهما ... وها إني أرى (القدس الجديدة) تحت

الاحتلال الإســـرائيلي، ويهود اليمن القذرون قد بنوا أكواخهم وراء الأســـوار، وأولادهم يعبثون بالوحل، ويلعبون بالأوساخ .

وأزعجني خـاطر رهيـب .. خـاطر أوحتـه المقـارنـة بين شـــطري المدينة .. لقد كنت أرى القدس الجديدة تعج بالحركة والحياة ..ورأيت العمال اليهود يحفرون الخنادق أمام بيوتهم وحول أحيائهم، ويكدســون أكياس الرمل في الميادين والســاحات وفوق أســطح المباني ..أما المدينة القديمة فقد كانت راقدة راكدة بين أسوارها، لا مخبأ ولا ملجأ ..ولا حفنة من الرمال أمام هذا المستشفى، أو ذلك المخيم ..وكأنها أصـــبحت القدس القديمة، البلدة اليتيمة ..تحت رحمة الجارة اللئيمة ..

وهربت من الشرفة إلى غرفتي لأهرب من هذه المقارنة المخيفة، فلم أعد أطيق أن أرى هذا المشـــهد الرهيب ..ورحت التمس الســـلوان في التحدث إلى الوفود القـادمـة من كـل أرجـاء فلســـطين، وقـد طـالـت عني غيبتهم بعـد أن (ســحب) الملك حســين اعترافه بالمنظمة، وأقفل مكاتبها وشــرد رجالها واعتقل موظفيها ..

وهكذا قضـــيت هذه الأيام الثلاثة، الثاني، والثالث، والرابع من شـــهر حزيران ..من الفنـدق إلى مكتـب المنظمـة وبـالعكس، في لقـاءات متصـــلـة، وأحاديث مســتمرة، ومن ثم في اســتطلاع ما يجري خارج الأردن، كلما لاح لي فراغ في الليل والنهار ..

وكان استطلاعي لما يجري خارج الأردن يتم ساعة بساعة، فقد كان مكتب الإذاعة الأردنية في القدس بضم مجموعة من الشباب المخلصين النابهين، يتابعون الإذاعات العالمية، والصحف الإسرائيلية والأجنبية، ويرسلون إلى القصاصات مع مراسل الموتوسكل ساعة بساعة ..وأكرمْ بأولئك الشباب وأعظمْ بذلك المراسل ..

وما زلت احتفظ بتلك القصاصات في ملفاتها، أعود إليها كلما أردت أن أعود إلى القدس في خاطري ..وكلما حملتني مذكراتي إلى ذكرياتي ..وها أنا الآن أقلب تلك القصاصات الأجنبية والعربية ليقرأها معي المواطن العربي .. مواطن الحاضر ومواطن المستقبل، ليعيش معي الأيام والليالي قبل الهزيمة ..

قالت جريدة جروسالم بوست، وهي الجريدة الإسرائيلية التي تصدر باللغة الإنجليزية، تعقيبا على تشكيل وزارة ائتلافية أسندت فيها وزارة الدفاع إلى موشى ديان (إن التغير الهام في الوزارة الجديدة هو أن الجنرال موشيه ديان سيأخذ مكانه في الوزارة الجديدة كوزير للدفاع بالاتفاق مع رئيس الحكومة ليفي اشكول ..وأن تعيينه في منصبه الجديد هو خير وسيلة لتحقيق مطامح إسرائيل في استعادة حرية الملاحة في خليج العقبة، وهو بذاته إرضاء لدافيد بن جوريون، فلا بد من الاستفادة من رأي بن جوريون في المحنة الحاضرة (1967/6/2)) وقد تساءلت، ونحن نملك ثلاث عشرة حكومة عربية، هل تم تشكيل وزارة ائتلافية واحدة، وزارة حرب، لمواجهة الحرب في أية حكومة عربية ..وهل فكر أي ملك أو رئيس في الاستعانة بأهل الرأي المختزنين في بيوتهم

في الوطن العربي ..وطبيعي أنه لم يتم شيء من ذلك، فان كل شيء على خير ما يرام في الوطن العربي !!

ونقلت وكالات الأنباء (أن متطوعين من يهود فرنسا وأمريكا سيصلون إلى إسرائيل في الأسبوع المقبل لدعم إسرائيل ..وأعلنت الإذاعة الإسرائيلية (أن هؤلاء المتطوعين سيجدون مواقعهم جاهزة للدفاع عن إسرائيل (1967/6/2))وهذا واحد من عشرات الأخبار التي كانت تصلنا صباح مساء منذ أن انسحبت قوات الطوارئ الدولية ..

وأدلى الجنرال شارل ديجول رئيس الجمهورية الفرنسية بتصريح قال فيه (إن فرنسا تؤكد حيادها في النزاع العربي الإسرائيلي ولكن الجهة التي تبدأ بالعدوان لن تحظى بتأييد بلاده)(2/ 6/ 1967).

وصرح هارولد ويلسون رئيس الوزراء البريطاني في مؤتمر صحفي عقده في واشنطن عقب اجتماعه بالرئيس الأمريكي لندن جونسون (بأن إغلاق خليج العقبة قد يؤدي لا إلى صدام عربي – إسرائيل فحسب، ولكن إلى نار أكبر بكثير، وأن هذه النار قد تنشب في غضون ساعات ..وأنه سيطير غدا إلى نيويورك ليجتمع مع يوثانت الأمين العام للأمم المتحدة لبحث أزمة الشرق الأوسط ..) (1967/6/2).

وأعلن الرئيس الأمريكي لندن جونسون (أنه عرض على هارولد ويلسون رئيس الوزراء البريطاني مشروع إعلان تصدره الدول الملاحية ينص على اعتبار

خليج العقبة ممرا مائيا دوليا ويحق لكل دولة ممارســـة حقوق المرور فيه) (1967/6/2) .

وصرح موشى ديان بعد أن عين وزيراً للدفاع (أن إسرائيل تستطيع أن تنتصر إذا ما نشبت الحرب، وأن الأمم المتحدة لا تعيش على ساعات التوقيت ..وأن إسرائيل لم تفقد المبادرة العسكرية بتأخير الرد الفوري إلى هذا الوقت وأن فرصة الانتصار لا تزال أمامها إذا نشبت الحرب) (3/ 1967/6) .

وأصدرت لجنة الشئون الخارجية في مجلس الأمة في الجمهورية العربية المتحدة بيانا أكدت فيه أن (الإعلان الدولي المقترح لفك الحصـــار عن خليج العقبة يعتبر بمثابة حرب غير معلنة على الدول العربية ..وأكد البيان كذلك أن الوقت أصبح أكثر ملاءمة للحرب ولتدمير إسرائيل) (3/ 1967/6) .

وأعلن المشرفون على الصندوق البريطاني اليهودي (أنهم جمعوا تبرعات لإســرائيل في أســبوع واحد تبلغ ثلاثة ملايين ونصــف المليون من الجنيهات الإسترليني، وأن أسرة روتشلد وحدها تبرعت بمليون جنيه) (3/ 1967/6) .

وذكرت جريدة الجارديان البريطانية (أن عددا من المتطوعين قد غادروا مطار لندن على متن طائرة تابعة لشــركة العال الإســرائيلية متوجهين إلى تل أبيب ليعملوا في المزارع الجماعية في إســرائيل بعد أن تركها ســكانها ليلتحقوا بالجيش، وأنه من المتوقع أن يصـل عدد المتطوعين قريبا إلى ألف متطوع ..) (3/ 1967/6) .

وقالت وكالات الأنباء، نقلا عن الرسميين الأمريكيين، (إن جميع الجهود التي بذلت لإقناع الجمهورية العربية المتحدة بفتح خليج العقبة قد باءت بالفشل، وإن ثمة شهورا في واشنطن بان حل المعضلة حلا سلميا قد بات مستبعدا وإن الوقت لذلك قد فات) (3/ 1967/6) .

وعرض التلفزيون البريطاني مقابلة مع الرئيس عبد الناصر قال فيها (إن روسية ستكون إلى جانبيا لكي لا يتكرر ما حدث في عام 1956 أيام العدوان الثلاثي على مصر) (4/ 6/ 1967).

ونشرت جريدة لندن تايمس نقلا عن الرسميين في واشنطن، (أنه لن ينتهي الأسبوع الثالث لازمة الشرق الأوسط قبل أن يكون انفجار ما قد وقع، وان هذا الاعتقاد آخذ في الرسوخ، لان لندن جونسون الرئيس الأمريكي، وويلسون الرئيس البريطاني لا يعرفان كيف يمكن أن تحل هذه المسالة سلميا ..) (4/ 6/ 1967) .

وغير ذلك من القصاصات الصحفية كثير ..وكثير ..اقتصرت منها على الثاني والثالث والرابع من شهر حزيران !!

وفي مساء الرابع من شهر حزيران (مايو)اتصل بي مكتب المشير عامر النائب الأول لرئيس الجمهورية العربية من القاهرة ..وكان موظفو التلفون في القدس يصيحون في أذني ..القاهرة على التلفون .. لا تترك الخط من فضلك ..مخابرة هاتفية عاجلة ..

وجاءت المخابرة التلفونية ..وقال المشير عامر ..

– يا أخ أحمد .. الفريق طاهر يحيى جاءنا اليوم وسيوقع على بروتوكول للانضمام إلى اتفاقية الدفاع المشترك التي تمت بيننا وبين الأردن .. وسيسافر غدا صباحا إلى عمان، حتى يوقع مع الملك حسين الاتفاقية .

قلت : مبروك، ونسأل الله التوفيق، والقوات العراقية هل ستدخل الأردن ؟ ؟.

قال : كل شيء سيكون على غاية ما يرام .. المهم أن تسافر غداً صباحاً إلى عمان .. الفريق طاهر يحيي يريد أن يجتمع بك .. على كل حال من المناسب أن تحضر توقيع الاتفاقية .

قلت : سأسافر غدا صباحا ..وكيف الأحوال في القاهرة ؟؟

قال : نحن جاهزون، استكملنا استعداداتنا ..أرجو أن تعمل كل جهدك أن يكون (صاحبك) في قبضة اليد .. ما يفلتش أبداً !!

قلت: سأبذل كل جهدي، ولكن (صاحبي) لا يزال يتهرب من مطالبي..

قال : أرجو أن تضبط أعصابك، الموقف لا يحتمل أية أزمة ..وأنت عارف (صاحبك) أكثر منا ...

وانتهت المكالمة التلفونية عند الحديث عن (الصاحب) .. وأحسب أن المواطن العربي يعلم على وجهة اليقين أن هذا الصاحب هو الملك حسين..من غير حاجة أن اذكره بالاسم .

والواقع أني كنت متضايقا من الملك حسين، في ذلك اليوم بالذات، وبدأت ألوم نفسي، لماذا بادرت بالمجيء معه إلى عمان قبل أن نكتب (اتفاقية الدفاع المشترك)بين الأردن والمنظمة، على غرار اتفاقية الدفاع المشترك بين الأردن والقاهرة .

ثم سخرت من نفسي من هذا الخاطر الساذج، فأي نفع من أي اتفاق مع الملك حسين إذا لم تكن عنده عزيمة صادقة على تنفيذه ..وكان الذي ضايقني من الملك حسين انه عقد مؤتمرا صحفيا قال فيه إن ما (حصل عليه الأردن من سلاح وذخيرة جعله في وضع ممتاز لمجابهة احتمالات المستقبل القريب ..وإن كل إمكانات الأردن معبأة للمعركة ..وإن الأردن اتفق مع منظمة التحرير الفلسطينية ..وإن الأردن على خط النار أسرة واحدة، وإن الشعب كله شعب فلسطين وهو معبأ تعبئة كاملة لخوض معركة المصير ..) وكان ينبغي أن توضع كلمة لا، أو ليس، أو لم ..قبل كل عبارة من هذا الحديث .

لقد ضايقني هذا الحديث كثيرا ..فقد حفزني أن أتكلم ..والظروف يومئذ فرضت على الصمت .. فان جميع الوقائع التي أشار إليها الملك حسين في مؤتمره الصحفي غير صحيحة إطلاقا ..

أولا : إن الجيش الأردني لم يكن عنده السلاح والذخيرة الكافية ..وأمريكا لا تزوده إلا بمقدار .. نقطة نقطة بالقطارة

ثانيا : إن الملك حسين قد رفض مطلب المنظمة الرئيسي فيما يتعلق بإدخال جيش التحرير إلى القدس .

ثالثا : إن الشعب لم يكن معبأ للمعركة ..فلم يكن مدربا على حمل السلاح ..ولم يكن عنده سلاح حتى في القرى الأمامية المواجهة لإسرائيل .

وتركت هذه الخواطر جانبا، وعدت إلى رفيقي الذي يلازمني أكثر من ظلي ..فان ظلي ينقطع عني في الظل .. ولكن الراديو كان رفيقي في الليل والنهار .

وراح المذيع في صوت العرب يدوي من القاهرة ..استمعوا أيها العرب ... بعد قليل سنذيع أنباء هامة .. العراق سينضم إلى اتفاقية الدفاع المشترك .. الرئيس عبد الناصر يخاطب الأمة العربية ... و ... والفريق طاهر يحيي يتحدث إلى شعب العراق الباسل ...

أزفت الساعة ..وأعلن المذيع أن الرئيس عبد الناصر والفريق طاهر يحيى قد وقعا اتفاقية الدفاع المشترك ..وبدأ الرئيس عبد الناصر يخطب ..والجماهير العربية تسمع ..وأنا واحد ..واحد من ماية مليون عربي يستمعون (بآذان) قلوبهم .. ويقول علم التشريح أن القلب مؤلف من نصفين: (أذين) و(بطين) وقد سمع الناس (بالأذين)لا بالأذنين !!

وابتدأ الرئيس عبد الناصـر يعرض القضـية من جديد، من باب التوكيد، أمام الأمة العربية، والعالم الدولي فقال : (إن ما حدث منذ ما يقرب من عشـرة أيام أننا اسـتعدنا حقنا في خليج العقبة .لقد كانت الأمور في خليج العقبة سـنة 1956 كما هي الآن،ولكن نتيجة للعدوان البريطاني الفرنسـي سـحبنا قواتنا من سيناء وحضرت قوات الطوارئ الدولية وبهذا كان علينا أن نستعد، نستعد لمعركة فاصلة مع العدو وحينما شعرنا بأننا على استعداد استعدنا حقنا ..خرجت قوات الطوارئ الدولية ثم عدنا إلى خليج العقبة ثم أغلقنا خليج العقبة ..) .

وأعلن الرئيس عبد الناصـــر في ســياق خطابه أنه يرفض عودة قوات الطوارئ الدولية، فقال (إن مســتر ويلســون رئيس وزراء بريطانيا تكلم بالأمس عن عودة قوات الطوارئ الدولية ..وأنا أقول له إنه يعيش في وقت مضـــى منذ أسبوعين فقد انتهت قوات الطوارئ الدولية وخرجت من بلادنا ولن تعود إليها مرة أخرى ...).

وأكد الرئيس عبد الناصـر العزم على التصـدي لأي عدوان فقال (هناك من ينادي بعمل بيان من الدول البحرية وإننا لن نعترف بآي بيان من الدول البحرية، ونعتبر هذا البيان عملا عدوانيا موجها ضـــد ســيادتنا وضـــد حقوقنا المشـروعة ..نعتبر هذا العمل مقدمة لعمل حربي ونحن سـنتصـدى لكل عدوان ,سنقف لكل عدوان ..وأنا على ثقة من أن الأمة العربية كلها ستقف ضد العدوان بل ستهزم العدوان ..).

ووجه الرئيس عبد الناصر تهديدا مباشرا إلى الدول التي تؤيد إسرائيل، فقال (إن وحدة العرب حققت لنا الاحترام والكرامة، ويجب على القوى المساندة لإسرائيل أن تعلم أن مصالحها عند العرب وليست عند إسرائيل ..لقد استعدنا حقوقنا في خليج العقبة، ولن نمكن أي قوة في الأرض من أن تحرمنا من هذه الحقوق ..).

وفي كلمات قصيرات حازمات وجه الرئيس عبد الناصر حديثة إلى الأمة العربية ليزيد من حماستها، والى إسرائيل ليلقي فيها الرعب، فقال (في سنة 1956 هاجمتنا إسرائيل وهي على ثقة من أن بريطانيا وفرنسا معها في المعركة ..ونحن نقول لهم اليوم أننا أمامكم في المعركة، ونحن على أحر من الجمر في انتظار هذه المعركة للثأر من غدر سنة 1956 ..).

وختم الرئيس عبد الناصر خطابه بالدعاء المعتاد (إننا نسير بعون الله في طريقنا من اجل حقوقنا ومن أجل حقوق شعب فلسطين ..وسننتصر بإذن الله ..ستنتصر الأمة العربية . إن ينصركن الله فلا غالب لكم ..).

كان ذلك خطاب الرئيس عبد الناصر، في فقراته الرئيسية كما استمعت إليه في إذاعة صوت العرب، وألقى بعده الفريق طاهر يحيى رئيس وزراء العراق خطابا موجزا أكد فيه أن (على جميع الدول العربية أن تأخذ الطريق السليم الذي خططتموه أنتم بالذات وإلا فستكون العاقبة لا سمح الله إلى نتيجة غير محمودة .. أخذ الله بيدك يا سادة الرئيس وأخيك عبد الرحمن عارف (الرئيس العراقي) للوصول بالأمة العربية إلى ما تروم).

وختم الفريق طاهر يحيى، كذلك، بالدعاء المعتاد (وسننتصر وننتصر وننتصر بإذن الله والسلام عليكم) .

وقد امتلأ عقلي وقلبي بحمى الحرب وآمال النصر، وامتلأ معي جو غرفتي بهذه الأحاسيس، وخرجت إلى الشرفة لألقي نظرة على القدس الجديدة، مرتع شبابي، وشباب العرب من قبلي عبر أجيال وقرون، وعللت النفس أن يوم النصر قريب .. وأننا على موعد مع التحرير ... وأن العودة إلى الوطن السليب آتية لا ريب فيها .. وأن مسيرتي إلى عكا، بلدتي الحبيبة، ستكون خاتمة المطاف بعد أربعين عاماً من حياة العناء والكفاح .. وهناك سأستريح .. أقرأ وأكتب، وأستحم في البحر الذي صنع صباي، وأتفيأ ظلال البساتين التي شهدت طفولتي .. وفي الأعياد أقف على قبور الأعزاء من الأهل والأصدقاء، مع دمعة وفاء وعهد لقاء ..

وامتدت يدي، وأنا سابح في أفلاك هذه الأماني العذاب، إلى الراديو وكان ما يزال يعزف الأناشيد العسكرية، وحركته شعرة واحدة وإذا بإذاعة إسرائيل تذيع بيانا عن اجتماع مجلس الوزراء الإسرائيلي .. ولقد ألقيت كل سمعي لأرى ما تقول إسرائيل، وبم تفكر، وماذا أعدت للمعركة .

ولكنني ذهلت لما سمعت .. فكل ما سمعته كان عاديا ... كأنما إسرائيل تعيش أهدأ أيامها .. فقد كان البيان الرسمي بالنص الآتي (استمع مجلس الوزراء في دورته الأسبوعية إلى تقارير عن أوضاع الأمن من رئيس الحكومة

ووزير الدفاع، وإلى استعراض التطورات السياسية من وزير الخارجية، ووافق المجلس على مسودات القوانين الآتية :-

1- إصدار سندات دولة إسرائيل (قرض التطوير الثاني 1967) .

2- ضريبة الدفاع لعام 1967 .

3- قرض الدفاع لعام 1967 .

ووافق المجلس على تعديل أحكام خدمات التوظيف، بعد المهلة التي يعطى فيها المهاجرون والمسرحون من الخدمة أفضلية الحصول على عمل .

وصادق المجلس على المعاهدات التالية :-

1- اتفاق على التعاون التقني والعلمي بين لجنة الطاقة الذرية الإسـرائيلية ولجنة (لميرو) للسيطرة على الطاقة الذرية .
2- اتفاق زراعي بين إسرائيل وبلجيكا .
3- اتفاقية بين إسـرائيل وبريطانيا حول المنتجين القانونيين في المسـائل المدنية والتجارية ..) انتهى البلاغ ..

وأضـافت جريدة (الجرو سـالم بوسـت الإسـرائيلية) إلى هذه الأخبار (العادية)، خبرا آخر غاية في (العادية) قالت فيه إن الجنرال موشـيه ديان وزير الدفاع الإسـرائيلي ينوي أن يجري بعض التغيير في موظفي وزارته حينما يثبته الكنيست في منصبه الجديد بشكل رسمي غدا ..).

وكلمة (غدا) معناها الخامس من (يونيو) حزيران !!

وغصت في لجة من التأمل، وأنا على شرفتي، في حي الشيخ جراح، وأمامي القدس كلها، داخل الأسـوار وخارج الأسـوار، يلفني في تلك العشـية الرهيبة تياران رهيبان .. تيار الخطب العربية النارية، وتيار البيان الإسـرائيلي الرسمي .. الأول ينذر بالحرب، والثاني يشير إلى الهدوء والسكينة ..

ووقع عقلي في (كماشـة) هذين التيارين .. ولكن السـحب كلها فوقنا ومن حولنا كانت تشير إلى أن الحرب واقعة لا محالة .. ولم يعد الأمر سرا من الأسـرار .. كانت الصـحافة العالمية في المشـرق والمغرب تتحدث عن ذلك .. كان المسـؤولون في واشـنطون وموسـكو ولندن وباريس يتحدون عن ذلك .. ولم يبق إلا تحديد ساعة الصفر .. وساعة الصفر هذه هي بيد إسرائيل .. وليست بيدنا .. فلقد أعلنا منذ البداية .. أن البداية لن تكون منا .. وألقينا البداية على عدونا .. وأصـبح على عدونا أن يختار سـاعة البداية .. أن يختار الزمان وأن يختار الميدان ..

ودخلت إلى حجرتي، ورقدت في سـريري وهذه الخواطر ترقد معي .. على فراش من الأمل والرجاء، وتحت غطاء من الخوف والفزع !!

وانتصـف الليل، وأنا صـريع آمالي ومخاوفي، ليولد اليوم المشـئوم، الخامس من يونيو حزيران .. لأسـافر في الصـباح إلى عمان، لأحضـر حفل

توقيع الاتفاق المشترك بين الفريق طاهر يحيي رئيس وزراء العراق، والحسين بن طلال ملك المملكة الأردنية الهاشمية .

وعاد السؤال القديم يؤرقني .. لمن النصر في هذه الحرب ..؟

كان عقلي ينبئني بأننا غير مستعدين للحرب .. وغير مستدعين للنصر ..

كان عقلي معي في آخر اجتماع لمجلس الدفاع المشترك، قبل بضعة أسابيع..واستمعت إلى التقارير العسكرية بأننا بحاجة إلى مزيد من التسليح والتدريب قبل أن نخوض المعركة .

ولكن فؤادي طغى على عقلي، فقد سمعت في هذه العشية رجلا عسكريا وسياسيا هو الرئيس عبد الناصر ينهي خطابه بقوله (وسننتصر بإذن الله .. ستنتصر الأمة العربية ..).

وسمعت كذلك رجلا عسكريا وسياسيا هو الفريق طاهر يحيى رئيس وزراء العراق، يقول في خطابه (وسننتصر وننتصر بإذن الله ..).

ونمت على هذه الأماني والأحلام، كما نامت معي أمة بأسرها، وان ذلك ليلة الخامس من حزيران .. وقد غفلت عن قوله تعالى في كتابه الكريم (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا وهم نائمون) .

صدق الله العظيم

الخامس من حزيران..

بين النصر والهزيمة

استيقظت صبيحة الخامس من حزيران، ووددت لو أني ما استيقظت، لأمضي في السبات الأبدي، فلا أرى ما رأيت، ولا أسمع ما سمعت، عن حرب الأيام الستة، ولا أعيش الأعوام الستة التي تمر اليوم على الكارثة، دون أن أرى النهاية أو بداية النهاية ...

واستيقظت معي آمالي وأحلامي، ومخاوفي وآلامي ... ونهضت من فراشي إلى شرفة غرفتي في فندق الامباسادور، ووقفت أتمطى أمام بيت المقدس، أجيل الطرف في أحيائها القديمة والجديدة، أتنفس نسائمها الحلوة الندية، وأستمتع بشمسها الساطعة، وللقدس شمس لا تطاولها شمس، وسماء لا تدانيها سماء ...

ومن غير ما سبب أعرفه، طال وقوفي في الشرفة ذلك الصباح على غير عادتي .. لعله الإحساس بالكارثة قبل وقوعها، وهو إحساس بعض

الحيوانات والطيور تستشعر الزلازل والبراكين قبل وقوعها فتأخذ بالصراخ والعواء ... وإذا كان الحيوان يملك هذه الحاسة العجيبة، فلم لا يملكها الإنسان ...

ووقفت طويلا أجيل الطرف في مدينة القدس، حياً حياً، شارعا شارعا، ومنزلا منزلا .. تماما كالاستعراض العسكري حين يمر الجنود موكبا موكبا .. ورحت أتذكر ...

هنا حي (ميشوريم) حيث يسكن اليهود القدامى بكل قاذوراتهم وضجيجهم وشجارهم ...

وهنا باب الخليل الذي كنا ننطلق منه إلى القدس الجديدة، بأحيائها المشرقة الزاهرة ...

وهنا (المسكوبية) حيث كنا نترافع أمام المحاكم في عهد الانتداب البريطاني دفاعا عن أبطال شعبنا الميامين، في نضالنا ضد الاستعمار والصهيونية ..

وهنا أحياء (الطالبية والقطمون والبقعة) حيث دورنا الزاهرة التي بناها أهل بيت المقدس، وكان أجمل جمالها حجارتها الوردية ...

وهنا جبل صهيون حيث أنشئت مدرسة صهيون الإنجليزية، وقد نشأت فيها مع أجيال سابقة، وأخرى لاحقة ... لنشهد جميعا الكوارث السابقة واللاحقة ..

وهنا مقبرة باب الساهرة تضم رفات الصحابة الأوائل الذين شهدوا فتح بيت المقدس مع عمر بن الخطاب، وأبي عبيدة الجراح، وخالد بن الوليد وغيرهم من رواد الدعوة الإسلامية وطلائعها المشرقة .

وهنا المسجد الأقصى وقد أذن فيه مؤذن الرسول عليه السلام، بلال الحبشي، بعد أن تسلم عمر بن الخطاب مفاتيح بيت المقدس، وبكى الصحابة المجاهدون، فقد تذكروا الرسول العظيم، فهذا أول آذان يؤذنه بلال بعد وفاة النبي المصطفى وانتقاله إلى الرفيق الأعلى ..

وهنا جبل المكبر حيث كبر المسلمون وهم يستقبلون عمر بن الخطاب الذي وفد من المدينة المنورة ليستلم مفاتيح بيت المقدس .

وهنا جبل الطورى (الثوري) حيث سقط أحد رجال صلاح الدين شهيدا، حين لم يجد فرساً فركب ثوراً، وراح يقاتل ويناضل حتى هوى في ميدان المعركة .

وهنا الروابي التي ما تزال تردد تعاليم السيد المسيح بالدعوة إلى الحق والعدل، والمحبة والسلام .

وهنا المدرسة الصلاحية وسائر المنشآت التي أقامها صلاح الدين الأيوبي بعد فتح القدس، واستخلصها من أيدي الصليبيين، وغمرهم بالسماحة والأمان ..

وهنا وهنا ... من الآثار والأسوار، والمساجد والكنائس والأسواق والفنادق، ما تغوص فيه ذاكرة التاريخ، فضلا عن ذاكرة الإنسان .

وبين كل هذه المشاهد، وقفت أمام المسجد الأقصى، أتأمل جلاله وقدسيته، وأتذوق سناءه وبهاءه، واستذكر تاريخه، ورحت أرسل إليه النظرات عميقة واجدة، مولها مدنفا ..

وداومت النظر إلى بيت المقدس، كلها، أتأملها، أحدق فيها ... تماما كما يفعل الوالد يوم يودع ولده وهو في طريقه إلى ميدان المعركة، يتابع خطواته بنظراته وخفقاته، وهو لا يدري إذا كان سيسقط أسيرا، أم شهيدا، أم يعود منتصرا، ظافرا ...

ونفضت نفسي من هذه الرؤى التي اختلط فيها الخوف بالرجاء، فقد أطلت الوقوف، على غير عادتي، في هذه الشرفة، وعدت إلى غرفتي وأعددت نفسي للسفر إلى عمان، فأنا على موعد مع الفريق طاهر يحيى رئيس وزراء العراق لتوقيع اتفاقية الدفاع المشترك مع الملك حسين ..

وخرجت من الفندق إلى سيارتي .. وكان كل شيء عاديا، فالزائرون في الفندق يروحون ويغدون، ولم يكن أحد يدري ماذا يجري في فجر ذلك اليوم على أرض مصر، فقد كانت الإذاعات العربية في صبيحة ذلك اليوم الأغبر على عادتها : القرآن الكريم، حديث ديني، ونشرة الأخبار .. وكانت الأخبار عادية .

وركبت السـيارة، وأنا أقول للسـائق : إلى عمان – إلى السـفارة العراقية ..

والسـائق يقول : حمى الله العراق .. سـمعنا بالأمس خطاب الرئيس عبد الناصر والفريق طاهر يحيى .. إن شاء الله القوات العراقية تصل قريبا، لتنضم إلى الجيش الأردني في المعركة.

قلت : إن شـاء الله .. وسـكت .. فقد كانت خواطر القدس تشـد عقلي وفؤادي ولسـاني ... وسـارت بنا السـيارة في ذلك الطريق الافعواني منحدرة إلى أغوار نهر الأردن والبحر الميت ... وأحسـسـت أن قلبي يهبط في جوفي فقد عاودتني أفكاري السـوداء، وأحسـسـت كما لم أحس من قبل في (حياتي المقدسـية) أني خلفت المقدس ورائي تحت سـحابة من الكآبة، في مثل شـعور الإنسـان وهو يترك وراءه وحيدته الصـغيرة الوديعة في غابة من الوحوش الكواسر، والأفاعي الأوابد ..

ومضـينا في الطريق .. أنا سـاهم واجم، والسـائق يداعب الراديو فينتقل من محطة إلى محطة، وإذا بإذاعة القاهرة تنطلق منها الأناشـيد العسـكرية ... وإذا بالمذيع يصـيح : ترقبوا أخباراً هامة .. وكان صـمت كصـمت البحر الميت على مقربة منا ..

وانطلق المذيع يعلن : لقد بدأت القوات الإسـرائيلية بالهجوم على مصـر – تصدت القوات المصرية للعدو .. بدأت إسرائيل عدوانها في السـاعة التاسـعة

من صـــــباح اليوم بغارات جوية على القاهرة وجميع أنحاء الجمهورية العربية المتحدة، وتصدت طائراتنا وأسلحتنا المضادة للطائرات ..) ثم راح المذيع يناشد (أخوة الحرب في الأردن وسـورية أن يزحفوا على إسـرائيل ويدمروا الصـهيونية ...) .

وبعد فترة من الأناشـيد الحماسـية اسـتأنف المذيع صـائحا (إن الجيش العربي الموحد يزحف الآن من دمشـــق وبغداد وعمان إلى مكان الالتقاء في تل أبيب ..) ورفع السـائق يديه عن مقود السـيارة، وراح يصـفق بكلتا يديه، ويكاد يخرج من السيارة بجسده وروحه لينضم إلى المعركة .. ويتركني أنا والسيارة في جحيم الأغوار .

أما أنا فقد رفعت يدي إلى رأســـي أســـتر بها دموعي المنســـابة على وجهي، وكانت تلك واحدة من المرات القليلة التي بكيت فيها في حياتي .

وكان بكائي لا لأني خائف من نكبة كبرى تحل بنا، فلم أكن أظن أن هزيمة ساحقة ستنزل بنا، ولكني لم أكن واثقا من نصر مؤكد ... ومن أجل ذلك كان بكائي .

وطلب من الســـائق أن يهدئ روعه المتقد، وكنت في حاجة إلى من يهدئ روعي الكئيب .. ولكن كيف يهدأ روعه وروعي، والمذيع في القاهرة يواصل صيحاته، فترة بعد فترة :-

– أسقطنا 23 طائرة إسرائيلية حتى الآن في الغارات التي شنتها إسرائيل علينا صباح هذا اليوم .

– ارتفع عدد الطائرات الإسـرائيلية التي أسـقطناها حتى الآن إلى 42 طائرة ..

– إن إجمالي الطائرات التي أسـقطت للعدو حتى الآن 44 طائرة إسرائيلية، وسقطت اثنتان من طائراتنا والطياران سليمان .

– تم استجواب أول أسير من طياري العدو، الكابتن مردخاي، وظهر تماما من إفادته أن العدو الإسـرائيلي هو الذي بدأ بالهجوم المسـلح على الجهة المصرية ..

– أسرت قواتنا سبعة طيارين آخرين للعدو في منطقة القتال ..

– ما تزال عملية الإغارة الجوية للعدو على مطاراتنا مسـتمرة وقد أصـبح عدد الطائرات الإسرائيلية التي أسقطناها سبعين طائرة .

– اضطر العدو أن ينسحب من خان يونس بعد قتال عنيف، وبعد أن تصدت له القوات الفلسـطينية والأهالي الفلسـطينيون داخل المدينة، وقد دمرت للعدو أعداد كبيرة من دباباته قبل انسحابه .

ولقد أدركت منذ اللحظة الأولى أن إســرائيل قامت بهجوم جوي مفاجئ على مصــر، تسـتهدف تدمير الجيش المصــري، باعتباره القوة العربية الكبرى التي تخشاها إسرائيل وتحسب لها حسابا جديا ولكن ..

ولكن إلى ذلك الحين، وأنا عليم بظروفنا العربية العســكرية المخلخلة، لم أكن أتوقع هزيمة سـاحقة .. وكل ما كنت أخشـاه أن تنتهي الحرب بخسـائر متعادلة .. ويتأجل أمل التحرير سـنوات أخرى، تضـاف إلى العشـرين سـنة الماضية .

غير أنه ساورني الغضب والخوف، من أن إسرائيل قد كسبت مبادرة المفاجأة، بعد حملة مخططة منفذة من التمويه والغدر والخداع، وليس لنا أن نشكو من ذلك، فمنذ عهد الحجارة إلى عهد الصواريخ، والحرب غدر وخداع .

وفي الطريق إلى عمان، حيث لم أجد قوات عسكرية تتحرك، لا أردنية ولا عراقية ولا ســعودية ولا أية مظاهر عســكرية، رحت أســتذكر الخداع الإسرائيلي، ففي الأسبوعين الماضيين ..

تذكرت أن الجنرال موشى ديان كان أول ما عمله بعد أن تم تعينه وزيرا للدفاع أوعز إلى الصـحف أن تنشـر أخبارا مفادها أن الجيش الإسـرائيلي الذي ينتظر الأوامر، ســيكون ســعيدا إذا عرف أن الحكومة قد قررت أن لا تبدأ الحرب !!

وتذكرت أن موشى ديان نفسه، عقد مؤتمرا صحفياً أول من أمس، أي نعم أول من أمس (3 حزيران)، أعلن فيه أن الموقف لا يزال بأيدي الدبلوماسيين وأن دور العسكريين لم يأت بعد، وأنه يفضل أن ينتظر نتائج العمل السياسي عقب إنهاء مجلس الأمن الدولي !!

وتذكرت أن إسرائيل، مبالغة منها في الخداع والتمويه، قد منحت بالأمس، أي نعم بالأمس 4 حزيران – الأحد – إجازات لعدد من جنودها وضباطها، التقطت لهم صورا في المقاهي والملاهي، والمسارح والنوادي، ووزعتها على الصحف العالمية، حتى أن عددا من المراسلين الأجانب قد اطمأنوا إلى الهدوء والسكينة، فعادوا إلى بلادهم ليقولوا لصحفهم (كل شيء هادئ في الشرق الأوسط ..) ولا داعي للبقاء في تل أبيب !!

عبرت هذه الخواطر في نفسي وأنا لا أدري كيف عبر الوقت سريعا في ذلك اليوم الخاطف، إلى أن وصلنا السفارة العراقية في عمان .. واقتحمت مكتب السفير العراقي لأجده وسط ضجة من الأناشيد العسكرية تبثها الإذاعات العربية .

وقلت : الله بالخير .. ما هي آخر الأخبار – وهل وصل الفريق طاهر يحيى من القاهرة ؟

قال : إن شاء الله خير .. خلاصة الأخبار أن سلاح الجو الإسرائيلي بدأ منذ صباح اليوم بغارات متلاحقة على مطارات الجمهورية العربية المتحدة،

وقد وصـــلتنا برقية بأن الفريق طاهر يحيى لا ينتظر وصـــوله إلى عمان اليوم، فقد قصـفت الطائرات الإسـرائيلية مطار الماظه، وأصـابت طائرته وهو يسـتعد للسـفر، وقد أخبرت الملك حسـين أننا متضـامنون في المعركة، ومسـتدعون لتنفيذ مضـمون اتفاقية الدفاع المشـترك حتى إذا لم يتم التوقيع عليها في عمان ..

قلت : والقوات العراقية، هل وصلت الأردن ؟

قال : إنها تصـــل تباعا في هذا اليوم .. وأنت ســامع الآن الاتصـــال التلفزيوني مع بغداد بشأن الأمور العسكرية المستعجلة .

ولم أكن في حاجة إلى أن (أتســـمع) فقد كان أحد الضـــباط العراقيين يصيح على التلفزيون بصوته الأجش، كما لو كان يصيح في ساحة التدريب، وهو يلح لإرسـال (الإمدادات بأقصـى سـرعة فقد بدأت المعركة، سـامعني .. سامعني) ..

وخرجت من السـفارة العراقية ملهوفا مذهولا، من غير ســلام ولا وداع، وأنا أسمع صوت الضـابط العراقي إلى الشـارع، وهو يكرر طلب الإمدادات .. وأنا أقول في نفسي : ما أتعس الأمة العربية بحكامها .. لماذا لم يستطع الحكام العرب بأن ينشئوا شبكة اتصـال عسكرية بين العواصـم العربية لمثل هذه الأيام العصيبة .. ولكنني رجعت إلى نفسي واستدركت، وتذكرت أن الحكام العرب لم يستطيعوا أن ينشئوا شبكة تلفزيونية جيدة في بلادهم، فإن كل همهم أن ينشئوا

أجهزة جيدة للاســـتماع إلى المخابرات التلفونية بين المواطن والمواطن .. ويا شقاء الأمة العربية بملوكها ورؤسائها !!

وعدت إلى السـيارة لأجد السـائق مشـغولا مع الراديو يدير مفتاحه يمينا ويسارا بحثا عن الأخبار .. وقلت له : نذهب الآن إلى مقر القيادة الأردنية .

وما أن تحركت سيارتنا حتى بدأت الإذاعة الأردنية تذيع السلام الملكي الأردني يتبعه خطاب من الملك حســين من أرض المعركة (كذا)، موجه (إلى الأخوة المواطنين، الأخوة العرب في كـل مكـان، وإلى إخواني في القوات المسلحة العربية وإلى إخواني على الخط الطويل).

وكـان خطـاب الملك حســين على غير العـادة، بعيدا عن العبارات المزركشــة التي يجيدها ديوان الإنشــاء في القصــور الملكية .. وأيقنت أن الذي كتبه هو أحد ضـــباط التوجيه المعنوي في القيادة الأردنية ممن لا يجيدون صناعة البديع والبيان !!

وقد بدأ الملك حسين خطابه بقوله (هذه هي الساعات التي يجب على كل واحد منا أن يؤدي واجبه في ســبيل وصــولنا إلى أهدافنا، كما توقعنا تماما قام العدو صـــباح اليوم بالهجوم والاعتداء على أرضـــنا العربية، على أجوائنا وعلى أرضـــنا، على مطاراتنا، على مدننا، وكنا نتوقع هذا .. لقد وضـــعت القوات المســلحة مجموعها في هذا البلد بأمر عســكري من خيرة قادتنا العرب، الفريق أول عبد المنعم رياض وهو الآن يمارس مهمته ... كلنا جنود في المعركة

.. وتأكدوا بأن قواتنا المسلحة وشعبنا والأمة العربية ستجتاز الامتحان وتصل إلى الهدف ... أرجوكم منتهى ضـــبط النفس والمحافظة على النظام ... وأن تكونوا على استعداد لتنفيذ التعليمات التي تصدر إليكم من الأجهزة المسئولة ... كلنا جنود، ونحن على أبواب المعركة الفاصـلة، وقد بدأت هذه المعركة فعلا، ونرجو أن يكون في نهايتها النصـر الذي نتمناه ونعيش من أجله وعشـنا سـنين طويلة، ونحن مصـممون إما حياة شـريفة أو نموت بشـرف في الدفاع عن كل عربي على قلب عربي .... أشكركم) ...

وكنا كأننا على موعد في التوقيت، فقد وصلنا مبنى القيادة حيث انتهى الملك حسين من خطابه، واجتزت مراكز الحراسة، والأبواب الحديدية، ونزلت الدرج إلى غرفة العمليات العسـكرية، وكانت أول مرة في حياتي أدخل فيها إلى الغرفة المحرمة، حيث يقودون الحرب تحت الأرض بعيدا عن الميدان !!

وكانت الغرفة قاعة واســـعة رحبة، فيها عدة طاولات، على كل منها عدة تلفونات، والجدران مليئة بالخرائط، وأجراس التلفون تقرع على كل طاولة، يتناولها هذا الضــابط وذاك، وهو يروي بصــوته ما يســمع، ثم يســجل الوقائع باللغة الفكرية الموجزة ..

وكان في الغرفة الملك حســـين، والفريق عبد المنعم رياض، واللواء عامر خماش رئيس هيئة الأركان الأردنية، واللواء الشـريف ناصـر (خال الملك حسين)، واللواء عاطف المجالي من كبار الضـباط الأردنيين في القيادة العربية الموحدة، وعدد آخر من الضباط الأردنيين ..

وفي غرفة مجاورة كان الضـباط المصـريون، معاونو الفريق عبد النعم رياض، يتلقون منه التعليمات، ويأتونه بالبرقيات حينا بعد حين ...

كانت غرفة العمليات مشـــحونة بجو الحرب .. وســـلمت على الملك حسين، والفريق عبد المنعم رياض والضباط الآخرين .. ولم يتسع المجال لأي كلام غير الأسئلة العابرة ...

وقلت للفريق رياض : هل من كلمة موجزة عن الموقف العســكري على كل الجبهات العربية، فقد غادرت القدس صباح هذا اليوم، والناس في شؤونهم في الشـوارع كباقي الأيام المعتادة، والقطاع الإسـرائيلي في القدس الجديدة كان هادئاً .. فما الذي جرى ؟؟

قال : ملخص البرقيات التي وردتنا من القاهرة أن الطيران الإســـرائيلي قام بغارات متوالية على مطارات الجمهورية العربية المتحدة، والمعركة محتدمة، وقد أبرق إلي المشير عبد الحكيم عامر صباح يقول أن طيراننا قد أعطب 75% من الطيران الإســـرائيلي، وإن ســـلاحنا الجوي قد دمر عدداً من المطارات الإســـرائيلية، وأن جيشـــنا في طريقه إلى النقب .. وتقديري أن إســـرائيل بهذه المفاجأة تسـتهدف ضـرب السـلاح الجوي المصـري وتفتيت الجيش المصـري بحيث يمكن إخراج مصـــر من المعركة ... ولكنهم لن يســـتطيعوا تحقيق هذا الهدف بحول الله .

قلت : والجبهة السورية، والقوات العراقية ؟؟

قال : الجبهة السورية فيها مناوشات وتبادل إطلاق النار، وتقوم بعض أسراب سلاح الجو السوري بقصف مواقع العدو، ولكن القوات السورية الآلية لم تتدخل بعد بمعركة شـــاملة مع العدو .. وقد طلبت صـــباح اليوم من الطيران السوري إسناد الجبهة الأردنية، غير أن إخواننا في دمشق أجابوا بأنهم فوجئوا بالمعركة، وطلبوا إمهالهم بعض الوقت، واتصـــلت بدمشـــق مرة ثانية فطلب الأخوة مهلة ثانية، وبعد ذلك طلبت منهم أن يرسلوا قوات مدرعة لإسناد قطاع جنين، ولكنهم اعتذروا بأنهم لا يملكون غطاء جويا كافيا .

وتابع الفريق رياض كلامه قائلا :

أما القوات العراقية فقد بدأت تصـــل صـــباح هذا اليوم وهي في طريقها إلى الجبهة الأمامية ... الصعوبة التي نواجهها أن القوات الأردنية تقاتل ببسالة وشـــجاعة ولكن من غير غطاء جوي كاف .. ولعلنا نســـتطيع غدا أو بعد غد اقتحام الطيران المصري والسوري في المعركة .. فالطيران العراقي والأردني غير قادرين على حماية الجبهة الأردنية وحدهما .

قلت : والقوات الســـعودية المرابطة على الحدود الأردنية الســـعودية ألا يمكن استخدامها؟

قال : القوات الســـعودية بعيدة عن ميدان المعركة .. وهي غير مهيأة للقتال فإن أسلحتها خفيفة ومتوسطة .. وفضلا عن ذلك فقد ذكر لي قائد القوات

السعودية أنه لا يستطيع أن يتحرك إلا بأمر من جلالة الملك فيصل، ولا ندري متى يصل هذا الأمر !!

وانصـــرف عبد المنعم رياض والضـــباط إلى الخارطة المعلقة على الجدران، يدرسـون ويتباحثون، والملك حسـين وأنا، نسـتمع ونراقب، كل منا في كرسيه .

وكان اللواء المجالي يجادل زملاءه الضـباط في تفصـيل هذا الرأي أو ذاك، وهو يثبت أصـابعه على مواضـع مختلفة من الخريطة، من جنين شمالا إلى الخليل جنوبا ..

والمجالي يعرف طبيعة الأرض معرفة جيدة، فوق مقدرته العسـكرية .. وكان يحاول أن يستميل الفريق عبد المنعم رياض إلى رأيه في خلافه مع زملائه الضـــباط الأردنيين الآخرين .. وبدا المجالي ذكيا صـــارما، لامعا وهو يقف بقامته الطويلة أمام الخارطة ..

وكان الحوار، بقدر ما تسـرب إلى سـمعي وسـط أجراس التلفون ووقع أقدام الضباط وهم يروحون ويغدون، يدور حول تحريك القوات العسكرية وتبديل مواقعها ... وملت إلى الملك حسين وأنا أسأله : ما هي خلاصـة الموقف .. (يا سيدنا)..

فقال : الموقف الآن غير واضـح تماما .. الأخبار الأولية التي وصـلتنا تفيد بأن إسـرائيل قامت صـباح هذا اليوم بهجوم بري وجوي على مصـر ..وإن

ســـلاح الجو الإســـرائيلي يقوم بغارات متوالية على مطارات الجمهورية العربية المتحدة ... وقد تلقى الفريق رياض برقية من القاهرة تنبئ أن المعركة شـــاملة بين إسـرائيل ومصـر، وأن القوات المصـرية تتصـدى للقوات الإسـرائيلية بثبات وبسالة .

قلت : والموقف بالنسبة إلى الجهة الأردنية ..

قال : المعركة بيننا وبين إسـرائيل بدأت في السـاعة الحادية عشـرة ... وقواتنا مشتبكة مع إسرائيل على الجبهة كلها ..

وانضم إلينا الفريق رياض ومعه اللواء الخماش، واللواء المجالي، واللواء الشريف ناصر، وقال الفريق رياض ..

– لقد اسـتعرضـنا الموقف، وأرى أن تصـدر أمرا إلى لواء المدرعات الأردني الســتين، ليتحرك من مراكزه الحالية في قطاع القدس وينتقل إلى لواء الخليل، ومنه قطاع بئر السبع الذي تحتله القوات الإسـرائيلية، ليلتقي بالألوية المصرية المدرعة الزاحفة من سيناء صوب إسرائيل .. وأن يتجه لواء المدرعات الأردني الأربعون المتمركز في قطـاع جنين إلى القـدس، ليحـل محـل اللواء الســتين .. وأن نطلب من القوات الســورية مرة ثانية أن تتقدم إلى قطاع جنين لتحل بدورها محل اللواء الأردني .

وقال الملك حســين : المهم أن لا يتعرض الجيش إلى خســائر فادحة وهو ينفذ هذه الأوامر .

وسألت بدوري : وما هو موقف العمليات في الوقت الحاضر ؟

فقال اللواء عامر خماش : المعارك دائرة بيننا وبين القوات الإســـرائيلية على طول الجبهة .

وقال الفريق رياض : لقد أصـــــدرنا الأوامر باحتلال جبل المكبر (ســـكوبس) فهذا مركز اســـتراتيجي هام، دفاعا وهجوما .. دفاعا عن القدس القديمة، وهجوما على القوات الإسرائيلية في القدس الجديدة ..

وما هي إلا لحظة حتى دق جرس التلفون، وصاح الشريف ناصر وهو يمسك يد التلفون ليردد النبأ من القيادة الأمامية : (احتلت قواتنا جبل المكبر بعد معركة حامية بالســـلاح الأبيض وقد دمرنا دبابات العدو، وتكبد العدو خســـائر فادحة).

وانصرف الفريق رياض إلى الخارطة هو والضـــبـــاط الأردنيون، وساد القاعة جو من الفرح والحماسة، وكدنا نكبر، كما كبر المسلمون الأوائل على هذا الجبل الأشم، قبل ثلاثة عشر قرنا من الزمان ..

وأصـــدر الفريق رياض باســـم القيادة العربية المشـــتركة بلاغا ... (إن القوات العربية المشـــتركة قد اســـتولت على جبل المكبر، وإن العدو قد فر من جنوبي القدس بعد أن تكبد خسائر فادحة في الأرواح والسلاح ..).

ثم بدأت البرقيات تتوالى على غرفة العمليات من المراكز الأمامية ..

– القتال يدور على كل الجبهات، نحن نكبد العدو خسائر فادحة رغم تفوقه العددي .

– بدأ الإسرائيليون يقصفون من كنيسة نوتردام، ومدفعيتنا تقصف تجمعات العدو ومعسكراته .

– نيران هائلة شبت في منطقة المستعمرات الخمس نتيجة لضرب مدفعيتنا .

– قواتنا الأرضية أسقطت طائرة للعدو في منطقة الخليل .

– مدفعيتنا أسقطت طائرة إسرائيلية من نوع ميراج فوق المفرق، وطائرة أخرى فوق غور الصافي .. وطائرة أخرى فوق منطقة السموع .

كانت هذه الأخبار الهاتفية يتلقاها ضباط القيادة ويرددونها بأصواتهم العالية، ونحن نسمعها نبأ بعد نبأ، والفرحة تغمرنا فالمعركة تسير على نحو يدعو إلى الاطمئنان، وأن نصر الله قريب ..

وفتح أحد الضباط الراديو على الإذاعة الأردنية، فإذا بالمذيع الأردني يعلن بأعلى صوته (إن مجموع ما حطمه جنودنا البواسل خمسون طائرة مقاتلة ..).

وقلت للملك حسين .. الزيادة في الخسائر العدو، والنقصان في خسائرنا، هما من ضروريات الحرب .. هذا لا شك فيه .. ولكن لو تفضلتم

جلالتكم بإصدار الأمر بعدم المبالغة في الزيادة والنقصان، ما أظن أن المواطن العربي تجوز عليه هذه المبالغات ..

فقال : هذه ملاحظة مفيدة يا أخ أحمد .. ليتك تنصح إذاعة القاهرة كذلك .. إن أحمد سعيد قد أسقط في إذاعة صوت العرب ما يقل عن مائتي طائرة إسرائيلية حتى الآن ..

قلت : إن سكان مصر ثلاثون مليونا . والمبالغات تضيع بين الإسكندرية وأسوان، والقاهرة وسيناء .. أما الرقعة الأردنية الصغيرة فسرعان ما تنكشف فيها المبالغات !!

ودخل علينا في هذه البرهة السيد وصفي التل رئيس الديوان الملكي، وهو بملابسه العسكرية، والغليون في فمه، وفي وجهه أمارات الشماتة والحقد .

وما أن طاف على الضباط مسلما حتى كان هدير الطائرات الإسرائيلية يمزق سماء عمان، وبدأ القصف كأنه على موقع القيادة الأردنية، وعلى غرفة العمليات بالذات، ثم بدأت تتوالى الأسراب الإسرائيلية تقصف وتدمر، والمدفعية الأردنية تبادلها النار ..

وتوقف القصف وهدأت أجواء عمان، ودق جرس التلفون وأمسك به الشريف ناصر، وراح يردد (قصف العدو مطار عمان، ودمر كل طائراتنا على أرض المطار واستشهد مازن العجلوني وهو يحاول الطلوع بطائرته)..

ودق جرس التلفون مرة ثانية وأمسك به اللواء عامر خماش وردد (قصف العدو مطار المفرق ودمر منشآت المطار وعددا من طائراتنا ..).

وضرب السيد وصفي التل يدا على يد وهو يقول : لقد فقدنا جميع طائراتنا – سلاحنا الجوي الذي بناه سيدنا كل عمره قد ضاع في دقائق ..

والتفت إلي السيد وصفي التل، كما لو أني تقمصت جمال عبد الناصر جسدا وروحا، وقال بصوت مملوء بالشماتة والسخرية (وأين سلاح الجو المصري، وأين الميج 17و70..

ثم التفت إلى الفريق عبد المنعم رياض وقال (كان الاتفاق أن تقوموا بغارات جوية على إسرائيل في أول ساعات القتال .. أين صواريخكم الظافر والناصر والقاهر !!).

وراح التل يرغي ويزبد، وهو يشير بغليونه على الخارطة المثبتة في الجدار .. وسكت الفريق رياض وأنا معه فإن المجال لا يتسع للحوار مع حاقد شامت في غرفة العمليات العسكرية، والمعركة محتدمة على طول الجبهة العربية ..

والتفت إلى الملك حسين، لأدير الحديث إلى وجهة أخرى .. وقلت (وكم عدد الطائرات الأردنية ؟).

قال : كل ما نملكه اثنتان وثلاثون طائرة هوكر هنتر .. ويمكننا اعتبارها مدمرة بعد هذه الإغارة الإسرائيلية .

قلت : الذي أعلمه أن الولايات المتحدة كانت ستسلمكم 36 طائرة مقاتلة من طراز ستار فايتر (ف – 104) فماذا تم في هذا الموضوع ؟؟

قال : كان المفروض أن نستلم هذه الصفقة في الشهر الماضي – ولكن حين تأزم الموقف في الشرق الأوسط لم يسلموا الطائرات ...

قلت : (وفي عز الأزمة) كانت أمريكا تواصل إمداد إسرائيل بطائرات الفانتوم رغما عن تفوقها الجوي ؟؟!!

وانبرى السيد وصفي التل يدافع عن موقف الولايات المتحدة وهو يقول: (الحقيقة أن أمريكا كانت سترسل إلينا هذه الطائرات في الأسبوع الماضي، ولكن حين تم توقيع اتفاقية الدفاع المشترك بين عمان والقاهرة توقفت أمريكا عن التسليم، وهذه معلوماتي من السفارة الأمريكية ..و.. و..!!

وفيما كان السيد وصفي التل يواصل حديثه، وإذا ببرقية لاسلكية من الضباط الأردنيين في سلاح الجو الملكي الأردني يناشدون فيها الملك حسين أن يسمح لهم (بالانضمام إلى سلاح الجو العراقي لاستمرار المشاركة في المعركة المقدسة ضد العدو) ...

وصمت الملك حسين قليلا ..وقال الفريق عبد المنعم رياض (إذا وافق جلالة الملك نصدر إليهم أمرا) بالالتحاق بالقوات العراقية في (H3) حيث تسلم إليهم الطائرات العراقية هوكر هنتر وأنتم مدربون عليها).

فأومأ الملك حسين بالموافقة، وصدرت الأوامر على هذه الصورة .. ووجدتها فرصتي الذهبية، فالتفت إلى السيد وصفي التل وقلت (أرأيت .. هذه هي روح الأمة العربية متمثلة في أبطالنا نسور الجو الأردنيين، فقدوا طائراتهم في الأردن . ولكنهم سيقاتلون اليوم بطائرات عراقية، ومن قواعد عراقية ..) وهذا ما جرى فعلا طيلة أيام المعركة، فقد انضم النسور الأردنيون إلى النسور العراقيين .. ما أعظم الشعب وما أحط الحكام ...

وأقبل علينا أحد الضباط المصريين مهرولا من الغرفة المجاورة، وسلم الفريق عبد المنعم رياض ورقة .. فاقترب منا الفريق رياض وسلمها إلى الملك حسين، فإذا بها برقية من القاهرة تقول (اطمئنوا سنقوم بغارات شاملة على إسرائيل هذه الليلة، المعركة مستمرة، نسأل الله النصر .. التوقيع : القيادة العليا للقوات المسلحة).

ولمعت فرحة كبرى في القاعة، وتبادل الضباط النظرات الحلوة بعضهم إلى بعض، ونظرت إلى ساعتي أجمع وأطرح لأعرف كم بقي على مغيب الشمس، فإن جيلنا لم يعد يعرف موعد الغروب، على الساعة الإفرنجية، إلا أيام رمضان ...

واستمرت غرفة العمليات تتلقى أنباء العمليات من جميع الجهات، وأنا لا ألقي بالا إليها، فإن الجهة الأردنية على أهميتها الاستراتيجية لا تحسم المعركة، فالجيش المصري هو القوة الضاربة الكبرى في الأمة العربية، فإن انتصر انتصرنا، وإن انكسر انكسرنا ..

وكان كل بالي منصرفا إلى عقارب الساعة في يدي، أنظر إليها حينا بعد حين .. لأحسب موعد غروب الشمس، فذلك عندي موعد شروق النصر.

وطال حسابي، وطال انتظاري، ولم يكن قد مضى على برقية القاهرة أكثر من نصف ساعة، حسبتها مائة ساعة، وفقدت صبري واشتد غيظي على الشمس ... لم تسر بطيئة في كبد السماء .. وخطر لي أن ساعتي لا تعمل بانتظام فرحت أسأل الضباط عن ساعتهم، وأيقنت أن الخلل ليس في ساعتي ولكنه في نفسي !!

وامتد النهار طويلا طويلا في ذلك اليوم، بما لم أر مثله في حياتي، ونحن نتابع أنباء المعركة، وأنا أشغل نفسي بخيالي .. أتخيل الأسراب المصرية هذه الليلة وهي تدق إسرائيل دقا (وتدكها دكا دكا) .. كما قال الله في كتابه الكريم ..

وهم الملك حسين بالانصراف، ومعه السيد وصفي التل، فودع وانصرف ... وانسحب الفريق رياض إلى الغرفة المجاورة ليضطجع بعض

الوقت .. وانصـرفت بدوري إلى فندق الأردن، لا لأنام وأسـتريح، ولكن لأحيي هذه الليلة كلها في انتظار الغارات الشاملة على إسرائيل .

وقد ســررت وأنا في طريقي إلى الفندق، أن الشــمس قد غابت أخيرا، وصعدت إلى غرفتي فوجدت نوافذ الفندق مفتوحة على مصاريعها، فقد صدرت التعليمات أن (تفتح النوافذ وقاية من الغارات الجوية .. وكانت هي الوقاية الوحيدة في البلد، فلم يكن فيها ملاجئ تقي الشعب من الغارات، ولم يكن فيها أكياس رمل، ولا خنادق ولا دفاع مدني .. وكذلك كان حال العواصـــم العربية الأخرى، وما أشقى الأمة بملوكها ورؤسائها .

وخلعت ثيابي وتمددت على الســـرير، وطلبت من موظفي منظمة التحرير أن يزودوني بأربعة أجهزة راديو .. لأسمع أربع إذاعات في وقت واحد : القاهرة – عمان – دمشق وإسرائيل .

وهكذا كان، فقد أثبت أجهزة الراديو الأربعة على الإذاعات الأربعة حتى لا يفوتني خبر .. ولو دخل علي أحد في تلك الليلة .. لحســـبني واحداً من المجانين ... ومثل هذه الأعراض لم تكن تنتابني وحدي، فقد كانت الأمة بأسرها محمومة مجنونة !!

وســـمعت أول ما ســـمعت، إذاعة معادة لخطاب الدكتور نور الدين الاتاســـي يقول فيها، (لقد وقعت ســـاعة النصـــر على أعداء العروبة .. إن الصـــهاينة الغزاة قد حفروا قبورهم بأيديهم عندما أغاروا صـــبيحة هذا اليوم على

الأرض العربية في الجمهورية العربية المتحدة .. لقد قررنا أن تكون معركتنا هذه معركة تحرير نهائي للأرض المغتصبة من الاستعمار والصهيونية، ولن تقف في وجه إرادة الشعب العربي المكافح أية قوة دولية في العالم .. لقد وضع الجيش العربي السوري كل قواه الضاربة في لهيب المعركة، وإن نسورنا البواسل يدمرون منشآت العدو ومدنه وهم في طريقهم لتحرير الأرض المغتصبة .. فإلى الأمام أيها الجيش العربي السوري والشعب كله في المعركة .. فلقد دقت ساعة النصر)..

وواصلت الإذاعة السورية تلخيص البلاغات العسكرية التي صدرت طيلة النهار خمسة وعشرين بلاغا، وجميعها، ومن غير استثناء، تتحدث عن غارات جوية متقابلة بين سلاح الجو السوري وسلاح الجو الإسرائيلي، وكان آخر بلاغ عسكري يقول : (بلغ عدد الطائرات التي أسقطها سلاح الطيران السوري للعدو أربعاً وخمسين طائرة) .

ثم نقل المذيع السوري مقابلة مع الطيار الإسرائيلي الذي أسقطت طائرته على الأراضي السورية، الملازم ابراهام زيلاك، فذكر أن الأوامر الصادرة إلى سلاح الجو الإسرائيلي تستهدف ضرب مطارات الجمهورية العربية المتحدة في القاهرة وبني سويف والماظة، وكذلك ضرب مطارات دمشق والضمير في سوريا .

واستشعرت منذ اللحظة الأولى وأنا أستمع إلى تلخيص الموقف العسكري من الإذاعة السورية، أن النشاط العسكري السوري قاصر على التحرك

الجوي، وأن قوات الجيش الســوري لم تلتحم بعد في المعركة مع العدو ... ولم أسـمح لنفسـي بسـوء الظن، فهذه أيام الملحمة الكبرى ولا يتخلف أي عربي .. وقدرت أنها قد تكون خطة عسكرية، وليس لعقلي أن يتجول في مجال لا أعرفه .

وراحت الإذاعة الأردنية تعيد البلاغات العسكرية التي أصـدرها الناطق العسكري الأردني وكلها عن الاشـتباكات الأرضـية والجوية بين القوات الأردنية والقوات الإســرائيلية .. وقد أفزعني آخر بلاغ أردني (الســاعة 11.00 ليلا) وهو يعلن (أن العدو قام بهجوم واســع النطاق على المناطق الشــمالية لمدينة القدس وحاول يائسـا احتلال مناطق الشـيخ جراح والطور وشـعفاط .. وأن قواتنا اشــتبكت مع قوات العدو وفي المناطق الواقعة جنوب القدس وما زالت المعارك مستمرة في شمال القدس وجنوبها ..).

لقد فزعت حقا .. فإذا كان العدو قد أصـبح يقاتل في حي الشـيخ جراح .... (وهو من أحياء القدس) .. وإن المعارك محتدمة في جنوب القدس، فمعنى ذلك أن إســرائيل في طريقها إلى القدس من الشــمال والجنوب، ومعنى ذلك سقوط القدس غدا أو بعد غد ..

خرجت إلى شـرفة الغرفة، وأنا أرفع بصـري إلى السـماء، فقد عادت إلي مخاوفي على القدس .. ولم يبق أمامي إلا الله ومصــر .. فعندهما الأمل

والرجاء والنصر، ذلك أن الدول العربية في المشرق العربي دويلات لا تستطيع التصدي لإسرائيل .. ورحت أسأل : أفي هذه الليلة ينطلق سلاح الجو المصري على إسرائيل .. لقد غربت الشمس ودخل الليل، هل الأسراب الجوية المصرية تغير على إسرائيل في هذه اللحظة .. هل أصبحت تل أبيب حجارة وركاما .. هل أصبحت دخانا ورمادا .. ؟؟

وهربت من خيالي وسؤالي إلى غرفتي، وإلى الراديو لاستمتع إلى آخر أخبار الإذاعة في القاهرة .

وكانت القاهرة تذيع أخبار بغداد بأن الطائرات العراقية ضربت مواقع العدو ومنشآته داخل إسرائيل، وأن القوات البرية تقدمت للزحف على تل أبيب، وأن بغداد شهدت تحركات عسكرية ضخمة، وأن حركة المواصلات تعطلت في بعض الشوارع لمرور القوات العسكرية، وأن اتصالا هاتفيا جرى بين الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس عارف من جهة، واتصالا آخر بين الرئيس عارف والدكتور نور الدين الاتاسي، من جهة أخرى ..

وكنت أحاول أن أبحث عن بلاغات مصرية تثلج صدري .... عن غارات جوية على إسرائيل، ولكن آخر بلاغ أصدرته القيادة المصرية كان في الساعة الثانية عشرة ليلا جاء فيه (أن قواتنا المدرعة خاضت معارك عنيفة مع العدو وتوغلت على أثرها في داخل الأراضي المحتلة من فلسطين وذلك بعد أن تمكنت قواتنا من القضاء على هجوم العدو في منطقة الكونتيلا (سيناء) قام به مستخدما لواء كاملا من المشاة ومجموعة كاملة من الدبابات .. وقد تمكنت

قواتنا من القضاء على هجوم العدو وتسلمت زمام المبادرة وتوغلت في الأراضي التي يحتلها العدو من فلسطين .. وأن مطارات العريش والقنال والقاهرة تعرضت لهجوم جوي قامت به طائرات العدو، وتم إسقاط 11 طائرة للعدو، وبهذا أصبح عدد الطائرات التي أسقطناها للعدو ستاً وثمانين طائرة).

ثم أردف راديو القاهرة وأذاع بيانا أعلن فيه (أن مدمرة مصرية ضربت قلب تل أبيب مساء اليوم).

ولم أجد في هذه البلاغات ما يشفي غليلي، فقد كنت أبحث عن غارات جوية مصرية شاملة تلك الليلة، وقلت في نفسي : لعل الضرورات العسكرية تفرض على القيادة العربية الكتمان .. لا بد أن مصر بدأت تقصف إسرائيل هذه الليلة .. فقد كان هذا هو الوعد .. وهذا ما وعدت به برقية القاهرة التي وصلت إلينا في غرفة العمليات قبل ساعات .

وجاء دور الإذاعة الإسرائيلية، فلأستمع إليها، بالإنجليزية والعربية على السواء، فقد كنت متعطشاً إلى خبر سار أنام عليه ... ولو على لسان العدو ..

كان تلخيص الموقف العسكري على لسان إسرائيل من الصباح إلى منتصف الليل في غاية الاقتضاب، فقد بدأ بالقول (إن القوات المصرية المدرعة تحركت فجر اليوم باتجاه النقب، وإن شاشات الرادار قد أظهرت اقتراب

عدد كبير من الطائرات المصرية النفاثة من الشواطئ الإسرائيلية ومن مناطق النقب .. وإن مصر بدأت تشن هجوما جويا وبريا .. وإن قتالا جويا وبريا عنيفا يدور بيننا وبين القوات المصدرية ..) كان ذلك على الجهة المصرية .

وفي مثل براءة الحمل، تحدثت الإذاعة الإسرائيلية عن الجهة الأردنية فقالت : (إن الجيش الأردني بدأ بقصف المستعمرات الإسرائيلية في المنطقة الوسطى .. وإن طائرات عربية هاجمت مستعمرة ناتانيا، وإن القتال انتشر في جميع قطاعات الجبهة الأردنية الإسرائيلية، وإن طائرات هوكر هنتر الأردنية قد أخذت تقصف المواقع الإسرائيلية، وإن طائرتين سوريتين قد أسقطتا قرب قرية مجدو ...) إلى هنا فقد كانت أخبار الإذاعة الإسرائيلية محتملة غير مخيفة ولا مفزعة ..

ولكني بعد ذلك وجمت وذهلت فقد أعلنت الإذاعة الإسرائيلية عند منتصف الليل (أن القوات الإسرائيلية استولت على مدينة جنين وعلى قرية النبي صموئيل قرب القدس ..).

وصاح الذعر في نفسي : هل سقطت جنين، هل سقطت قرية النبي صموئيل ... إذن أصبحت القدس تواجه خطر السقوط ...

ومع أن القدس أحب مدائن الأرض على نفسي فقد تصاعد وجومي وذهولي حين سمعت الإذاعة الإسرائيلية تقول (استولت قواتنا على مدينة

العريش التي تقع على بعد سبعين كيلومترا داخل الأراضي المصرية في سيناء)، هكذا بكل بساطة، وبلا مقدمات وبلا ضجيج ولا عجيج !!

وكان خبر (العريش) أشد إيلاما في نفسي من خبر (القدس) ... فالجبهة الأردنية أمرها معروف عندي .. أنها لا تتحمل الصمود طويلا .. ولكن سقوط العريش معناه اختراق الجبهة المصرية إلى عمق بعيد .. معناه .. معناه ..

وراحت تدور المعاني المظلمة في نفسي .. غير أني ربطت جأشي، وتذكرت أحداث الحرب العالمية الثانية كيف كانت سجالا .. كيف وصل هتلر إلى أبواب موسكو ثم انكسر واندحر .. وهكذا وضعت حجرا على مخاوفي .

واستسلمت إلى النوم ساعة أو بعض الساعة فقد عشت هذه الليلة في ظلامين .. ظلام مخاوفي .. وظلام الغرفة المعتمة، خوفا من الغارات الإسرائيلية .

ولم أدر كيف قضى الملوك والرؤساء هذه الليلة، أفي نور أم في ظلام .. ودعوت الله أن لا يصدق فيهم قوله تعالى ..

(ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون)

صدق الله العظيم

الملوك والرؤساء ليتهم سقطوا..

صحوت على أجهزت الراديو الأربعة في غرفتي وهي تنشد وتلعلع، فقد نسيت ليلة أمس أن أقفلها ساعة نومي، وهكذا بدأت نهاري بما انتهى إليه ليلي .. وكانت الإذاعات الأربع، القاهرة ودمشـــق وعمان وإســـرائيل، تذيع أخبار الحرب وأناشيد الحرب .

وكان أول ما اســترعى ســمعي قبل انتباهي، الســلام الملكي الأردني، فكان ذلك ايذانا بأن الملك حســين ســيخطب .. وهكذا كان، فبعد برهة وجيزة، راح الملك حسـين يخاطب الضـباط والجنود في الجبهة وهو يقول (إن اعتزازي بكم كان أبدا الشـــعار الذي أؤمن به فقد أثبتم دائما أنكم أبطال المعارك تلقون الموت بوجوهكم على ارض النار والفداء، في ســـبيل الشـــرف، في ســـبيل الكرامة، في سبيل العروبة، في سبيل فلسطين، وإنها اليوم لمعركتنا معركتكم التي تطلعنا إليها .. وكلي ثقة بعزيمتكم، بجرأتكم، بإخلاصـكم وتفانيكم .. إن الموت أشـرف من تمكين العدو من تدنيس أرضـنا الطهور وحاشـا لله أن يسـمح بذلك أحفاد خالد وصــلاح الدين .... أما أنت أيها الشـعب البطل ... فليكن كل واحد منكم ظهيرا لأبطاله في المعركة، ولنســـتمت كلنا في الدفاع عن حقنا، عن أرض العروبة، عن أرض البطولات، وليســطع عملنا الباهر نورا للأجيال العربية عبر التاريخ).

وإلى هنا فقد كانت كلمة الملك حسين جيدة بإيجازها وخلوها من صناعة الإنشـــاء، وهذا أقل ما تتطلبه ظروف المعركة ... ولكني تقززت قرفا والمذيع الأردني يقول (تلك هي كلمة صــاحب الجلالة التي وجهها من الجبهة الأمامية !!)

(الجبهة الأمامية) ومتى كان الملك حسين في الجبهة الأمامية ... لقد قضينا النهار بالأمس معا في غرفة العمليات في عمان .. وانصرف إلى القصر الملكي في أول الليل، فهل قدر على الأمة العربية أن تشهد المسرحيات حتى في أيام الحرب ... ويا ويلنا من الهزل في الملمات ..

وتركت الإذاعة الأردنية جانبا، فلم أكن أكترث بالملك حسين في ذلك اليوم، وبالذات في ذلك اليوم .

لقد كان اهتمامي، كل اهتمامي، بأخبار مصر .. أريد أن أعرف ماذا جرى بالغارات المصرية الموعودة، وماذا جرى لإسرائيل في هذه الليلة الموعودة، وأنا أبتهل في أعماق فؤادي : يا رب ... نصرك الذي وعدتنا ...

وملت إلى إذاعة القاهرة وأنا أستمع إليها بجناني قبل آذاني .. فأطرقت ... وأحسست أني أهبط في مقعدي، وأن مقعدي هبط بي ..ولم يكن في الإذاعة ذلك الخبر الذي سهرت الليلة بكاملها وأنا أبحث عنه، وها قد أقبل الصباح دون أن أسمع الخبر..ويا لهفي على ذلك الخبر !!

ولكني سمعت شيئا آخر ... تسللت من ثناياه بعض المخاوف إلى نفسي ... سمعت بيانا من القيادة العليا للقوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة، يقول : (إنه ثبت لديها الآن بطريقة كاملة أن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا مشتركتان في العدوان الإسرائيلي العسكري بالنسبة للأعمال الجوية .. ولقد تأكد تماما أن بعض حاملات الطائرات الأمريكية والبريطانية

تقوم بنشاط واسع في مساعدة إسرائيل .... وبالنسبة للجبهة المصرية فإن الطائرات الأمريكية والبريطانية قامت بعمل مظلة جوية فوق إسرائيل، وأما فيما يتعلق بالجبهة الأردنية فإن هذه الطائرات تقوم بدور فعلي في العمليات ضد القوات الأردنية، وذلك ما أثبتته شبكات الرادار الأردنية التي أظهرت بوضوح هذا النشاط الجوي المعاون لإسرائيل، وقد اتصل الملك حسين ملك الأردن صباح اليوم الباكر بالرئيس جمال عبد الناصر وأبلغه أنه الآن واثق من أن الطائرات الأمريكية والبريطانية تقوم بدور خطير في المعركة، وكان هذا يطابق المعلومات المتوافرة من الجبهة المصرية، ولقد اتفق الملك والرئيس على هذا التطور الخطير لا بد من إعلانه إلى الأمة العربية كلها، ولا بد من أن يترتب عليه ما يقتضيه من المواقف ..).

وأسرعت إلى ثيابي ألبسها، فلم تعد غرفتي تتسع لي ... فلأذهب إلى غرفة العمليات ألتمس الخبر اليقين، فأخبار الصباح لا تحمل البشرى، وهي أدعى إلى الخوف من الرجاء، وهذا بيان القيادة العليا للقوات المصرية يشير إلى تدخل الولايات المتحدة وبريطانيا في المعركة ... ومعنى هذا أن المعركة تسير اليوم في غير صالحنا....

ولكني عدت وربطت جأشي .. وقلت إن الحرب سجال ... إنها كر وفر .. لا تزال الحرب في بدايتها ... وسنرى موقف الاتحاد السوفيتي .. لا بد أن يتخذ الاتحاد السوفيتي موقفا صارما وحاسما، فهو لا يمكن أن يرى الأمة العربية تنهزم وهو على مقربة منا ..

خرجت من الفندق، وهذه الهواجس تملك عليّ مشـــاعري، واجتازت ســيارتي شــوارع عمان لأرى الجماهير تطوف في مظاهرة كبرى، والشـــباب يحملون اللافتات، ويصـــيحون بالشـــعارات، وكانت تهتف مطالبة بالســـلاح، وتنادي بالزحف إلى الضفة الغربية لمشاركة الجيش الأردني في المعركة ..

وأيقنت أن هذه المســيرة لن تجد من يســتجيب لها، فقد ســارت مثلها مظاهرات وانعقدت اجتماعات قبل سنين، تطالب بالتسليح والتدريب، ولكن من غير جدوى، وكانت آخرها قبل ثلاثة أيام، وأنا في أحد اجتماعاتنا في مدينة القدس حين طلب المحافظ السيد أنور الخطيب من الشريف ناصر عشرة آلاف بندقية لتسلم إلى المقاومة الشعبية، فأجابه الشريف ناصر : أرجوك أن لا تتكلم في هذه الأمور نحن رتبنا كل شــيء .. نحن لدينا خمس فرق لحماية القدس ... وهذه هي الخطة التي أمر بها سيدنا) !!

وقلت للسائق أن يبتعد عن المظاهرة، حتى لا يراني الجمهور، وأصبح في وســط المظاهرة، وتتوتر الأمور بيني وبين الملك حســين ..فســأظل عند عهدي بأن أتجنب كل ما يثير مخاوفه من قريب أو بعيد .. وكان كل همي مع الملك حسين أن تنتهي تلك الأيام على مثل قول الشاعر ..

على أنني راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا علي ولا ليا

ووصلنا سيرنا إلى القيادة الأردنية إلى غرفة العمليات، ووجدت الملك حسين وقد سبقني ببضعة خطوات، ونزلنا الدرج إلى القاعة الرحبة إياها تحت الأرض، وبادر الفريق عبد المنعم رياض ورفاقه الضباط الأردنيون بالتحية، ولكنها تحية غير مرحة ولا مريحة ..

جلسنا نرتشف القهوة العربية يسقيها أحد الجنود وهو يناولنا الفناجين ثم يستردها بحذاقة ورشاقة، وقال الملك حسين : الموقف غير حسن ... أليس كذلك ؟

فقال الشريف ناصر : والله يا سيدنا، الطيران الإسرائيلي أهلكنا هذه الليلة ... كان الليل كالنهار والطائرات الإسرائيلية تضرب مواقعنا بالصواريخ والنابالم – دباباتنا تذوب تحت القصف الإسرائيلي ...

وقال الفريق عبد المنعم رياض : المعركة محتدمة على طول الجبهة .. هناك شكوى في جميع القطاعات من قلة الوقود والمؤن .. الدبابات في قطاع جنين أصبحت بلا وقود .. وأنا أعتبر أن قطاع جنين أصبح في حكم الساقط بيد القوات الإسرائيلية .. أظن أنه سقط فعلا، فلم تتلق أية أخبار من قيادة القطاع منذ بضع ساعات ...

وسألت وما هو الموقف بالنسبة إلى القدس ؟

فتدخل اللواء عامر خماش وقال : القتال يدور حول القدس من الشمال والجنوب .. وقواتنا مشتبكة في معركة ضارية .. والطيران الإسرائيلي يضرب مواقعنا بلا هوادة ...

وقلت لفريق رياض : وهل من جديد في الجبهة المصرية ؟

وطلب الفريق رياض أن ننتقل إلى الغرفة المجاورة، بعيدا عن التلفونات وأجراسها، وجلبة الضباط ووقع أقدامهم .. فانتقلنا، الملك حسين وأنا، ومعنا الفريق رياض واللواء عامر خماش ..

وقال الفريق رياض : الموقف في الجبهة المصرية صعب للغاية .. الطيران الإسرائيلي ألحق بمطاراتنا خسائر فادحة، قواتنا صامدة وتقاتل ببسالة، ولكن الطيران البريطاني والأمريكي يقوم بمساندة فعالة لإسرائيل ..

وتدخل الملك حسين وقال : لقد استدعيت صباح اليوم السفيرين الأمريكي والبريطاني واستوضحت منهما عن الموقف، فأكدا لي أن حكومتيهما لا تعلمان شيئا عن المعركة قبل وقوعها، وأن قواتهما لم تشتركا إطلاقا في المعركة لا مباشرة ولا بصورة غير مباشرة، وأن واشنطن ولندن تعملان على وقف الأعمال العسكرية وعودة الهدوء إلى المنطقة ..

فقال الفريق رياض : بصدد هذا الموضوع أرى أن يصدر بلاغ باسم الحكومة الأردنية لتأييد البيان الذي أصدرته القيادة العليا للقوات المصرية المسلحة صباح اليوم حول تدخل الطيران الأمريكي والبريطاني في المعركة..

فتجهم الملك حسين وقال : السفير الأمريكي قام صباح هذا اليوم بتسليم رسـالة خطية إلى رئيس وزارتنا السـيد سـعد جمعة تؤكد عدم تدخل الولايات المتحدة !!

فقال الفريق رياض : إذا سـمح جلالة الملك، نحن نصـدر بلاغا من جانبنا باسم القيادة المشتركة .

فسكت الملك حسين :لم يقل لا ..ولم يقل نعم ..

واسـتدعى الفريق رياض أحد معاونيه من الضـباط وطلب إليه أن يعد بيانا حول الموضـوع ..وصـدر البلاغ بعد المقدمات يعلن (أن أعلى المصـادر في القيادة العربية المشـتركة تؤمن أن وراء العدو قوى أجنبية تسـانده فعليا بإمكانات تفوق كل ما هو معروف من قدرات العدو وطاقاته، وخصوصا، وقد ثبت بما لا يدع مجالا للشـك أن هناك ثلاث حاملات للطائرات تقف إلى جانب السـاحل، وتخرج منها الطائرات لتقصـف قواتنا، وبهذا يتضـح أن هناك مؤامرة سـافرة على مصـير الأمة العربية بأكملها ... ونعلن على العالم أجمع أننا لا نحارب العدو الإسـرائيلي وحده، ولكن تسـنده فعلا، وبقواتها العسـكرية، القوى الغربية الاسـتعمارية، وتشـترك إلى جانبه في المعركة، وعلى دول المجتمع العالمي أن تحدد مكانها من الموضـوع، وعلى ضـوء موقعها يتحدد العدو من الصـديق للأمة العربية وإلى الأبد) وأرسـل البيان للإذاعة .. ولكن الإذاعة الأردنية قد ألقته في سلة المهملات . وهذا جانب من جوانب الملك حسين !!

ثم بدأ الفريق رياض يشرح الموقف العسكري بتفاصيله، ورسم صورة قاتمة للحالة في الضفة الغربية، وكيف أن القوات الأردنية تتراجع أمام القوات الإسرائيلية التي تفوقها عددا وعدة، وخاصة أن السلاح الجوي الأردني قد دمر بالأمس، وأصبح الطيران الإسرائيلي يطارد الدبابات والمصفحات الأردنية ... إلى آخر الصورة القاتمة .

وتناول الملك حسين من جانبه شرح الموقف، وقال إن جميع التقارير التي وصلته ليلا وصباح اليوم تفيد أن القوات الأردنية لم يعد باستطاعتها الصمود طويلا أمام القوات الإسرائيلية، وأن الدفاع عن الضفة الغربية أصبح مستحيلا ما لم تسترد القوات المصرية زمام المبادرة ..

وأطرق الفريق رياض قليلا، وقال وهو يتمالك أعصابه : إذا كانت القوات المصرية تستطيع أن تثبت أقدامها في سيناء فذلك فضل من الله .. لمعلوماتكم الخاصة ... لقد حلت بالطيران المصري خسائر فادحة بالأمس، وأصبحت قواتنا تقاتل في سيناء من غير غطاء جوي بصورة فعالة، والطيران الإسرائيلي يكاد أن يكون مسيطرا على الجو ... ولا يمكننا في الظروف الحاضرة أن تتوقع مساندة من مصر إلا إذا تغير ميزان القوى بتدخل الاتحاد السوفيتي، وإن كان هذا في ظني يحتاج إلى وقت .. ولم يبق لنا في الجبهة الأردنية إلا الاعتماد على أنفسنا .

قلت : أليس هذا هو الوقت الملائم لتدخل القوات الســورية من الجولان وتشن حربا شاملة، وبهذا يخف الضغط عن الجبهة المصرية والجبهة الأردنية معا ؟؟

فقال الفريق رياض : هذه بديهية عسكرية، لم يعد ينقذ الموقف إلا أن يقوم الجيش السوري بحملة شاملة .. وكان الأمل أن تبدأ سوريا بالالتحام منذ الصباح الباكر أمس .. ثم إننا طلبنا منهم ثلاث مرات أن يسندوا قطاع جنين فلم يفعلوا حتى الآن ..

قلت : وما هو السبب – قد تكون عندهم وجهة نظر عسكرية .. وماذا قالوا ؟؟

قال : كل ما قالوا أنهم فوجئوا بالحرب، وأن قواتهم غير مستعدة للمعركة، وأنهم محتاجون لأسبوع واحد على الأقل ليكملوا استعدادهم .

وهنا ارتفع صوت الفريق رياض وقال بنبرة غاضبة (ونحن فوجئنا بالمعركة ومع هذا فنحن نقاتل .. وعلى سوريا أن تقاتل، وها نحن في الأردن نقاتل .. الجيش السوري يستطيع أن ينقذ الموقف، أنا راجل عسكري بتكلمش سياسة، الرئيس عبد الناصر قام بالحركة كلها من أجل إخواننا السوريين، وإسرائيل كانت تهدد بالزحف على دمشق .. وكان علينا أن نوقف إسرائيل عند حدها .. الجيش السوري عظيم جدا ..ولكن البعث أصبح غير مفهوم عندي..

وكان الفريق رياض في حديثه عن البعثيين في سوريا كمن يحك الجرب للملك حسـين – كما يقول المقل العادي – فصـرفت الحديث إلى موضـوع آخر، يهمني أكثر من البعثيين وسائر حكام العرب أجمعين ..

وسألت : وما هو الموقف بالنسبة إلى القدس ؟.

قال الفريق رياض : القدس والضـفة الغربية في حال واحد يسـقطان معا وينجوان معا..

والتفت إلى الملك حسين وقلت : ألا يمكن إنقاذ القدس ؟

قال : كيف ..؟

قلت : يظهر من التقارير العسـكرية أن القدس مطوقة وقد أصـبحت في خطر، وأنا لا أريد أن أعود إلى الماضـي، لقد طلبت إلى جلالتكم قبل أيام أن تتمركز قوات جيش التحرير الفلسـطيني في داخل بيت المقدس حيث تقاتل قتال الشـوارع وإلى آخر رجل .. والآن، وإن كان الأمر قد أصـبح متأخرا .. لعلنا نستطيع أن ننقذ القدس، في خلال بضع ساعات نستطيع أن نوجه قوات جيش التحرير الفلسطيني من درعا إلى القدس ..

فقال الملك حسين : القدس مطوقة ولم يعد ممكنا أن ندخل عليها جنودا أو سلاحا ..

قلت : (برفق ولطف) سـيدنا .. فلنحاول أن تقوم قوات التحرير مع الجيش الأردني بتطويق التطويق الإسرائيلي .. ما رأي الأخ الفريق رياض ؟

فقال الفريق رياض : ممكن .. ولكن الوقت أصـبح متأخرا .. وأظن إن القدس أن لم تسقط الليلة فهي ساقطة غدا على أكثر تقدير .

نهضت واقفا، ومن غير وعي، وقلت (الله أكبر كيف تسقط القدس .. يا أخي .. يا أخي .. اتصل بعبد الناصر حتى يناشد الجيش السوري أن يبادر لإنقاذ الموقف .. أنا أعلم أن الجيش السوري، ومعه الشعب السوري، مستعد أن يفنى عن آخره من أجل الدفاع عن القدس .. القدس أغلى عليه من دمشق .

ووضـع الملك حسـين يده على كتف الفريق رياض وأخذه إلى غرفة أخرى، وبقينا وحدنا اللواء خماش وأنا، في غرفتنا، في صـمت كصـمت أهل الكهف .

وبعد برهة، عاد الملك حسـين والفريق رياض ... وبدأ الملك حسـين يتحدث بلهجة صـارمة كأنه يصـدر أمرا عسـكريا وقال : نحن أمام خطر داهم يتطلب منا أن نتحمل مسـؤولياتنا ... الموقف العسـكري سـيئ للغاية، ولم يعد بالاسـتطاعة الدفاع عن الضـفة الغربية والقدس ... وإذا اسـتمرت الحرب فنحن نعرض الجيش للإبادة، وأرى أن نسحب الجيش إلى الضفة الشرقية..

قلت : بدلا من الانسحاب إلى الضفة الشرقية، أرجو أن تقوموا بتجميع الجيش حول القدس وداخل القدس، وإذا أمكن الصـمود بضـعة أيام، لعل

مجلس الأمن يوقف القتال ونحن في القدس، وإن إســـرائيل لا تحارب داخل القدس لأن ذلك يؤدي إلى الدمار الشـــامل .. ولا أظن إســـرائيل تغامر بتدمير المدينة بكاملها .. إنها تريد الاستيلاء عليها سالمة بقدر الإمكان ..

قال الملك حسين : سأتحمل المسئولية وحدي إنها مسئوليتي وحدي .

قلت : اللهم إني لا أملك إلا نفسـي .. اصـنعوا ما شـئتم، ومن أراد أن يتحمل المسئولية أمام التاريخ فليفعل .

وبادرت بالنهوض من مقعدي لأخرج من الغرفة ..

فقال الفريق رياض : أظن أن الاقتراح الذي اتفقنا عليه مع جلالة الملك يحل الإشـكال ... إنها محاولة أخيرة ... فلنعرض الأمر على الرئيس جمال عبد الناصـر لعل عنده رأيا ... ترسـل برقية الآن وفي المسـاء نتلقى الجواب، ولكل حادث حديث ..

وكتب الفريق رياض برقية قال فيها (الموقف في ســـبيله إلى التدهور السريع في الضفة الغربية .. هجوم مركز على مختلف المحاور مع قصف جوي عنيف ليل نـهار ... القوات الجوية الأردنية والســـورية والعراقية في (هـــــ 3) والقاذفات عمليا دمرت ..بعد التشـاور مع الملك حســين طلب مني إبلاغكم أن هناك حلا من ثلاثة ...

1- قرار سـياسـي نافذ بإيقاف القتال اليوم، يفرض من جهة خارجية من أميركا أو روسيا أو مجلس الأمن .

2- إخلاء الضفة الغربية الليلة ..

3- البقاء ليوم واحد زيادة يؤدي لقطع الجيش الأردني بالكامل وتدميره ..

طلب مني الملك حسين عرض الموضوع عليكم للرد بما ترون وعاجلا .)

قرأ الفريق رياض البرقية بصوت خافت، وأومأ الملك حسين بالموافقة، وناولها الفريق رياض إلى أحد معاونيه وهو يقول : عاجل جدا ..

واستدرك الفريق رياض وقال : الرئيس عبد الناصر غارق الآن إلى أذنيه في المواعيد .. أخشى أن تصله البرقية متأخرة .. أرى أن أرسل برقية ممثالة إلى المشير عبد الحكيم عامر، وبهذا نضمن سرعة الجواب .. وكان كذلك ..

وهكذا تأجلت أزمة الانسحاب ولو إلى حين .. ولكن القوات الأردنية كان يمزقها الانسحاب أكثر مما تمزقها آلة الحرب الإسرائيلية !! آلة الحرب الإسرائيلية !!

وعدنا إلى القاعة الرحبة حيث التلفونات تنقل أســوأ الأخبار عن ســير المعارك ... وبدأت التقارير تصل تباعا ..

– العدو يقوم بهجوم مركز على المناطق الشــمالية من القدس، منذ مســاء أمس مســتخدما الدبابات والآليات المصــفحة والمدفعية الثقيلة والطائرات المقاتلة والقاذفة .. القوات الإسرائيلية قصفت طول الليل وبدون انقطاع ..

– يجري قتال شري بيننا وبين العدو في جميع المناطق، وقد بدأ القتال في الشوارع وبالسلاح الأبيض، وتواجه قواتنا ما يعادل أربعة أضعاف قواتنا ..

– يجري اشــتباك قوي بيننا وبين العدو في منطقة الثوري بالقدس، ونحن صــامدون رغم تفوق العدو الهائل، وخســائرنا الفادحة .. العدو يلقي بكل ثقله في المعركة .

– المعارك ضــارية في مناطق جنين وطوباس وقلقيلية ورام الله والقدس وبيت لحم والخليل وقد اســتخدم العدو قوات ضــخمة من الدبابات والمدفعية والناقلات المصــفحة، كما اســتخدم العدو طيلة ليل أمس ونهار اليوم الطائرات المقاتلة والقاذفة لقصف مراكز قواتنا، كما أغار على منشآتنا العسكرية وبعض القرى والمدن الأردنية بدون تمييز مستعملا قنابل النابالم المحرقة والصواريخ .. الموقف على العموم يسير في صالح العدو ولكن قواتنا تقاتل ببسالة، وجنودنا مصممون على الصمود والثبات حتى الموت .

وبلاغات أخرى، واللاحق أسوأ من السابق ..

وأصبح جو القاعة مشحونا بالكآبة، فانسحب الملك حسين إلى الغرفة المجاورة ودعا إليه القادة الأردنيين : الخماش، المجالي، الشريف ناصر ... وبقينا وحدنا، الفريق رياض وأنا ... الفريق رياض يمشي ذهابا وإيابا في القاعة .. وأنا قاعد في مقعدي فلم أكن أستطيع شيئا سوى القعود ... فالموقف يبدو رهيبا خطيرا .

وعاد إلينا الملك حسين وقال (لقد رأينا أن تعزز برقية الفريق عبد المنعم ببرقية مني شخصيا إلى الرئيس عبد الناصر، ومثلها إلى المشير عبد الحكيم عامر وأخذ يتلو البرقية :

إلى سيادة الأخ الرئيس عبد الناصر

أخي، الوضع متدهور للغاية، القدس في وضع سيئ للغاية، نحن نفقد دباباتنا بمعدل دبابة واحدة كل عشر دقائق، بالإضافة إلى خسائرنا الجسيمة في الأرواح والمعدات في كافة الأماكن .. إن العدو يركز على القوات العربية في بلدكم هذا بكل قواه، ونحن في الحقيقة نعتز بوقفتنا فيه، أردنية وعراقية، تروى هذه الأرض الطاهرة بالدم الزكي ونخوض فيها معركة فيها من الاستماتة والشجاعة والعزم والتصميم ما سوف ترويه الأجيال على مر السنين، على أننا في صمودنا هذا، يا أخي، نرى هدف العدو الرئيسي هذا البلد ضفته الغربية، بعد إبادة هذه القوات وبعد تدميرها، وهذا يتحقق مع الأسف بنتيجة وجودنا دون دعم جوي ...ودون مساندتنا فعليا من قيمتنا عسكريا . علمت أن الفريق عبد المنعم رياض قد أبرق لسيادتكم بهذا الموقف الآن فأرجو سرعة

تقدير الوضع على ضوء ما ذكرناه ... وبالمناسبة اتصل بنا سفير الولايات المتحدة يحمل تأكيدا قاطعا بأنهم لم يكونوا على علم مسبق بنوايا العدو، وأنهم لا يملكون حاملات في المنطقة، وإن طائرة واحدة أمريكية لم تشترك في المعركة ولن تشترك، فوجدت أن يصلكم هذا مع دقائق الموقف كاملة لأرى رأيكم .. أرجو سرعة الإجابة فورا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم – الحسين

وقلت للملك حسين : لعل جلالتكم تحذفون ما دار بينكم وبين السفير الأمريكي، وأن تقتصر البرقية على تقدير الموقف لعسكري .

قال : سنظل محتاجين للأمريكان .

قلت : أنا لا أكره أن يعدل الأمريكان موقفهم في أي وقت . ولكنه أمل إبليس في الجنة !! وأرسلت البرقية كما هي غير معدلة ... وأرسل مثلها إلى الرئيس العراقي عبد الرحمن عارف .

وخرج الملك حسين، فقد اتصل به السيد سعد جمعة رئيس الوزراء الأردني في مكالمة هاتفية، وغادر القاعة بعدها فورا، ولم يعد إلينا إلا في المساء .

وبقيت في القاعة طيلة النهار، وتناولنا غداء (عسكريا) أشبه بالغداء الذي تناولته مع الشريف ناصر يوم الأربعاء الفائت في الفندق مع الجنود قريبا

من بيت لحم – وما أبعد الفارق بين ما كان وما هو كائن ... كنا في قمة آمالنا، ونحن الآن على حافة الهاوية، ولسنا ندري نهاية المعركة .

وعند المساء وصلت برقية من المشير عبد الحكيم عامر جوابا على برقية عبد المنعم رياض تقول (أخبروا جلالة الملك حسين أن المساعي مبذولة لوقف القتال، ولكن لا مانع من انسحاب الجيش النظامي بعد بذل آخر مجهود، مع المبادرة لتوزيع السلاح على الأهالي للقيام بمقاومة شعبية).

ودخل علينا الملك حسين ولم تمض إلا بضعة دقائق على وصول برقية المشير عامر، فقرأها ثم عاد إلى قراءتها ثانية ..

وأرسل الملك حسين إلى المشير عامر البرقية التالية (إشارة إلى برقيتكم الجوابية على برقية الفريق عبد المنعم رياض والتي تنص على موافقتكم على سحب الجيش النظامي وعمل كل جهدكم لوقف القتال أرجو أن أبين أن وضعية القوات هنا كما يلي : هي تحت القصف المستمر المركز ونحاول إبقاءها على أرض المعركة إلى أطول فترة ممكنة .. بأمل وقف القتال، وهي على الأرض، وبطبيعة الحال سنحاول الاستماتة في الصمود ولن نتراجع إلا إذا كان بقاء القوات الباقية عرضة للتدمير التام . الأسلحة أساسا موزعة على الأهالي).

وناولني الملك حسين البرقية لأقرأها ...ووقفت عند عبارة (الأسلحة أساسا موزعة على الأهالي) وقلت للملك حسين، بالأمس كانت المسيرات الشعبية في شوارع عمان تطالب بالسلاح لنجدة الضفة الغربية وأردت أن

استرسل في هذا الموضوع، ولكني كظمت نفسي، فليس هذا وقت الحساب، وتركت للتاريخ أن يحاسب .. إذا لم يقع التاريخ تحت وطأة الزور والبهتان!!

وفي ثنايا البلاغات التي كانت تنهمر على القاعة جاء جواب الرئيس عبد الناصر، بالنص الآتي :

(الأخ جلالة الملك حسين – تلقيت برقيتك وإنني لأقدر أننا نواجه لحظة من تلك اللحظات التي تمر بها الأمة في تاريخها والتي تتطلب شجاعة فوق شجاعة البشر .. ونحن نواجه على جبهتنا موقفا متدهورا نتيجة للضربة الجوية القاصمة التي جرت أمس والتي وضعت قواتنا في مواجهة قوات متفوقة عليها في كل الجهات بدون غطاء جوي.. إن العدوان قد فرض علينا، وكان علينا مجابهته بكل ما فيه من قسوة وما فيه من غدر وتواطؤ .. إن القرار الذي أراه هو أن تختار ثاني الحلول التي تفاهمنا عليها مع الفريق عبد المنعم رياض، وهي إخلاء الضفة الغربية الليلة، على أن نضع في اعتبارنا رأيكم الأول الخاص بتدخل مجلس الأمن بإيقاف القتال .. إن تاريخ الأمم في الأخذ والعطاء، وفي التقدم والتراجع ..فليكن اختبارنا في هذه اللحظة، وإن يكن اختبارا عصيبا علينا، خطوة نستطيع أن نتقدم منها، وهذه إرادة الله .. لعل في إرادته خيرا لنا .. إننا نؤمن بالله ولا يمكن أن يتخلى الله عنا .. ولعل الأيام القادمة تأتينا بنصر من عنده ... اللهم أعنا ولتكن إرادته رائدة لنا ..).

صعقت وأنا اقرأ برقية الرئيس عبد الناصر ، فقد تجسدت أمامي الهزيمة وعلى لســان الرئيس عبد الناصــر ، وفي اليوم الثاني من المعركة . ولمعت في ذهني أسئلة صارخة ..

- ابهذه السرعة الخاطفة حلت بنا الهزيمة .

- هل أصبحنا نطالب بوقف القتال في اليوم الثاني من القتال ؟ .

- هل نخلي الضـــفة الغربية لتتســلمها إســرائيل ومعها بيت المقدس، قدس أقداس الإسلام بعد مكة والمدينة ؟ .

-هل تحطم الجيش المصـــري، أمل الأمة العربية، بدباباته ومدرعاته وطائراته .. هل تحطم في يوم واحد، بعد خمســـة عشـــر عاما من التدريب والتسلح .

- ما الذي جرى .. أهي صـاعقة ماحقة من السـماء، أم زلزلة سـاحقة من جوف الأرض .

وتساءلت وتساءلت .. ثم جمدت أحاسيسي وتلبدت جوارحي، فقد كانت الصدمة فوق إحساسي وجوارحي .

وكذبت سـمعي وتناولت برقية الرئيس عبد الناصـر بيدي لأقراها بعيني ... فقرأت تماما كما سمعت، يا لهول ما سمعت وما قرأت ..

وقلت للفريق عبد المنعم رياض، وأنا أبحث عن شـــعاع من الأمل : وهل وصـلتك برقية من الرئيس عبد الناصـر جوابا على برقيتك، فتثاقل الفريق رياض وأخرج من جيبه ورقة فإذا بها برقية من الرئيس عبد الناصـر موجهة إلى الفريق عبد المنعم رياض يقول فيها : (على جلالة الملك حسين الضـغط على بريطانيا وأمريكا حتى تنفذ إسرائيل وقف إطلاق النار، وهذا هو السبيل الوحيد، ولا داعي لأن يقطع الأردن علاقته مع بريطانيا وأمريكا).

ويظهر أن الفريق رياض كان يحتفظ بهذه البرقية إلى أن يأتي جواب مباشر من الرئيس عبد الناصر إلى الملك حسين .. وهذا هو البروتوكول حتى في الميدان !!

وقلت للملك حسين : نحن منقطعون عن أخبار العالم في هذه الغرفة .. يظهر أن هنالك مســاعي دولية بشــأن وقف إطلاق النار فيما هي معلومات جلالتكم ..

قال الملك حسين : لقد أصدر مجلس الأمن قرارا يدعو جميع الأطراف إلى وقف إطلاق النار وقد أبلغنا مندوبنا في الأمم المتحدة أننا نوافق على القرار، ولكن إسرائيل لم تلتزم بالقرار بعد ..

وكان وجوم .. وكان ذهول .. وكان صـــمت .. فأي لســان يدور وقد أصـــبحنا نتمنى على مجلس الأمن أن يصـــدر أمرا بوقف القتال وأصـــبحت إسرائيل هي التي تواصل القتال ..

وذهب الفريق رياض لينام، فهذه هي ليلته الثالثة من غير نوم .. وانصــــرفنا نحن كل منا في ســـبيله، الملك إلى قصـــره، وأنا إلى بيتي ..إلى غرفتي في الفندق .. فمنذ ســنين طويلة وأنا نزيل الفندق، وحين أكون في بيتي فإنها ضيافة لبضعة أيام !!

ولم أكد أصــل الفندق حتى صــاحت صـفارات الغارات وناحت وأخذني موظفو الفندق إلى القاعة الســفلى حيث وجدت نزلاء الفندق محشــورين فيها ... جالسين واقفين أو مقرفصين .. وكان الأطفال يسرحون ويمرحون، وهم وحدهم لم يكونوا عابئين ولا مبالين ..

وكان بين نزلاء الفندق عدد من الصــــحفيين الأجانب من الأمريكان والإنجليز وقد أحاطوا بي يسألون ويتساءلون، كأننا أصبحنا في مؤتمر صحفي .. ولكني تجنبت الإجابة عن أي شــيء فقد كانت نفســي منقبضــة، وكان كل جهدي أن أبدو رابط الجأش متجلدا .

وعلى حين أني كتمت عاطفتي فإنهم لم يكتموا عاطفتهم، فقد بدا على وجوههم أنهم يعرفون قدرا كافيا مما يدور على جميع الجبهات .

وكان أنصار العرب، وهم القلة، في وضع قلق، يسألون برفق وحذر : أصحيح أن القوات المصرية تعاني موقفا صعبا في سيناء .. أصحيح أنه لا يوجد قتال على الجبهة الســـورية، وأن الأمر لا يتعدى مناوشـــات جوية بين الطرفين .. أصحيح .. أصحيح ؟؟

أما أنصـــار إســرائيل منهم، وهم الكثرة، فلم يكونوا يخفون شــماتتهم ووقاحتهم .. وبدأوا يوجهون الأسـئلة بسـخرية : هل تظن أن الاتحاد السـوفيتي سيدخل في المعركة .. وهل يسافر عبد الناصر إلى موسكو ليبحث الموقف مع قادة الســوفييت .. تقول الأخبار إن القدس مطوقة، فلماذا لا يعلن المســلمون الجهاد المقدس ؟؟!!

ولم أكن أجيب الأنصـــار والخصـــوم أجوبة مباشـــرة، حتى أعلنت الصـــفارات نائحة أن الغارة قد انتهت، وبهذا انتهت غارة الصـــحفيين عني وصـعدت إلى غرفتي، وصـعدت معي مخاوفي وهمومي، وألقيت بنفســي على السرير، وداهمني النوم بثيابي وحذائي ..

ولست أدري كم ساعة نمت .. فلقد فقدت تلك الليلة الإحساس بالزمان، ولكني استيقظت على جرس التلفون يدق بصورة متواصلة وحسبت أني حالم في غرفة العمليات وأجراسها .. ولكن التلفون ظل يقرع ويقرع، فأمسكت بالسماعة، وإذا بأحد رجال منظمة التحرير يكلمني من قاعة الفندق ليقول :

– أنا متأســف لإزعاجك في هذه الســاعة المتأخرة، لقد وصــلت من القدس، لدي أخبار هامة أريد أن أنقلها إليك ..

قلت :تفضل أنا بانتظارك بالغرفة ..

ولم أكن في حاجة أن أخلع وألبس، فأنا ما زلت في ملابســـي، ودخل عليّ السيد عبد الكريم العلمي، وهو يحمل على كتفيه وجها مكفهرا، كأنه كان مطمورا تحت الردم لبضعة أيام .

جلس يلهث وهو يقول :لا أدي كيف أبدأ ...؟

قلت : تكلم كما تشاء .

قال : أنا موفد من قبل الإخوان في القدس .. لقد خرجت بأعجوبة .. المعركة رهيبة .. الطيران الإســـرائيلي أحرق الأخضـــر واليابس، والقوات الإسرائيلية اخترقت الخطوط الأردنية في كل القطاعات، الأهالي فروا من القرى الأمامية، المصفحات الإسرائيلية تطارد اللاجئين وتسوقهم كقطعان الماشية .. القوات الأردنية تقاتل بشجاعة، ولكن نفذت مؤنهم وذخائرهم ... كبار الضباط يقولون أنهم سيصفون حسابهم مع الملك حسين بد انتهاء المعركة ...

قلت : والقدس ؟

قال : القدس ليلها نهار، قنابل الضـــوء مســـلطة على القدس من كل جانب، والطيران الإســـرائيلي يضـــرب المواقع الأردنية حول القدس، القوات الإســـرائيلية احتلت جبل المكبر وجبل الزيتون .. ليس في المدينة القديمة أكثر من ثمان وثلاثين بندقية .. طالبنا بســـلاح .. من غير جدوى .. الأهالي لم يناموا في الليلة الماضية، كانت الطائرات الإسرائيلية تحوم حول القدس، ظننا بادئ الأمر أنها طائرات عراقية فهاج الشـــعب وماج وأخذنا بالتهليل والتكبير ..

واكتشفنا فيها بعد أنها طائرات إسرائيلية .. والناس الآن في هم وغم، لقد وصل إلى علمهم أن الجيش الأردني يعتزم الانسحاب من القدس، وقد اجتمع رجال المقاومة وأوفدوني لأبلغكم مطاليبهم ...(وتناول ورقة من جيبه وراح يقرأ):

أولا : إلغاء أوامر الانسحاب، والاحتفاظ بأكبر قوة ممكنة من الجيش الأردني في داخل القدس، فإن أهالي المدينة مصممون على حرب الشوارع.

ثانيا : مطالبة الدول العربية، وخاصة مصر، بأن يشن السلاح الجوي العربي هجمات على الأهداف الحيوية في إسرائيل لتخفيف الضغط عن القدس ومناطق الضفة الغربية .

ثالثا : مطالبة الاتحاد السوفيتي بتحديد موقفه، فإنه لا يكفي تأييد بالبيانات ... إذا انكسرنا في هذه المعركة، فالناس يعتبرون الاتحاد السوفيتي شريكا في التواطؤ على الأمة العربية .

رابعاً : مناشدة الرئيس عبد الناصر أن يوجه انذارا إلى الاتحاد السوفيتي بأنه إذا تخلى عن الأمة العربية في هذه المعركة فستكون نهاية الصداقة بيننا وبين الروس .

أخذت الورقة من السيد العلمي بمطالبها الأربعة، ولم أدر ماذا أقول، وبماذا أجيب، وكلما حاولت أن أتكلم أحسست أن حجرا يملأ فمي فلا أقدر على الكلام .. لقد كانت مطالب أهل القدس سديدة ورشيدة ولكن ..

ولكن أهل القدس لم يكونوا يعلمون شـــيئا عن البرقيات المتبادلة بين الملك حسين والرئيس عبد الناصر .. إنهم لم يكونوا يعلمون إلا ما تبثه إذاعات القاهرة ودمشق وعمان من أن المعركة مستمرة، وأن العدو تكبد خسائر فادحة بالمعدات والرجال .

وقلت للسيد العلمي : سأعمل كل جهدي لإيصال مطالبكم إلى الجهات العربية ونسأل الله العون والنصر .. إلى آخر الابتهالات والدعوات .

وغادر السيد العلمي عمان إلى القدس، ليسقط شهيدا بين القدس ورام الله بعد يومين، وينضم إلى قوافل الأبرار، رحمه الله ورحمهم الله ..

وبقيت في الغرفة وحدي، وطلع الفجر، ليكون فجر الشـــؤم في ذلك اليوم ... ولم أدر ماذا أصنع ... فخرجت إلى الشرفة التمس الهواء والرجاء .. وحملت معي جهاز الراديو لأعرف أين وصلنا ..

كانت إذاعة القاهرة تنشر أخبار المعركة، وكأنها تمهد للمواطن العربي الهزيمة المتوقعة، فقد جاء في بلاغ عسكري (أن التدخل الجوي الواســع من جانب الولايات المتحدة وبريطانيا لصـــالح العدو الإســـرائيلي قد أحدث تطورات هامة في سير المعركة . ويضع العدو قوات جوية ضخمة في المعركة .. وإن الذين يقفون وراءه يواصلون إمداده بما يعوض خسائره ..) وفي بلاغ آخر أعلن الراديو أن (الدعم الجوي العســكري الأمريكي والبريطاني للعدو قد دخل مرحلة جديدة، فقد قامت قاذفتان من طراز كامبيرا البريطانية بالاشـــتراك في عمليات

الضــرب الجوي فوق مواقعنا في سـيناء ..) وفي بلاغ آخر أعلن الراديو قوله (ثبت لدى السـلطات العسـكرية المختصــة أن هناك اثنين وثلاثين طائرة أمريكية قامت اليوم من قاعدة هويلي الأمريكية في ليبيا قاصدة إسرائيل ..).

أما إذاعة دمشـق فلم يكن في بلاغها ما يشـير إلى التحام عسـكري بين القوات الســـورية والإســـرائيلية، باســـتثناء تبادل إطلاق النار على الخطوط الأمامية، وبعض غارات قام بها السلاح الجوي السوري على إسرائيل ..

وانتقلت إلى إذاعة إسـرائيل فإذا بها تنقل تصـريحا على لســان الجنرال أســحق رابين رئيس أركان الجيش الإسـرائيلي يقول فيه إن (القوات الإسـرائيلية تتجه نحو أبو عجيله بعد أن اســـتولت على العريش، وإنها احتلت خان يونس في قطاع غزة).

وجاء بعده تصـريح للجنرال مردخاي هود قائد سـلاح الجو الإسـرائيلي قال فيه : (إن الطائرات الإسرائيلية قد حطمت 374 طائرة عربية أخرى).

ولقد هالني هذا الخبر الأخير، وكدت اعتبره من باب المبالغات التي تلجأ إليها البلاغات العســـكرية في زمن الحرب، ولكنني تذكرت برقية الرئيس عبد الناصــــر إلى الملك حســـين وازددت فهما لموضــــوعها .. وازددت فهما للابتهالات الإلهية التي وردت في ختام كلام الرئيس عبد الناصر ..

وأحســـســـت بهول الفاجعة على قلب الرئيس عبد الناصــر، وبالأمس كانت تتطلع إليه الأمة العربية بأكبر آمالها وأقدس أهدافها ...

أحســســت بهول الفاجعة على قلب الرئيس عبد الناصــر وعلى الأمة العربية، وعلى نفسي، وأنا أقل المسئولين العرب شأنا، وأنا استمع إلى الإذاعة الإســرائيلية وهي تذيع ســقوط خان يونس وغزة، وأن اللواء عبد المنعم حســني قائد قطاع غزة قد وقع وثيقة استسـلام في حفل رسـمي قال فيها (إنني اسـتسلم للقوات الإسرائيلية من غير قيد ولا شرط) . ثم تبع ذلك بلاغ عسكري يقول إن (إسرائيل قد أصبحت سيدة الجو في الشرق الأوسط وإن القوة الجوية المصرية قد أبيدت).

وخطر لي أن أنجو من وحدتي في غرفتي .. أريد أن اجتمع بالناس وأعرف أخبارهم .. لقد ســئمت من غرفة العمليات والاســتماع إلى التلفونات، والحوار مع الملك حسـين، فنزلت إلى الصــالة الكبرى في الفندق، وكتان فيها عدد كبير متن أعيان الضــفة الغربية من الذين حجزتهم الحرب في عمان، وقد أخذوا يتوافدون على الفندق ليتبادلوا الأخبار .

وجلست معهم وحبست كآبتي في نفسي، ورسمت على وجهي ما أمكن من سـمات الطمأنينة، ولم يكن في أحاديثهم ما ينبئ عن القلق والفزع، كل ما يعرفونه أن المعارك محتدمة في الضــفة الغربية، وأن القتال شـديد في سـيناء، وأن الجبهات العربية صامدة ..

ودخل علينا بعض مخاتير الضـــفة الغربية فقالوا : الموقف خطير .. ألوف اللاجئين قد بدأوا يصلون إلى الأغوار، وهم في حالة يرثى لها، الطيران الإسرائيلي يطاردهم بالرشاشات والصواريخ ..

وراح المخاتير يشرحون بعض ما وصل إليهم من أنباء عن المعارك في الضفة الغربية .. وأن القوات الأردنية تكاد تلتقي بالقوات المصرية للانقضاض على إسرائيل !!

وتلقيت مكالمة تلفونية من الفريق رياض من غرفة العمليات يطلب مني أن أوافيه، فكانت إنقاذا لي .. فقد جئت الصالة لأهرب من الأخبار، ولكني وجدتني فريسة الأخبار، كمن فر من الموت، وفي الموت وقع!!

وغادرت الصالة إلى سيارتي.. فإذا بالشوارع مكتظة بالجماهير في مسيرات شعبية وكلها تطالب بالتسليح والتدريب.. طافوا على دواوين الحكومة وهم صائحون هاتفون – نريد السلاح نريد الالتحاق بالمعركة – نريد حماية القدس – نريد مساندة الجيش الأردني..

وأمام دار الحكومة، وقف أحد الموظفين يخاطب الجماهير بأعلى صوته وهو يقول : أحييكم باسم جلالة الملك، وأحيي حماستكم، أرجو المحافظة على الهدوء والنظام، لقد أمر جلالة الملك بفتح معسكرات التدريب وتسليمكم السلاح لتشتركوا بالمعركة...

وتركت الجماهير تطوف في الشوارع . وهي لا تدري أن زمن التسليح والتدريب قد فات. وأن المعركة تقترب من النهاية.

وصلت القيادة، ووجدت الملك حسين والفريق رياض والقادة الأردنيين مجتمعين حول الطاولة الرئيسية في غرفة العمليات وهم مكبون على القراءة.

ومن غير تحية ولا كلام جلســـت معهم، وأنا في لهفة لأرى ما يقرأون، لعل السماء قد انفرجت عن بريق من الرجاء.

وكانت بيد الفريق رياض برقية إلى الملك حســـين من الرئيس عبد الناصـــر، وقال الفريق رياض : نقرأ مرة ثانية حتى يســـمع الأخ أحمد .. وراح يقرأ..

(أرجو أن أطلعكم على تطورات المعركـة على الجبهـة المصـــريـة الإسـرائيلية ...بدأ العدوان بصـورة مفاجئة وغير متوقعة، واسـتهدف منذ اللحظة الأولى قواتنا الجوية، وكان هجوم العدو على كافة مطاراتنا دفعة واحدة وبعدد من الطائرات المهاجمة تفوق كل تقديراتنا عن قوة إســرائيل الجوية، وقد تأكدت القيادة العليا للقوات المســلحة بما لا يقبل الشــك من تواطؤ أمريكا وإنجلترا مع إســرائيل، وخاصـــة أنه داوم بطلعات متصـــلة ومتعددة، وكانت النتيجة ان أصـيبت مطاراتنا وقواتنا الجوية بضـربة عطلتها عن تغطية قواتنا على الجبهة.. ورغم الخســائر الشــديدة التي ألحقناها بطائرات العدو إلا انه اتضـــح ان لديه رصـيداً من الطائرات علاوة على المظلة الجوية لأمريكا وبريطانيا فوق إسرائيل، مما أدى إلى اســـتطاعته أن يوفر بها تغطية جوية لقواته، في الوقت الذي حرمت فيه قواتنا من مثل هذا الغطاء الجوي، ومع ذلك فإن قواتنا مشـتبكة الآن في معارك عنيفة في سـيناء، والخسـائر شـديدة سـواء في جانبنا أو من جانب العدو،. (أخوكم جمال عبد الناصر).

وأخذ الفريق رياض والقادة العسكريون الأردنيون يحللون عبارات الرئيس عبد الناصـر، وبالتعبير العسـكري قاموا بعملية (تقدير الموقف)... وكان الملك حسـين يشـترك معهم في التقدير والتحليل، على اعتبار أنه درس لبضـعة شـهور في إحدى المدارس العسكرية في إنجلترا!!

واتفقت كلمتهم أن الجبهة المصـرية قد انهارت، وأن القوات الإسـرائيلية في طريقها إلى القاهرة غدا او بعد غد..

وانتقلوا بعد ذلك إلى تقدير الموقف على الجبهة الســورية فقال الفريق عبد المنعم رياض: الأمر هناك بسـيط، لا يوجد معركة بالمعنى الصـحيح على الجبهة السورية حتى صباح اليوم، المناوشات تخف وتشتد، ولكن لا يوجد هجوم من الطرف السوري، ولا من الطرف الإسرائيلي..

وعن الجبهة الأردنية، تكلم اللواء عامر خماش قال (الانسـحاب يجري بصــورة منتظمة.. ونحن نأمل البقاء غربي النهر أقصــى مدة ممكنة، إلى أن يســتطيع مجلس الأمن تنفيذ قراره بوقف إطلاق النار، وقواتنا تتكبد خســائر فادحة..

وانتفض الملك حسين غاضباً وقال : خسارة فادحة..هه.. الخسارة تتجاوز عشرين ألف قتيل، خسرنا كذلك معظم دباباتنا.. *الأرض يمكن ان تعوض ..يمكن ان نستردها، لكن الجيش لا يعوض!!

وخرج الملك حسين وهو يردد: خسرنا نصف الجيش، والنصف الثاني يعتبر في حكم الهالك... وانفض القادة العسكريون كل إلى شأنه.

وعدت إلى الفندق، فلم يعد لي مكان في غرفة العمليات بعد أن أصبح الانسحاب هو راس العمليات ... وكانت الجماهير ما تزال تطوف الشوارع كما تركتها في الصباح، وهي تطالب بالتدريب والسلاح والالتحاق بالمعركة.. والمعركة تقترب من النهاية !!

وتسللت إلى غرفتي كما كانت المرأة المهتوكة في الجاهلية، تتسلل من مضارب قومها وهي مسربلة بالعار، تبحث عن المأوى..

وكان العار ينتظرني حقاً.. في الغرفة.. كأني أصبحت الأمة العربية بأسرها، بملوكها ورؤسائها أحمل أوزارهم وحدي.. وهم أطهار أبرياء..

فتحت إذاعة إسرائيل وكان العار، كان بركانا من العار... قالت الإذاعة : (لقد سقطت القدس القديمة بأيدي قواتنا، واستولينا على بيت لحم وأريحا

---

*لم يكن هذا الكلام صادقا، فلقد كشفت التقارير اللاحقة ان شهداء الجيش الأردني لم يتجاوزا الثمانمئة شهيد، وان أعوان الملك حسين كانوا يرسلون بتقارير كاذبة إلى غرفة العمليات والى الشهيد الكبير عبد المنعم رياض.

ومعظم الضفة الغربية.. وكان أول ما فعله جنودنا حين دخلوا المدينة بعد الظهر أنهم صـــلوا عند حائط المبكى... وقد اســـتغرق الهجوم 90 دقيقة اشـــترك فيه المشـاة والمدرعات والمدفعية .. وبعد سـاعات قليلة وصـل الجنرال موشـى ديان إلى حائط المبكى وقال (لقد رجعنا، ولن نتخلى عن القدس .. لقد حررت قواتنا المدينة المقسـمة عاصـمة إسـرائيل، لقد رجعنا إلى مدينتنا، أقدس مقدسـاتنا ولن نتركها أبدا..).

وتابعت الإذاعة الإسـرائيلية كلامها قائلة (وجاء بعده ليفي اشكول رئيس الحكومة.. وبعد أن صـلى عند الحائط وجه كلامه إلى المصـلين معلناً (أن هذا يوم عظيم في التاريخ اليهودي وأني أعتبر نفســـي الآن وفي هذا المكان ممثلا للشـــعب اليهودي بأجمعه، ولأجيال كثيرة من اليهود الذين كانت تحن أرواحهم نحو القدس ومقدساتها..).

الله، الله، لقد سقط بيت المقدس وحكام العرب متثاقلون عن القتال...

الله، الله، لقد سـقط بيت المقدس وحكام العرب والمسـلمين متشـاغلون عن الجهاد.

ورحت أبحث عن النكبات الكبرى في تاريخ العروبة والإسـلام لأسـتعير كلاماً يخفف المصاب .. فلم أجد..

هل أقول واسلاماه... لا، إن المصاب أعظم .

هل أقول وامعتصماه...لا، إن الكارثة أدهى

لم أستطع أن أتكلم فقد تعطلت ملكة الكلام

لم استطع أن أبكي، فقد تجمدت عيناي عن البكاء..

لم اســتطع أن أســتذكر شــعر المرائي في دواوين العرب، فقد تبلدت ذاكرتي.. كل مشـــاعري تعطلت.. كل أحاســيســـي تجمدت ن كل جوارحي تحجرت..

.. فقد كانت الكارثة فوق قدرة الشـــعور على الشـــعور، وفوق طاقة الإحساس على الإحساس ..

وانثنيت إلى الإذاعة الأردنية، لأســـمع ماذا تقول، فانقلبت اضـــحك كالأبله.. وشر البلية ما يضحك.

كانت الإذاعة الأردنية تذيع برقية بعث بها جلالة الملك فيصـــل إلى جلالة الملك حســـين، يعرب فيها عن (إعجاب العرب والمســلمين وتقديرهم للموقف الذي يقفه الشـعب والجيش في الأردن في وجه العدوان الإسـرائيلي في هذه اللحظات التاريخية الحاسمة ... وأن السعودية تضع كل إمكاناتها في خدمة المعركة..) إلى آخر الكلام ... وأورام الكلام.

ولكن أورام الكلام تكاثرت بعد المعركة... وكانت كلها تبريراً للهزيمة تفسيراً لسقوط الوطن ... فقد انطلقت الخطب الرسمية في الوطن العربي، تقول:

لقد انتصرت إسرائيل في الحرب، ولكن عجزت عن تحقيق أهدافها السياسية ... كانت إسرائيل تريد إسقاط النظم التقدمية ولكنها فشلت في تحقيق ذلك... لقد احتلت الأرض ولكن الحكومات الثورية باقية... إلى آخر هذا الكلام المريض..

ولقد ضجت الأمة العربية وهي تسمع هذا الكلام ... وتمنت لو سقطت كل الأنظمة الثورية والتقدمية، ومعها جميع الملوك والرؤساء، قبل أن يسقط حجر واحد في بيت المقدس، أو تهتز حبة رمل في سيناء، أو تقصف قشة في الجولان.. كان ذلك هو كلام الحكم العربي بعد الهزيمة...

وأردت أن أخرج من هذا الكلام السفلي إلى الكلام العلوي، إلى رحاب الله، ملك الملوك ورب الأرباب... فعنده السكينة والطمأنينة. وعنده العزاء والرجاء..

وسألت نفسي : لمَ لم ينصرنا الله، وكان جواب الله تعالى (إن تنصروا الله ينصركم...)..وسألت نفسي : لم خرجت القدس من أيدينا وسقطت في يد إسرائيل...؟

فكان جواب الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض، أرضيتم بالحياة الدنيا عن الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل، إلاّ تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم، ولا تضروه شيئاً، والله على كل شيء قدير)..

أجل .. (يســتبدل قوماً غيركم ولا تضــروه شـيئا والله على كل شـــيء قدير) صدق الله العظيم

سقطت القدس، ولم أعد أحتمل البقاء في عمان... لقد جئتها من القاهرة منذ أسـبوع مع الملك حسـين في طائرته بعد توقيع الدفاع المشـترك، وكلنا آمال وأحلام جسام .

واليوم ...8 حزيران – أخذت الآمال تتداعى والأحلام تتهاوى، وعزمت على العودة إلى القاهرة لارى ما كان، وما سيكون...

وكيف لا تتبدد الآمال والأحلام، وقد شـرعت إسـرائيل تذيع أخبارها من الإذاعة الأردنية في الضفة الغربية.

أجل من الإذاعة الأردنية .. فقد احتلت إسـرائيل، في جملة ما احتلت، الإذاعة الأردنية بكل مؤسـسـاتها ومنشـآتها، وبدأ المذيع الإسـرائيلي يعلن (هنا دار الإذاعة الإسرائيلية في رام الله..).

وكان من أول ما أذاعته هذه الإذاعة الأردنية (سـابقاً)، تصـريح لناطق رسـمي إسـرائيلي بأن القوات الإسـرائيلية تحتل كل الضـفة الغربية، وأن الجنرال موشـى ديان تفقد القدس والخليل وبيت لحم، وأن اثنين من الجسور التي تصل ضـفتي الأردن قد نسـفا .. وأن بن جوريون وعدداً كبيرا من أعضـاء البرلمان الإسـرائيلي قد زاروا حائط المبكى كما نقلت تصـريحا للجنرال اسـحق رابين بأن القوات الإسرائيلية تسيطر على شبه جزيرة سيناء، وأنه تم الاستيلاء على أبار النفط المصرية في رأس سدر على شاطئ سيناء، جنوبي بور توفيق !!

والى هنا فقد كانت إذاعة رام الله (سـابقاً) تبث بلاغات عسكرية.. ولكن تراقصـت الضـحكات في نفسـي، كالطير يرقص مذبوحاً من الألم.. حين بدأ المذيع الإسرائيلي يعلن ساخراً (قد احتلت القوات الإسرائيلية فندق امباسادور في القدس. واتخذته مقراً لإدارة الضـفة الغربية المحتلة . بعد أن كان مقراً للسـيد أحمد الشـقيري رئيس منظمة التحرير الفلسـطينية الذي فر بلباس امرأة مسـلمة صباح الخامس من حزيران.)

ولم أبال بالخبر، فقد حسبته من باب الفكاهات في أيام النكبات . وعلى كل حال فقد كانت إذاعته، ولو على هذه الصـورة الكذابة، تنبئ أنى ما زلت في عمان.. فقد انقطعت أخباري وآثاري . وأنا بين الفندق وغرفة العمليات في عمان !!

وكائنا ما كان الأمر، فإن أخبار الإذاعة الأردنية (سابقاً)، قد جاءتني حافزاً جديداً لأغادر عمان.. فحزمت حقائبي وجمعت أوراقي وعزمت على السفر إلى دمشق، فبيروت، لأستقل أول طائرة إلى القاهرة.

وخطر لي أن أعرج على القيادة الأردنية لأودع القادة العسكريين، ولكني عدلت وأنا استمع إلى إذاعة عمان في السيارة .. فمنذ غادرنا الفندق والسائق يثبت أنامله عليها..

عدلت ... لأن الملك حسين كان يخطب عن القرار الذي أصدره مجلس الأمن بالأمس بصدد وقف إطلاق النار .. كان يقول (حينما صدر قرار مجلس الأمن بالأمس بوقف إطلاق النار حسبنا أن الشرف والخلق سيتغلب عند الأعداء على الخسة والمكر والدناءة، ورغبنا منذ تلك اللحظة في الانصياع لصوت الضمير العالمي، على أمل أن تهب جميع الدول المحبة للسلام إلى معالجة الموقف بروح العدالة والإنصاف، وأعلنا على التو أننا لا نمانع في وقف إطلاق النار، لكن المؤامرة فيما بدا كانت ارحب أبعادا عن كل سلوك أخلاقي، فإذا بالغدر يقذف بكل ما لديه من قوى ضد بقايا سيوفنا .. غير أن ما بقي من آسادنا قد اضطر تحت إلحاح النداءات والابتهالات أن تعود مهيضة الجناح..)

وكما يقرف المرء من الذباب على جيفة نتنة، فقد قرفت من هذه الكلمات: (بقايا سيوفنا) (وآسادنا) وغير ذلك من عبارات الجاهلية تنبش من جوف الماضي وتقال في عهد الصواريخ !!

ولكن ما زادني قرفاً أن يتحدث الملك حسين عن (الخسة والمكر والدناءة) ... (والانصياع لصوت الضمير العالمي) وعن (السلوك الأخلاقي) .. كما تحدث الدكتور نور الدين الأناسي في اليوم نفسه من إذاعة دمشق حين قال (إننا نواجه اليوم أكبر مؤامرة دنيئة خسيسة في العالم الحديث ..)وكل حقد الإمبريالية الأمريكية البريطانية على الشعوب وكل شراستها..) وهو الحديث نفسه الذي انطلق من أفواه الملوك والرؤساء في تلك الأيام النكراء، ليثبت أنهم جاهلون وجاهلون!!

جاهلون أولاً،لحقيقة إسرائيل ومطامعها وأهدافها ..

وجاهلون ثانياً، للحرب .. خطة وهدفاً، وبداية ونهاية..

إنهم يشكون من الغدر ولا يعرفون ان الحرب هي الغدر كل الغدر ..

انهم يشكون في عدم انصياع إسرائيل لقرار مجلس الأمن، والغبي الغبي هو الذي ينصاع لقرار مجلس الأمن، حينما يكون قادراً على القتال والاستمرار في القتال...

ولا أريد أن اقتبس طويلاً من أقوال الملك حسين في ذلك اليوم وغيره من قادة العرب، فإن أوراقي تقرف معي إذا رجعت إلى المزيد..

من أجل ذلك عدلت عن الذهاب إلى غرفة العمليات حتى لا أرى الملك حسين ولا أرى خطابه على وجهه .. ولكني حرمت من واجب غال يوجعني كلما ذكرته..

كنت أريد ان أزجي تحية عطرة إلى رجلين قاما بواجبيهما حق قيام: الفريق عبد المنعم رياض. واللواء عاطف المجالي.. الأول ابن القاهرة البار. والثاني ابن الكرك الصادق.. وكان أخر لقائي بهما بالأمس ولم أرهما فيما بعد .. فقد سقط الأول شهيداً بعد عام في جبهة القتال على القنال.. وقضى الثاني نحبه على فراشه بعد أيام، تصهر النكبة زهرة شبابه.. وهكذا ذهبا في مواكب الألوف من رجالنا الميامين، يرحمهم الله أجمعين..

مرت هذه الخواطر سريعة في خاطري، والسيارة تخرج بنا من ضواحي عمان في الطريق إلى دمشق، ويا لهول ما رأيت .. كانت المصفحات والدبابات، محترقة مهشمة، معطوبة مقلوبة ..ورأيت بعض الضباط والجنود على الطريق إلى جانب هذه الأكوام المحترقة..

ووقفت .. وتحدثت إلى الضباط.. كانوا من الضباط العراقيين.. وكانت الأكوام المحترقة هي الدبابات والمصفحات العراقية.

ولقد كنت أعلم عن حركة القطعات العسكرية العراقية وأنا في غرفة العمليات، ولكني أراها الآن في الميدان مدمرة محترقة، وأنها قصة بطولة مجيدة للشعب العراقي، وللأمة العربية بأسرها.

وخلاصة القصة أن القوات العراقية تركت أعالي الجبال في شمال العراق، وقطعت مسافة ألف وخمسماية كيلو متر، لتصل إلى شرق الأردن ومنها إلى غرب الأردن وتشترك في المعركة .. تلك كانت الأوامر في أوائل حزيران المشئوم.

ففي الخامس من حزيران، في هذا اليوم فقط، وصل اللواء الآلي الثامن إلى منطقة المفرق، وتعرضت له القوات الجوية الإسرائيلية لتصطاده صيد العصافير، ودمرت الجزء الأكبر من معداته وعتاده ..

وفي مساء السادس من حزيران، في هذا اليوم فقط، وصل لواء المشاة الأول ثم لواء المشاة السابع والعشرون ولواء المدرعات السادس . وفي الطريق إلى جرش واريحا، كانت طائرات الميراج الإسرائيلية تقصف القوات العراقية وهي تسير في أرتال منتظمة من غير غطاء جوي ولا دفاع أرضي...

وتمتمت ... ما أسمى هذه الأمة وجنودها، وما أغبى ملوكها ورؤساؤها!!

وواصلت سيري إلى دمشق، واجتزت مخافر الجوازات والجمارك عند الحدود، وهي أوكار العار في الوطن العربي ... وفي دار المحافظة في درعا استرحت بعض الوقت، وكنت في الواقع أريد أن أعرف كيف حال الجبهة السورية..

كان رجال المحافظة في ســكوت جامد، ولكن بعض الضـــباط كانوا يتحدثون بعصـبية ظاهرة، وكانت عباراتهم تدل على أنهم من البعثيين، فبدلاً من ان أسـمع أخبارا عسكرية، رحت أسـمع عبارات عقائدية.. وشـعارات حماسـية.. وما أشـقى الأمة حين تصـبح أسـيرة الشـعارات الجوفاء، من غير أصـالة ولا عراقة.

وللمرة المئة بعد المئة قلت في نفســـي، أنا مؤمن بالبعث حزبا وفكراً وهدفاً، ولكني كافر بالبعثيين سلوكا وتصرفاً..

وخرجت من دار المحافظة .. وكان يرافقني أحد ضـباط جيش التحرير، جاء ليســتقبلني على الحدود.. فمال ألي وهو يناشــدني بكل حياء: أرجو أن لا تكون قد تضايقت من تصرف الموظفين البعثيين..

قلت: لا بأس.. ستظل دمشق بلدنا، والشعب السوري شعبنا، وجيشـها جيشــنا.. وحتى عدد من البعثيين، فإني أحترم إخلاصــهم ونضــالهم ولا نبالي بالآخرين .. دعهم في ضلالهم يعمهون ..وهذا بعض الوحل في الطريق..

ووصـــلنا إلى مقر قيادة جيش التحرير الفلســطيني، وهذه لم يكن فيها غرفة عمليات.. فإن جيش التحرير الفلســـطيني قد وضـــع تحت إمرة الجيش الســـوري قبل أن تندلع الحرب بأيام، واتخذ مواقعه في الخطوط الأمامية على الجبهة السورية.

وقلت للضباط الفلسطينيين : وكيف حال الجبهة عندكم؟

قالوا: ليس عندنا غير البلاغات الرسمية التي نسجلها من إذاعة دمشق.. ونحن كعسكريين نستطيع أن نعتبر أن المعركة في سوريا قد بدأت اليوم .. في الأيام الثلاثة السابقة كانت المعركة قاصرة على مناوشات جوية.. منذ صباح اليوم قامت إسرائيل بهجوم شامل على المراكز الأمامية، وبدأ الالتحام مع الجيش السوري..

قلت : وما هي آخر البلاغات الرسمية؟

قالوا: في صباح هذا اليوم أعلن راديو دمشق أنه يتوقع أن تصل القوات السورية إلى صفد، لتلتقي بالقوات الأردنية الزاحفة !!

قلت: لو لم أكن قادما من عمان صباح اليوم لأمكنني أن أصدق الخبر.. لقد تركت القوات الأردنية (زاحفة)، ولكن في الطريق إلى نهر الأردن .. إنها تنسحب في اتجاه عمان.. وأين نحن من صفد.. الإسرائيليون يزحفون من صفد في اتجاه سوريا!!

وفتح أحد الضباط الراديو ليتأكد من صحة الخبر .. فإذا بالناطق الرسمي يقرأ عدداً من البلاغات الرسمية عن الاشتباكات الجوية، ثم يعلن بعد ذلك أن (سوريا لن توقف القتال وستواصل الحرب ضد إسرائيل، وأن الحرب لا زالت في بدايتها وسوف تستمر، والنصر لمن يعبئ، ولمن يرمي في المعركة كل يوم قوى جديدة.. وأن أسلوب إسرائيل في الحرب الصاعقة لفرض وقف القتال لن يكتب له النجاح، وأن الغلبة في النهاية ستكون للحق العربي).

وطلبت إلى أحد الضـــباط أن يتصـــل برئاســـة الجهورية لتحديد موعد للاجتماع بالرئيس الدكتور نور الدين الاتاسـي.. وثار جدال بين الأخوة الضـباط حول هذه الزيارة، فقال بعضـــــهم: نحن لا نرى داعيا لهذه الزيارة .. البعث لا يترك فرصـــة إلا ويهاجم منظمة التحرير.. وقال البعض الآخر : نحن الآن في معركة ولا مانع من المجاملة ..

وغضـــب أحد الضـــباط وقال : هؤلاء يهاجموننا في المدارس، إنهم يعلمون الطلاب ان يكرهوا منظمـة التحرير.. وان يحقدوا على قيـادتها وعلى جيشها..

قلت : وكيف ذلك ؟؟

وقفز الضابط إلى سيارته –إلى منزله– وعاد إلينا بعد قليل وهو يقول يا سـيدي، هذا كتاب مدرسـي اسـمه (الثقافة القومية الاشـتراكية) لطلاب السـنة الثانية الثانوية، تقرؤه إحدى بناتي... وفي شرح موقف حزب البعث من منظمة التحرير. جاء في هذا الكتاب ما يلي: وبدأ الأخ الضـــابط يقرأ : (... وحين حاولت مؤتمرات القمة تزييف طبيعة الدور النضـالي لشـعب فلسـطين بإنشـاء منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة الطبقات نفسها التي فشلت في معركة فلسطين قبل النكبة .. أمثال الشـــقيري وأعضـــاء المجلس الوطني المنحدرين من أبناء العائلات الإقطاعية والمتمولين في مناطق البترول تصـــدى مؤتمر حزب البعث

إلى فضـــحها.. وان على قيادة الحزب أن تحدد موقف الحزب من هذه المنظمة بجانبيها المدني والعسـكري على ضـوء خطة حرب التحرير الشـعبية وسـائر مستلزماتها..)[*].

وألقى الضـــابط الكتاب من بين يديه وهو يقول (أرأيت يا سـيدي كيف يفســـدون عقول الطلبة .. ماذا يريد منا حزب البعث .. ماذا يريد من جيش التحرير.. ها نحن الآن على الخطوط الأمامية..).

قلت : يا اخوان لا داعي للعصـبية، ونحن الآن في معركة، ولا داعي لإثارة هذه الأمور . إنها تدل على جهالة فاضـحة، وإن تلاميذنا لن يعبأوا بهذا الكلام الهراء، وسـيكتشـفون زيفه بفطرتهم الواعية... إنهم يعرفون أن أعضـاء المجلس الوطني لا علاقة لهم بالكارثة .. لم يكونوا في مركز القيادة حين سـقطت فلسـطين في عام 1948 .. وليسـوا منحدرين من أبناء العائلات الإقطاعية والمتسولين في مناطق البترول...إلى آخر هذا الكلام الذي يدل على الحقد والجهل معاً .. على كل حال فلندع الأمور جانباً.. لنعالجها في الوقت المناسب .. اطلبوا لي موعداً مع الرئيس الاتاسي...

لم تمض دقائق حتى جاءت إحدى سـيارات الدولة لتقلني إلى مقر الرئاسة الجمهوري بالمهاجرين .. واستقبلني الرئيس الدكتور نور الدين الاتاسي

---

[*] أخر طبعة من هذا الكتاب كانت في عام 1971 – 1972، وفيه هذا الكلام ..!!!

في مكتبه .. في المكتب الذي كان يستقبلني فيه الرئيس هاشم الاتاسي.. وما أعظم الفارق بين الرجلين والعهدين...

أصالة ورجاحة، بل وإخلاصاً وإيماناً..

كان الدكتور نور الدين الأتاسي عابساً متجهما.. ولم نكد نفرغ من عبارات المجاملة والتحية المعتادة .. حتى بدأ الحديث..

قال : كيف تركت الجبهة الأردنية؟

قلت : معركة الأردن في طريقها إلى النهاية ما لم تحدث المعجزة .. القوات الأردنية تلقت أمرا بالانسحاب.

قال : وبموافقة الرئيس عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر.. أليس كذلك؟؟!!

قلت : كان ذلك جواباً على تقديرات الموقف كما بينها الفريق عبد المنعم رياض. وهذا موقف القيادة الأردنية بالذات.

قال : هذه نتيجة التحالف مع الرجعية الأردنية .. نحن لم نوافق على مجيء الملك حسين إلى القاهرة . ولا على اتفاقية الدفاع المشترك بين الرئيس عبد الناصر والملك حسين.. ولا على اتفاقية الدفاع المشترك مع العراق.

قلت : لماذا .. إن الملك حسين لم يذهب إلى القاهرة مختارا.. لقد ذهب تحت ضغط القوى الوطنية في الجيش الأردني والشعب.

وقال : لا لا .. الرئيس عبد الناصـــر يعرف موقفنا تماماً.. وها نحن نخوض المعركة وحدنا منذ صباح اليوم .. القوات الإسرائيلية بدأت هجوماً جويا وبريا على جميع مواقعنا..

قلت : إن الرئيس عبد الناصـــر قام بهذه العملية أصـــلا من اجل نجدة سوريا... ألم تكن الألوية الإسرائيلية محتشدة على الحدود السورية، فحشد عبد الناصر القوات المصرية في سيناء ليخفف الضغط عنكم .؟

قال : وها قد أعلنت مصـــر والأردن قبولها لقرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار، والعجب أن إسرائيل ترفض الانصياع .

قلت : العجيب أن توافق إسـرائيل ... إنها تريد ان تصـل بالمعركة إلى النهاية .. ان إسرائيل كانت أكثر منا مكراً ودهاءً منذ بداية المعركة حتى الآن..

قال : لقد حذرنا الرئيس عبد الناصر ... قلنا إن إسرائيل ستشن العدوان في 28 أيار، ولكنه لم يصدقنا..

قلت : ولماذا لم تحذروا أنفسكم ... انتم تقولون أنكم فوجئتم بالمعركة...

قال : لقد قبلوا وقف إطلاق النار .. ونحن الآن في المعركة وحدنا...

قلت : لما كانت المعركة على أشــــدها في الأردن وســــيناء لم تدخلوا المعركة .. وجاء الآن الدور عليكم لتكونوا في المعركة وحدكم..

قال : نحن سنصمد وحدنا ... نحن لا نريد مساندة الدول العربية، ولا مساعدة روسيا كذلك .. لا بد أنك لاحظت أننا أعلنا من إذاعتنا، أننا سنقاتل حتى بدون عون من الأصدقاء، وأننا سننتصر حتى بدون طيران الأصدقاء .. وغدا سيصدر بلاغ باسم القيادتين القطرية والقومية بالإفراج عن المعتقلين السياسيين حتى تتيح لهم جميعا ان يسهموا في شرف الدفاع عن وطنهم.

قلت : وماذا سيقدم المعتقلون السياسيون للمعركة في يوم المعركة ... إن وجود معتقلين سياسيين في سوريا . وفي غير سوريا . هو سبة عار في جبهة الحكم الوطني العربي ... كان الاعتقال السياسي في عهد الانتداب والاحتلال ... أما في هذه الأيام ومعركتنا الكبرى مع الاستعمار والصهيونية. فلا يجدر أن يكون في السجون إلا المجرمون العاديون...

قال : لقد ابتعدنا عن الموضوع..

قلت : ما هو أهم من الإفراج عن المعتقلين السياسيين أن تبادروا إلى دعوة إخوانكم اللاجئين السياسيين في القاهرة .. إن بينهم عددا من الضباط الممتازين أمثال : جاسم علوان . أكرم الديري. عبد الحميد السراج . جادو عز الدين..

قال : هؤلاء قضـيتهم صـعبة .. وقد بحثنا موضـوعهم في القيادة ولا يمكن السماح بعودتهم.

قلت : إن قضـية هؤلاء الضـباط هي قضـية الوحدة .. إنهم ضـحايا الوحدة وأنتم شـعاركم الوحدة .. ولماذا لا تقتدون بالعراق .. إن الرئيس عبد الرحمن عارف اسـتقبل عميد الجو عارف عبد الرزاق الذي وضـع نفسـه تحت تصـرف رئيس الجمهورية فعهد إليه بقيادة الجبهة الجوية، وكذلك صـنع مع جميع الضـباط المسـرحين .. وأنت تعلم أن عميد الجو عبد الرزاق كان متهما بتدبير انقلاب على المشير عبد السلام عارف...

قال : نحن لا نقتدي بالعراق ... وإني اقترح عليك أن تزور الأخ صلاح جديد قبل عودتك إلى بيروت..

قلت : أظن أنه مشـغول كثيرا في هذه الأيام ... وأنا على سـفر .. سأحاول أن اجتمع به في زيارة قادمة..

والواقع أن هذا الاقتراح لم يرق لي، فقد كانت في نفسـي (عقدة) ضـد الأخ صـلاح جديد... فأنا لا أحب الذين لا يعرفهم الشـعب إلا من خلال المؤامرات والصراعات يدبرونها ويديرونها من الغرف المظلمة...

وخرجت من القصـر الجمهوري وأنا انزل السـلم وئيداً . درجة درجة. كأني أودعه وأودع معه دمشق كلها... فقد حجزت نفسي عن دمشق بعد حرب

الأيام الســتة . هذه الأعوام الســتة ... وما أعظم دمشــق التي كنت أعرفها، وأصبحت الآن أجهلها..

وازداد حزني على دمشـــق حين علمت فيما بعد، أن جاســـم علوان ويوسـف مزاحم وجادو عز الدين ومعهم خمسـة وعشـرون ضـابطاً آخرون كانوا في مخفر الحدود السورية في اليوم الذي كنت أتكلم بشأنهم مع الرئيس السوري، ولم تســمح لهم الســلطات الســورية بالدخول إلى وطنهم والاشــتراك في معركة المصير، ذلك أن هؤلاء الضباط كانوا أخطر على سوريا من إسرائيل !!

وعرجت على مكتب منظمة التحرير لأتفقد شــئونه... وما كان أقســى شـئونه في ذلك اليوم ... كانت الطرقات والســاحات المحيطة بمكتب المنظمة، مزدحمة بالخلق ... وكان هذا (الخلق) هم الفلســطينيون ... الفلســطينيون في سوريا، ومن كل المشرق العربي .. جاؤوا بالشاحنات من لبنان، ومن الكويت، ومن العراق ... جاؤا ليشـــتركوا في المعركة... إنهم يطلبون الســـلاح.. إنهم يريدون الذهاب إلى الميدان.

كان هذا المشـهد مأساة بنفسه ... لقد أقفل مكتب المنظمة أبوابه، وكان الفلســطينيون يعطون أســماءهم وعناوينهم من النوافذ...يمدون أيديهم من بين القضبان..

وهربت من هذا المشـهد. لقد هربت فعلاً ... وأعترف أني هربت... وأنا الذي قضـيت عمري في صـفوف الشـعب.. وترحمت على رجال المنظمة كيف

سيعالجون هذا الموقف الرهيب ... الجموع هائمة ... المعركة تلتحم على أرض الوطن ... وهذه الجموع قد قطعت بادية الشام للالتحاق بالمعركة.

ومن الذي يستطيع أن يقول لهم إن القوات الأردنية تنسحب من الضفة الغربية، من الذي يستطيع أن يقول لهم إن إسرائيل قد اخترقت سيناء ... من الذي يستطيع أن يقول لهم إن مصر والأردن قد قبلا وقف إطلاق النار ... ولم تعد هنالك معركة يلتحقون بها..

كانت الجماهير لا تعرف .. وكذلك فان الجماهير العربية بأسرها لا تعرف .. ولو ان عبد الناصر كاشف هذه الجموع بنفسه وأطلعها على الحقيقة لكفروا بأنفسهم.

ومن أجل هذا فقد عدت أدراجي، ولم أصل إلى مكتب المنظمة، وواصلت سيري إلى بيروت، لأستقل أول طائرة إلى القاهرة.

ولكني لم أجد ضالتي في بيروت، فلم أجد أول طائرة ولا آخر طائرة..

اتصلت بشركات الطيران فقالوا : الطيران متوقف مع القاهرة..

قلت : إلى السعودية ومنها إلى القاهرة..

قالوا : الطيران متوقف مع السعودية ..

قلت : إلى الكويت ومنها إلى القاهرة..

قالوا : الطيران متوقف مع الكويت ..

قلت : إلى ليبيا ومنها إلى القاهرة..

قالوا : الطيران متوقف مع ليبيا..

ولقد رأيت بوادر الهزيمة في هذه الواقعة الحية التي تعرض لها كل مواطن عربي من المحيط إلى الخليج .. وهالني ان سلاح الجو الإسرائيلي قد أصبح يسيطر على الأجواء العربية، على حين أن بعض الدول العربية تملك من الطائرات المقاتلة ثلاثة أضعاف ما تملكه إسرائيل.

أي نعم ... تلك هي الحقيقة بالأرقام ... ويكفي أن أشير إلى ما تملكه ست دول عربية، لا إلى الثلاث عشرة، حسب البيانات التي قدمتها الدول العربية إلى القيادة العربية الموحدة .. فعند مصر 450 طائرة مقاتلة ... وعند العراق 200 طائرة .. وعند سوريا 120 طائرة . وعند الأردن 40 طائرة، وعند الجزائر 100 طائرة .. ومجموعها 928 طائرة ..أما عند إسرائيل فالعدد لا يتجاوز 300 طائرة، وهذا هو تقدير المعهد البريطاني للدراسات الاستراتيجية.

وليس المواطن العربي في حاجة أن يسأل عن السبب .. لماذا استطاعت إسرائيل أن تسيطر على الأجواء العربية، وهي لا تملك أكثر من ثلث الطائرات التي تملكها ست دول عربية .. أي نعم لماذا ؟!

إن الجواب بسـيط .. غاية البسـاطة .. إن إسـرائيل دولة واحدة، ولها قيادة واحدة .. والدول العربية ثلاث عشـرة، لها ثلاث عشـرة قيادة، وفي داخل كل قيادة تناقضـات بل صـراعات .. وكثيرا ما تنتهي إلى انقلابات تحت مختلف الشعارات !!

وعلى هذا فان طائرة واحدة لها قيادة واحدة أكثر قوة وفتكاً وتدميرا من ثلاث عشرة طائرة لها ثلاث عشرة قيادة متناحرة !!

وهكذا عزمت أن أبقى في بيروت، حتى تنفتح الأجواء العربية، ويعود سـلاح الجو الإسـرائيلي إلى قواعده.. ويجود على المواطن العربي بحرية السـفر والانتقال.

وقضـيت خمسـة أيام (8-13 حزيران) حافلة مثيرة..وأصـبحت صـالات الفندق عندي أشـبه (بغرفة عمليات) مثل التي احتوتني في عمان..ولكن هذه المرة كانت (غرفة العمليات) للحوار والشجار.. لا للقتال والنزال ..

تزاحم علي الزوار، والأصـدقاء، والصـحفيون، في تلك الأيام بما لم أشـهد له مثيلا في حياتي المليئة باللقاءات والاجتماعات .. فقد جاؤوا ليسـألوني الأسئلة التاريخية..

- كيف رضـي الرئيس عبد الناصـر باسـتقبال الملك حسـين في القاهرة في 30 أيار بعد القطيعة الكبرى ؟.

– ماذا دار بين الرئيس والملك من حديث ؟

– كيف سافرت مع الملك حسين في طائرته إلى عمان ؟

– كيف بدأت المعركة في الأردن ..؟

– لماذا قبلت مصر والأردن قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار؟

– هل تستطيع مصر ان تستعيد زمام المبادرة في المعركة ؟

- هل ستطول المعركة ..؟
- هل يتدخل الاتحاد السوفيتي لتأييد مصر؟
- هل صحيح أن الطائرات البريطانية والأمريكية ساندت القوات الإسرائيلية؟

ولقد كنت أجيب على هذه الأسئلة بكثير من التحفظ، فان المعركة لم تنته بعد، في نظر الجماهير العربية على الأقل .. ولم يكن ميسورا على أن أسمح بمعلوماتي الخاصة أن تتسرب .. وخاصة أن مثل هذه الاجتماعات المفتوحة قد يندس فيها العملاء من كل حدب وصوب.

وفي الليل كانت هذه الاجتماعات تنقلب إلى ندوات مقفلة يحضرها عدد من المثقفين والمشتغلين بالقضية العربية.

وجاء دوري لاكون مستمعا، بعد هذه الرحلة المضنية من القاهرة إلى عمان إلى دمشق إلى بيروت، ورحت استمع إلى أحاديث الاخوة الزائرين.

وكانت المعركة هي الحديث، وكان الرئيس عبد الناصر هو محو الحوار.. وكثيرا ما ينقلب الحوار إلى شجار.

وكنت لا أعلق على هذه الأحاديث إلا بالحكم السائرة والأمثال الشهيرة... التي تقال في هذه المناسبات، فقد أصبحت أشفق على عبد الناصر إشفاقي على الأسد الجريح، وقد هوى على الأرض بعد طول الصراع..

وتكاثر اللغط على الرئيس عبد الناصر . وسرعان ما تنتقل كلمات السوء بين صفوف الجماهير حين تتحطم آمالها ... فقد فتن الناس في عبد الناصر لأنهم رأوا فيه تجسيداً لأحلامهم في الوحدة والتحرير.. وها قد أخذ الآن يهوي إلى القاع... فالجماهير لا تفهم ولا ترحم..

الجماهير لا تفهم لأنها تنظر إلى النتائج . لا إلى الأسباب والى الظروف ... والجماهير لا ترحم لأن القائد عندها على كل شيء قدير.

وازداد حنق الناس وغضبهم وازداد كذلك تجريحهم للملوك والرؤساء العرب . حين أعلنت إذاعة القاهرة في نشرة الظهر بلاغا رسميا مقتضبا كل ما جاء فيه : (ساد الجبهة الآن الهدوء، وأوقفت جميع العمليات، مراعاة لقرار وقف إطلاق النار) (9 حزيران).

وبلغ الغضب ذروته، والناس يستمعون إلى هذا الخبر من إذاعة القاهرة .. تماما من إذاعة القاهرة.. وكانوا قبلها بين مصدق ومكذب.

ومضت بضعة ساعات، في يوم الجمعة نفسه (9 حزيران) وهو يوم لا أنساه .. والتاريخ لا ينساه .. وجاءت المعجزة..

كانت الصالة غاصة بالزوار .. وكان الحديث إياه .. عبد الناصر والهزيمة .. عبد الناصر ومسئوليته، وكان الراديو مفتوحا على إذاعة القاهرة .. وكانت الأناشيد العسكرية تملأ الأسماع.. ولكن الأسماع لا تريد أن تسمع أناشيد عسكرية..

وأوقفت الإذاعة الأناشيد العسكرية ليقول المذيع : انتظروا بيانا هاما من الرئيس عبد الناصر..

وكان السامعون لا يبالون بما تقوله الإذاعة .. تتعاقب منهم التعليقات:

- هل يريد أن يخطب الرئيس عبد الناصر..

وقال المذيع: الرئيس عبد الناصر يوجه رسالة إلى الأمة..

وبدأ الرئيس عبد الناصر يتكلم ... ومع كلماته كانت أمواج الأثير تحمل حفيف أنفاسه المتكسرة..

وابتدأ حديثه قائلاً (لقد تعودنا معا في أوقات النصر وفي أوقات المحنة، في الســاعات الحلوة وفي الســاعات المرة أن نجلس معاً. وأن نتحدث بقلوب مفتوحة وأن نتصارح بالحقائق، مؤمنين أنه عن هذا الطريق وحده نستطيع دائما أن نجد اتجاهنا إليهم مهما كانت الظروف عصيبة ومهما كان الضوء خافتا..).

وأطرق الزائرون برؤوسهم وهم يريدون ولا يريدون ان يسمعوا مصارحة الرئيس عبد الناصر، ومضى يقول (ولا نستطيع أن نخفي على أنفسنا أننا واجهنا نكسة خطيرة خلال الأيام الأخيرة، ولكني واثق أننا جميعا نستطيع وفي مدة قصـيرة أن تجتاز موقفنا الصـعب، وإن كنا نحتاج في ذلك إلى كثير من الصبر والحكمة والشجاعة الأدبية ومقدرة العمل المتفانية).

وأمسكت أنفاسي عند كلامه عن (النكسة الخطيرة) . فقد كنا في الواقع أمام أكبر نكبة حلت بالأمة العربية منذ عهد الصـليبيين وغزوات التتار .. غير أني أحسست ان الرئيس عبد الناصر يريد أن يهون على الأمة العربية نكبتها، ويواسيها في مصابها، فاختار لفظ (النكسة) مكان (النكبة).. وشتان شتان ما بين الكلمتين..

وتحدث الرئيس عبد الناصر . بعد ذلك . شارحاً الملابسات والظروف السابقة . فأشار إلى (خطة العدو في غزو سوريا .. والمعلومات الوثيقة التي أكدها أصدقاؤنا في الاتحاد السوفيتي..) وأوضح كيف تحركت القوات المصرية إلى سيناء في أعقاب انسحاب قوات الطوارئ الدولية .ثم تطرق إلى إغلاق خليج

العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية وأن (مرور علم العدو أمام قواتنا كان أمرا لا يحتمل).

ونظر الزائرون بعضهم إلى بعض في كثير من الحيرة حين تناول الرئيس عبد الناصر تقدير الموقف قبل المعركة، وقال (ولقد كانت الحسابات الدقيقة .. أن قواتنا بما بلغته من مستوى في المعدات وفي التدريب قادرة على رد العدو وعلى ردعه، وكنا ندرك ان احتمال الصراع بالقوة المسلحة قائم، وقبلنا بالمخاطرة).

وعند عبارة (قبلنا بالمخاطرة) بالذات، أحدق الزائرون في وجوه بعضهم بعضا، كل منهم يرى فيها سندا لحواره ولكن بدت على سيماهم جميعا بوادر الرضا أن الرئيس عبد الناصر قد اعترف بأنها كانت (مخاطرة).

وازداد السامعون اهتماما حين أخذ الرئيس عبد الناصر يتحدث عن صباح الخامس من حزيران وهو يقول (في صباح الخامس من يونيو جاءت ضربة العدو بأكثر مما توقعناه .. وبأكبر مما يملكه، مما أوضح منذ اللحظة الأولى أن هناك قوى أخرى وراء العدو جاءت لتصفي حساباتها مع حركة القومية العربية).

واستطرد الرئيس عبد الناصر بعد ذلك إلى شرح ظروف المعركة وكيف (أن العدو جاء من الغرب وكان من المتوقع أن يأتي من الشرق والشمال .. وأن طيران العدو غطى في وقت واحد جميع المطارات العسكرية والمدنية في

الجمهورية العربية المتحدة .... وأن حاملات طائرات أمريكية وبريطانية كانت بقرب شــواطئ العدو تســاند مجهوده الحربي ..وأن العدو كان يعمل بقوة جوية تزيد ثلاث مرات عن قوته المعادية ..) وبعد أن أثنى الرئيس عبد الناصــــر، على الأمة العربية (شعوبا وحكومات وما بذلت من جهود رائعة وشريفة) انتقل إلى المعركة بالذات وقال : (ولقد اضطرت قواتنا المسلحة في سيناء إلى إخلاء خط الدفاع الأول وحاربت معارك رهيبة بالدبابات والطائرات على خط الدفاع الثاني ... ثم اســتجبنا لقرار وقف إطلاق النار أمام تأكيدات وردت في مشــروع القرار السوفيتي الأخير المقدم إلى مجلس الأمن..).

وتململ الســـــامعون عند الكلام عن مجلس الأمن ووقف إطلاق النار وموقف الاتحاد السـوفيتي . فان الجماهير العربية لا تهضـم أي كلام عن وقف إطلاق النار ولا عن الاتحاد الســـوفيتي . بل إن الســـــامعين كادوا أن يهموا بالخروج من الصــــالة حين كان الرئيس عبد الناصـــر يقول (ان العدو جاء من الغرب وكان المتوقع أن يأتي من الشرق والشمال).

ولو أن خطاب الرئيس عبد الناصر وقف عند هذه الوقائع، لكان ترديدا للكلام الذي أطلقته إذاعة القاهرة في اليومين الســـــابقين ... فليس فيه جديد. والجديد فيه أنه يأتي على لسـان عبد الناصـر... وذلك اعتراف من الزعيم القائد بالهزيمة، وكيف للشعوب أن ترضى.

ولكن الرئيس عبد الناصر استجمع جوارحه، كالنسر يستجمع جناحيه، وراح يحلق ويحلق، وقلوب الأمة العربية تحلق معه، بعيداً في الأبعاد والآماد...

وابتدأ التحليق هكذا ... مضى الرئيس عبد الناصر يقول: (نصل الآن إلى نقطة هامة في هذه المكاشفة بسؤال أنفسنا .. هل معنى ذلك أننا لا نتحمل مسؤولية في تبعات هذه النكسة .. وأقول لكم بصدق .. بأنني على استعداد لتحمل المسئولية كلها...).

وأدركت ان الرئيس عبد الناصر قد علم بموقف الجماهير، وما يدور في صدرها وما تلوكه على لسانها .. ورمى بقفازه معلنا أنه (على استعداد لتحمل المسئولية بكاملها..).

وامتلأ جو الصالة رهبة وهيبة كأنما أصبح عبد الناصر واقفا فيها يخاطب الناس بقامته ونبرته ووجم السامعون حين قال الرئيس عبد الناصر بصوت مرتجف : (ولقد اتخذت قرارا أريدكم جميعا أن تساعدوني عليه..)

واشرأبت الأعناق وتطاولت الرؤوس .. ماذا عسى أن يقول الرئيس عبد الناصر.. ما عسى أن يكون هذا القرار.. وتنفس الرئيس عبد الناصر طويلا وعميقا .. وتنفس الناس معه طويلا وعميقا.. وانفتح فم الرئيس عبد الناصر عن قنبلة تناثرت شظاياها في الوطن العربي لتمس قلب كل مواطن عربي ... حين قال : (لقد قررت أن أتنحى تماما ونهائيا عن أي منصب رسمي وأي دور سياسي . وان أعود إلى صفوف الجماهير أؤدي واجبي معها كأي مواطن آخر..).

وانفجرت شـهقات من البكاء والصـياح والعويل... بكى الجميع .. بكى الناقدون والحاقدون، وبكى المفتونون والسـاخطون .. وانقلب الفندق بصـالاته وخدمه وموظفيه إلى مناحة كبرى . لا تسمع فيها إلا نواحا وعويلا..

ثم أجهشوا بالبكاء حين أعلن الرئيس قوله (ولقد كلفت زميلي وصديقي وأخي زكريا محي الدين بأن يتولى منصب رئيس الجهورية.. وإني أضع كل ما عندي تحت طلبه وفي خدمة الظروف الخطيرة التي يجتازها شعبنا..).

وواصـل الرئيس عبد الناصـر يعدد مآثر ثورة 23 يوليو خلال السـنين الماضيات ... في مكافحة الاستعمار، وبناء السد العالي، ومد شبكات الكهرباء وموارد البترول، والإنجازات الاشـتراكية .. ولكن أحدا لم يلق بالا إلى الماضـي فقد قفز السؤال الكبير أمام الجميع كالعملاق والحاضر ؟ والمستقبل؟ والهزيمة؟ وإسرائيل؟؟ و ... و .. ؟

وأدرك عبد الناصـر بحسه المرهف، أن ملايين الأمة العربية قد مسها الحزن في صميم فؤادها، حين كان يعلن إليها قرار الاستقالة . فراح يحلق إلى أعلى والى أعلى، وهو يقول (إن هذه ساعة للعمل وليست ساعة للحزن، إنه موقف للمثل العليا وليس لأية أنانيات أو مشـاعر فردية .. إن قلبي معكم .. وأريد أن تكون قلوبكم كلها معي.. وليكن الله معنا جميعا أملا في قلوبنا وضـياء وهدى..)

وكانت هذه المناشـــدة الأخيرة للأمة (إن قلبي معكم ... وأريد أن تكون قلوبكم كلها معي ..) كلمة وداع لرجل يمضي إلى الأبد، وهو على قيد الحياة..

انتهى الرئيس عبد الناصـــر من كلمته وانســـحب من راء المذياع، واستمعنا إلى المذيع، يتلجلج الكلام في صدره، وخنقه العبرات..

وصاح السامعون ..أبدا .. هذا مستحيل .. لا يمكن ان يتنحى عبد الناصر .. ماذا يقول الأعداء .. هذا نصر جديد لإسرائيل .. وتحول البكاء إلى غضب .. وكان أولئك الذين حملوا على عبد الناصر اليوم وبالأمس، أغضب الغاضبين وأبكى الباكين !!

وانصـرف الأخوة الزائرون، يواسـي بعضـهم بعضـاً، ويتواعدون على اللقاء ليتدبروا الموقف.. وصـــعدت إلى غرفتي وأنا أفكر ما يفعل الرئيس عبد الناصر بعد اليوم.. لقد ألقت به الأيام الستة إلى القاع، وها هو الآن يرقى إلى الذروة في دقائق معدودات ... وعبد الناصـر وحده هو الذي رفع عبد الناصـر من الحضيض إلى الذروة..

ولقد كانت دقائق تاريخيات حقا وصدقا .. كشفت عن إحساس عبقري يملكه عبد الناصـــر .. وتجلى أكثر ما تجلى في ظلمات النكبة، بعد هزيمة ساحقة، تصهر النفوس، وتذيب القلوب، وتفلج العقول..

لقد أدرك عبد الناصـــر هول الكارثة على الأمة العربية ... وأدرك إلى جانب ذلك أن اسمه قد ارتبط معذورا او مسئولا .. وأدرك فوق ذلك أنه سيصبح

كالنخلة في الصـــحراء، إذا اســـتمر في رئاســـته وزعامته، واقفا على أنقاض الكارثة..

ولكن عبد الناصــــر أراد أن يولد بطلا من جديد، فأعلن القرار الذي أعلنه .. وختمه بكلمة وداع حزينة شـــجية.. أحســـت الأمة معها أنها فجعت بقائدها، بعد أن فجعت بوطنها ..

كنت أفكر في هذا كله، وأنا مســـتلق على ســـريري، وإذا بي أســـمع الهتافات والنداءات ترددها الجماهير كأنها في أذني . وخرجت إلى الشــــرفة .. وإذا بالشـــارع على طوله في محاذاة البحر .. مقابل فندق الريفيرا الذي أنزل فيه يعج بالجماهير، تحمل المشـاعل وصـور الرئيس عبد الناصـر، وهي تصـيح ملء الحناجر : لا رئيس إلا عبد الناصـر .. ليسـقط الاسـتعمار .. لا رئيس إلا ناصر ..

واسـتمرت التظاهرات في شـوارع بيروت طيلة الليل، والجماهير تصـيح ناصـر .. ناصـر نريد ناصـر .. وامتدت إلى اليوم الثاني، وعمت جميع أرجاء البلاد، ونقلت صـــحف بيروت أخبار مظاهرات مماثلة في جميع أرجاء الوطن العربي...

وكانت القاهرة كأنها في مشـهد الحشـر والنشـر، فقد خرج الشـعب تلك الليلة إلى السـاحات والميادين والشـوارع وهو يهتف بعبد الناصـر يناشـده العدول عن قراره، وامتدت المسـيرات الشـعبية إلى اليوم التالي .. ولم تهدأ ثائرة الشـعب

في مصـــر، والأمة في الوطن، إلا حينما وقف الســيد أنور الســادات رئيس مجلس الأمة يتلو رسالة من الرئيس عبد الناصر يعلن فيها أن (صوت جماهير شعبنا بالنسبة لي أمر لا يرد .. ولذلك فقد استقر رأيي على أن أبقى في مكاني، وفي الموضــع الذي يريده الشـعب حتى تنتهي الفترة التي نتمكن فيها جميعا من ان نزيل آثار العدوان ..).

وهكذا عاد عبد الناصـر إلى سـدة القيادة،وعاد الملايين من المصـريين والعرب إلى حياتهم العادية، إلى منازلهم ومصـــانعهم ومتاجرهم ومدارســـهم ومعابدهم بعد أن خلت من أهلها يومين كاملين .. من غير ديار ولا نافخ نار..

ولم تكن هذه الموجة العارمة التي اكتسـحت الوطن العربي بأسـره عبادة لبطل، ولكنها في جوهرها وحقيقتها كانت عبادة لأهداف عليا تتجسـد في الوحدة والحرية والاشتراكية، وتاجها بل تاجها، تحرير فلسطين .

ولم يفت الملوك والرؤسـاء أن يسـيروا في ركاب هذه الموجة العارمة فقد أبرقوا إلى الرئيس عبد الناصر يناشدونه العدول عن قراره واستئناف المسيرة .

حتى الملك فيصـــل الذي يكره الرئيس عبد الناصـــر كراهيته للموت او أشد، لم يسعه الا أن يبرق وأن يناشد.

وهكذا شـــارك الملوك والرؤســـاء في مواكب الشـــعب، مخلصـــين او منافقين، محبين او كارهين..

ويوم ذاك رسـخ في ذهن الجماهير قول الرئيس عبد الناصـر (سـأبقى حتى نتمكن جميعا من أن نزيل آثار العدوان...)

وكانت كلمة (جميعا) تعني الملوك والرؤساء جميعا.. يوم ذاك كان الظن أن الملوك والرؤسـاء قد اهتدوا أخيرا، وبعد النكبة الكبرى .. ولكن.. جاءت الأعوام بعد تلك الأيام مصداقا لقوله تعالى .

(ومن يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون).

صدق الله العظيم.

الملك فيصل لم يسقط شهيدا في بيت المقدس

كانت حرب الأيام الستة تدور رحاها على الجبهات المصرية والأردنية والسورية، ومجلس الأمن يخوض صراعا سياسيا على مدى ستة أيام بالكمال والتمام.. ولم يصل المجلس إلى قرار نهائي نافذ إلا حينما وصلت إسرائيل إلى أهدافها العسكرية : على ضفاف القناال مع مصر وعلى مرتفعات الجولان مع سوريا، وعلى نهر الأردن مع الأردن.

ولم يكن هذا التوافق بين حركة إسرائيل وحركة مجلس الأمن من باب الصدفة، بل كان قصدا وعمدا مع سبق الإصرار والإعداد، كما يقول علماء القانون الجنائي..

وكانت الولايات المتحدة هي التي توائم بين حركة مجلس الأمن وحركة إسرائيل .. حتى يأتي التحرك في الحالين متوافقا متطابقا..

وكما كان دور الاتحاد السوفيتي، في المعركة، قاصرا على بيانات التأييد والتنديد، فان دوره في مجلس الأمن كان يتجلى في استنكار عدوان إسرائيل وأطماعها التوسعية وتنفيذها المخططات الاستعمارية والإمبريالية، وما

الى ذلك من العبارات المألوفة المعروفة .. وأصبح الاتحاد السوفيتي مثله كمثل الدول الصغرى يتحدث بلهجة الغضب ولغة الحماسة!!

وفي الأيام التي قضيتها في بيروت، انتظارا لعودة الطيران العربي إلى الأجواء العربية، كان شغلي الشاغل متابعة تحرك مجلس الأمن في نيويورك، وتحرك إسرائيل على الأرض العربية.

وكان مكتبنا في نيويورك يوافيني بأنباء مجلس الأمن يوما فيوما، او ساعة بساعة، بالتلفون والبرقيات، وبالرسائل مع هذه الطائرة او تلك .. والواقع أن بعض هذه التقارير قد وجدتها تنتظرني في بيروت يوم وصولي إليها.

وكان أول هذه التقارير باعثا على العجب العجاب .. وكان مصداقا للقول العامي المأثور : ضربني وبكى وسبقني واشتكى .. ذلك أنه في صباح الخامس من حزيران كما يقول التقرير الأول .. وقبل بدء العدوان بنصف ساعة، كان وزير الخارجية الإسرائيلي ابا ايبان في تل ابيب، يملي على جدعون رفائيل مندوب إسرائيل الدائم في نيويورك رسالة تلفونية لتقديمها إلى مجلس الأمن بأن (القوات المصرية البرية والجوية تهاجم إسرائيل، وأن القوات الإسرائيلية مشتبكة معها لردها ..) وبعد ذلك بساعة قدم السيد محمد عوض القوني مندوب ج.ع.م. شكوى إلى مجلس الأمن يقول فيها (إن إسرائيل ارتكبت عدوانا غادراً مدبرا على الجمهورية العربية المتحدة، وهاجمت قطاع غزة وسيناء ومطار القاهرة..) وأحزنني ان إسرائيل قد سبقتنا في الحرب وفي السياسة!!

وانعقد مجلس الأمن لبحث الموقف ودارت مباحثات وراء الكواليس وطالب المندوبون العرب أن يصدر المجلس قرارا بشجب العدوان الإسرائيلي كما طالب ممثل الهند ومعه ممثل الاتحاد السوفيتي بوقف إطلاق النار وعودة المتحاربين إلى خطوط ما قبل اندلاع القتال .. ولكن بريطانيا والولايات المتحدة عارضتا في ذلك.. وانتهت تلك الجلسة من غير قرار..

وكان ذلك بمثابة (النور الأخضر) من مجلس الأمن لإسرائيل بان تستمر في القتال.. وأن تستغل كل فرصة للنصر . ومن أعظم فرص النصر التي هيأتها الولايات المتحدة لإسرائيل ان الأسطول الأميركي في شرق البحر الأبيض كان جاهزا للتدخل إذا لاحت بوادر النصر لمصر ..او إذا لاحت بوادر الهزيمة لإسرائيل!!

ولم يكن هذا الاستنتاج واردا في تقرير مكتبنا في نيويورك، ولا هو من فيض عدائي القديم للولايات المتحدة، ولكنه جاء على لسان رونالد بن مراسل جريدة (ديلي تلجراف)، فقد كتب وهو على ظهر إحدى حاملات الطائرات الأمريكية في اليوم الخامس من حزيران يقول (إن الأسطول الأمريكي في حالة تأهب اليوم، وإن مائتي طائرة حربية أمريكية بإمكانها أن تضرب أي موقع في ساحة المعركة كلها من موقعها السري في البحر الأبيض المتوسط ... وإن جميع السفن الحربية تبحر بسلام الان، ولكن توقيت التدخل سيعتمد على ما ذا كان المصريون يحرزون تقدماً ضد إسرائيل ... إن سياسة بريطانيا وأمريكا تعتمد على مبدأ عدم الوقوف ورؤية إسرائيل تدمر..).

وفي اليوم نفسه – 5 حزيران– كتبت جريدة كوستشن سبانس مونتير – الأمريكية تقول إن واشنطن قد أوضحت لإسرائيل (أن أمريكا لن تدخل الحرب بأي شـــكل كان إلا إذا أصـــبح وجود إســـرائيل مهدداً). وهذه إحدى بديهيات السياسة الأمريكية .. ولكن حكام العرب جاهلون او متجاهلون!!

وهكذا مضـت إسـرائيل في المعركة، وأصـبح واضـحا أن حربا شـاملة تدور رحاها بين إســـرائيل والدول العربية، فعاد مجلس الأمن إلى الانعقاد في اليوم التالي –6 حزيران– وكان الحوار يدور حول موضـوع (وقف إطلاق النار) فقط وفقط... ورفض المجلس أن يشـجب إسـرائيل على عدوانها ... كما رفض، وهذا الأهم . أن يدعو إلى العودة إلى خطوط ما قبل القتال.

وهكذا جاءت صـيغة قرار مجلس الأمن قاصـرة على (دعوة الحكومات المعنية إلى اتخاذ تدابير عاجلة لوقف إطلاق النار فورا وإنهاء النشـــاط الحربي في كافة صوره في المنطقة كخطوة أولى ..) (قرار 233).

ولم يعلق مندوبا الأردن ومصر على هذا القرار، فقد كانا على علم من حكومتيهما أن المعركة تسير في صالح إسرائيل . واكتفيا بالقبول المجرد لوقف إطلاق النار . ذلك أن مندوب مصـر السـيد محمد عوض القوني . في مجلس الأمن . كان قد تلقى في ذلك اليوم مخابرة تلفونية من وزارة الخارجية في القاهرة تفوضـــه أن يوافق على وقف إطلاق النار ... وقد ذهل ومعه الوفود العربية، حينما وصـــلت هذه المكالمة التلفونية، وثارت الشـــبهة في أن تكون المخابرة التلفونية مزورة ... واتصل السيد القوني بمكتب الرئيس عبد الناصر في القاهرة،

واستمع إلى صوت السيد سامي شرف مدير مكتب الرئيس وهو يقول جازماً: (أيوه.. السيد الرئيس موافق على وقف إطلاق النار...) وهكذا وافق مندوبا مصر والأردن على قرار مجلس الأمن من غير تعقيب ولا تعليق..

غير أن مندوبي العراق وسوريا اعتبرا القرار بأنه (استسلام كامل لإسرائيل، وطالبا بانسحاب إسرائيل إلى خطوط الهدنة لعام 1949). ولم يجد مندوب الاتحاد السوفيتي ما يقوله إلا ان يجدد اتهاماته لإسرائيل بأنها عملية الإمبريالية وصنيعة الاستعمار.

ولاحت الفرصة لإسرائيل ازاء هذا الموقف العربي غير المنسجم في مجلس الأمن . فأعلن الوزير الإسرائيلي أبا ايبان من تل أبيب (أن حكومته ترحب بقرار وقف القتال. (إلا أنه حذر من أن الأمر يعتمد كليا على الدول العربية...).

وهكذا ركزت إسرائيل سياستها – مرة أخرى – على السياسة العربية المتنافرة في الوطن العربي، وفي المحافل الدولية على السواء ..

وهذا ما جرى فعلا ... فقد بدأت مباراة المزايدات في الوطن العربي حول موضوع إطلاق النار ... يقف او لا يقف؟؟

فقد أعلنت المصادر التونسية الرسمية (أن تونس لا توافق على قرار إطلاق النار إذا كان القرار مقتصرا على وقف القتال ...والرئيس التونسي له مواقف سابقة ومعروفة بصدد الحرب مع إسرائيل اضطرته إلى ترك الجامعة

العربية لعدة سنوات ... وأذاع راديو مكة بلاغا عن مصدر مسئول (أن الحكومة السـعودية لا توافق على قرار مجلس الأمن الذي صـدر الليلة الماضـية بوقف إطلاق النار قبل أن يسترد الشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة في وطنه وبقاء فلسـطين لأهلها..) وتمنيت لو أن السـعودية كان لها جيش في ميدان المعركة عازم على القتال حتى يتم تحرير فلسـطين كما جاء في البلاغ السـعودي .. ولكن لا مانع من الكلام ما دام نفثة في الهواء ... وأعلن السـيد إسـماعيل خير الله وزير الدولة العراقي أن بلاده (لا تلتزم بقرار مجلس الأمن بوقف القتال وأن العراق سيستمر في موقفه الحازم تجاه إسرائيل ..).

ولم يسـتطع العراق . وهو الذي كانت تضـرب دباباته أن يشـترك في المعركة، إلا أن يتخذ هذا الموقف . فقد كان البعث السـوري واقفا للعراق بالمرصـاد يتسـقط خطواته .. وها قد أعلن راديو دمشـق (أن سـوريا لن توقف القتال وستواصل الحرب ضد إسرائيل)!!

ومثل العراق ومثل سـوريا . أعلن ناطق رسـمي من إذاعة الكويت (أن حكومة الكويت قررت رفض الالتزام بالقرار الذي اتخذه مجلس الأمن بوقف إطلاق النار وإيقاف العمليات الحربية في فلسـطين المحتلة وأن الرفض قد أبلغ إلى الأمم المتحدة).

واسـتمرت إسـرائيل في القتال .. وانعقد مجلس الأمن للمرة الثانية وللمرة الثانية اصدر قرارا (234) أعلن فيه (ان العمليات العسكرية ما زالت مستمرة في المنطقة .. ويطالب الحكومات المعنية بوقف إطلاق النار والامتناع عن القيام

بأي نشاط حربي كخطوة أولى وذلك في تمام الساعة 2 توقيت جرينتش من يوم 7 يونيو 1967)، ولم يذكر القرار شيئا عن الانسحاب إلى خطوط ما قبل القتال .. وكان ذلك دعوة مكشوفة، أخرى، لإسرائيل بالمضي في الحرب وفق الخطة المرسومة، حتى تصل إلى الخطوط التي تستهدفها..

واغتنم الوزير الإسرائيلي ابا ايبان انفصام الموقف العربي عسكريا وسياسيا فأعلن من غير تحفظ بان القتال (سيستمر إلى أن يحذو العراق وسوريا حذو الأردن ومصر في الموافقة على وقف إطلاق النار).

وكان أن انتقلت المعركة إلى الجبهة السورية، بعد أن فرغت إسرائيل من سيناء والضفة الغربية، وألقت إسرائيل بكل ثقلها في المعركة، فقد تفرغ السلاح الجو الإسرائيلي لسوريا بعد أن أنهى مهمته في الجبهتين المصرية والأردنية.

وحمي وطيس المعركة في مرتفعات الجولان في اليوم الثامن من حزيران ... ووقفت سوريا وحدها، ولم تستطع القوات الأردنية أن تنجد القوات السورية، لأنها دمرت في الأيام الأولى من المعركة.

وأدركت سوريا أن الهزيمة ستلحق بها كما لحقت بالأردن ومصر .. فأعلنت موافقتها على وقف إطلاق النار، وفي اليوم التاسع من شهر حزيران أعلن راديو دمشق ان سوريا (تقديرا منها للظروف الراهنة أبلغت الأمين العام أنها قررت قبول دعوة مجلس الأمن إلى وقف إطلاق النار..) ولكن أنى

لإســرائيل أن توقف القتال .. إنها تريد تصــفية الجبهة الســورية .. وفق الخطة المرسومة..

واجتمع مجلس الأمن للمرة الثالثة وأصــــدر قراره (235) يؤكد قراراته الســـابقة، ويطالب (بوقف القتال فورا.. وأن يقدم الســـكرتير العام تقريرا إلى المجلس في غضــون ســاعتين من موافقة الطرفين على القرار..) ومرة أخرى لم يذكر قرار مجلس الأمن شيئاً عن العودة إلى خطوط ما قبل القتال!!

ولم تعبأ إسرائيل بهذا القرار ولم تكن استكملت احتلال الجولان فاستمرت تقاتل في الميدان، واستمر المندوب السوري يصيح ويجادل في مجلس الأمن.. إلى أن سقطت القنيطرة بيد القوات الإسرائيلية، وأعلن راديو دمشق سقوطها قبل سقوطها ببضع ساعات!!

واجتمع مجلس الأمن للمرة الرابعة وأصـــدر قراره (236) (بوقف إطلاق النار، والتزام المتحاربين بالوقوف عند مراكزهم كما هي في الســـاعة 16.30 بتوقيت جرينتش يوم العاشر من حزيران).

وكانت القوات الإســرائيلية في تلك الســاعة المذكورة، من اليوم المذكور قد احتلت الجولان .. أعظم التحصـينات الاسـتراتيجية الطبيعية والاصـطناعية ن في الشرق الأوسط..

(وأذعنت) إســرائيل لقرار مجلس الأمن، لأن إســرائيل قد وصــلت إلى أهدافها العسكرية . من القتال إلى الأردن، إلى الجولان..

وإني أقول (أذعنت) إســـرائيل في ذلك اليوم.. لأن أمريكا أرادت ذلك، في ذلك اليوم فقط .. فقد تحققت لإسـرائيل أهدافها العسـكرية كلها .. وهذه تتفق مع أهداف السياسة الأمريكية، من غير ريب..

ولست أتجنى على أمريكا في هذا الحكم العادل ... فقد خرج هذا الحكم بذاته من أروقة مجلس الأمن .. فقد كتب لويس هيرت مراســل جريدة التايمس البريطانية في واشـنطن يقول.. (إن معظم الدبلوماسـيين في واشـنطن مقتنعون بتواطؤ الولايات المتحدة مع إســرائيل خلال الأســبوع الماضـــي .. وكان ذلك واضـحا في مجلس الأمن الدولي، وخاصـة وراء الكواليس عندما بدأت واشـنطن تضـــغط على إســـرائيل لقبول قرارات إطلاق النار، إنما فقط بعد التأكد من انتصار إسرائيل .. إن ضغطاً أمريكيا قويا لوقف القتال لم يبدأ حتى يوم الجمعة في 9 حزيران عندما اقتحمت إسرائيل الأراضي السورية) (1967/6/12).

وهكذا انتهت معركة الأيام الستة .. وتكشفت نتائج رهيبة..

ومن هذه النتائج الرهيبة سـقوط الجولان في سـت وثلاثين سـاعة وكان تقدير القيادة العربية الموحدة أن الجولان قادر على الصـمود لمدة أسـبوعين إلى أن تصـله النجدات العربية، بسـبب مناعته الطبيعية وتحصـيناته العسـكرية الضخمة التي أنفق فيها الشعب السوري الملايين، وحشد فيها الاتحاد السوفيتي كل فنونه العسكرية...

ومنها أن مرتفعات الجولان لها سيطرتها على منابع المياه في فلسطين، وهي الحاجز الطبيعي الأخير الذي يطل على مداخل دمشـــق .. مضـــافا إلى ثرواتها الطبيعية، وقد قال فيها الجنرال كارل فون هورن كبير المراقبين الدوليين سابقا (إن كل شبر من أراضى الجولان يساوي منجما من الذهب).

ومنها، ســـقوط الضـــفة الغربية، التي كانت المنطلق الكبير لتحرير فلسـطين، وأصـبحت تحت يد إسـرائيل الكبرى للوثوب على الأردن، من إربد شمالا إلى العقبة جنوباً.

ومنها، ســـقوط ســـيناء، المعبر التاريخي بين أفريقيا واســـيا، وبين المغرب العربي والمشرق العربي، وبين مصر وديار الشام..

ومنها سقوط شرم الشيخ الذي يسيطر على الملاحة في خليج العقبة..

ومنها، ومنها، مما يحتاج إلى فصـل مصـيب يسـرد المزايا العسـكرية والاقتصادية التي حققتها إسرائيل في حرب الأيام الستة.

ويأتي في رأس المزايا العسكرية، أن إسـرائيل قد أصـبحت على مسـافة 200 كيلو متر من القاهرة، و65 كيلو متراً من دمشـــق و 50 كيلو متراً من عمان .

وكانت هذه المزايا العسـكرية هي في جانب العرب، فقد كانت تل أبيب على مرمى المدفعية الأردنية ... وكانت (مناطق) إسـرائيل الشـمالية تحت رحمة

المدفعية السورية.. وكانت إسرائيل كلها على مدى ثلاث دقائق من سلاح الجو المصري، من مطار العريش في سيناء .

ولا بد من وقفة خاشعة مجيدة أمام بطولات الجندي المصري في سيناء والسوري في الجولان، والأردني في الضفة الغربية... إن الهزيمة ليست على أكتاف هؤلاء الأبطال الميامين . الشهداء منهم والأحياء، وليست الهزيمة على أكتاف الأمة العربية الباسلة . ولكن الهزيمة كل الهزيمة هي في عنق الحكم العربي المعاصر . بملكياته وجمهورياته . كل قدر ظروفه وقدراته ومواقعه... وما يظلم ربك أحدا .

وبين أوراقي . وثيقة سرية خطيرة تدين الحكم العربي...

فقد وضع الفريق عبد المنعم رياض تقريرا عرض فيه سير العمليات في حرب الأيام الستة .. وجاءت في هذا التقرير عبارة ملتهبة قال فيها (إن خوض معركة مع العدو يلزم التنسيق والتحضير المسبق، والذي حدث هو أن القيادة العربية الموحدة التي كانت قائمة بهذا العمل قد شلت أيديها قبل المعركة بحوالي سنة.. وعليه لم يكن هناك تنسيق بالمعنى المفهوم ولم يكن هناك تجهيز لمسرح العمليات بشكل مقبول والقيادة المتقدمة التي شكلت قبل المعركة بأيام لم يكن بوسعها أن تفعل أكثر مما فعلت، وهذا خطأ كبير للسياسة العربية، التي جنت على الجندية العربية قبل أن تجني عليها إسرائيل).

والى جانب المأســاة على الجندية العربية بدأت تتكشــف المعركة عن مآسٍ إنسانية جديدة ..ووصلني أول تقرير من الضفة الغربية، حمله الأخ سعيد أحد مراسلي مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في القدس . ولست في حاجة أن أقول إن (منظمة التحرير سابقاً)، فقد احتلت القوات الإسرائيلية مكاتب المنظمة في بيت حنينا –القدس– وصـــادرت الملفات والأوراق، وهذه هي غنائم الحرب التي وجدتها!!

وكان سعيد قوي البنية شديد الساعدين، رياضيا كشافا، ولولا ذلك لما اســتطاع أن يصــل إلى بيروت ســالما .. بعد أن عانى ما عانى للخروج من الضفة الغربية.

خرج ســـعيد من القدس في مواكب النازحين الذين هاموا على وجوههم عبر الجبال والوديان . في طريقهم إلى عمان .. وقد عبر النهر ســباحة وركب أول سيارة إلى عمان، ومنها إلى دمشق، ومنها إلى بيروت.

قال ســعيد في جلســة امتدت ثلاث ســاعات : – ماذا أحكي .. الملك حســين غدر بنا .. الجيش الأردني ما عليه كلام.. ولكن نفذت الذخيرة والمؤن والبنزين – تصــور أن جنود الجيش العراقي كانوا يدخلون البيوت في أريحا بحثا عن الخبز.. الشعب كان يريد أن يقاتل مع الجيش ولكن من أين السلاح .. لقد وصــل إلى عمان ما يقرب من ثمانين ألفا من النازحين من الضــفة الغربية، والكثير من مخيمات اللاجئين .. هذه هي هجرتهم الثانية .. لم يحضــروا معهم شــيئاً... القوات الإســرائيلية بدأت عملية النهب في كل مكان .. في القدس لم

يتركوا مخزنا ولا دارا إلا ونهبوها .. قصـــر الملك حســين في بيت حنينا نهبه الجنود الإسرائيليون . ورقصت المجندات الإسرائيليات أمام القصر، بينما كان الجنود يشربون من زجاجات الخمور التي أخرجوها من الطابق السفلي من قصر الملك.

وعاد ســعيد يتكلم عن النازحين قال : كثير من الشـيوخ والأطفال لم يســتطيعوا أن يقطعوا النهر فغرقوا – كانت مياه النهر عالية في هذه الأيام – وتزاحم الشـباب لمسـاعدة العجزة على قطع النهر – أنا حملت طفلين وقطعت فيهم النهر . الناس عل ضفتي النهر مثل أيام الحشر، يبحث الوالد عن ولده، والام عن ابنتها، والجميع في ذهول من الجوع والعطش والتعب .. قصـف الطائرات الإسرائيلية ما يزال في آذانهم.. حتى الجسور أصبحت عائقا لاجتياز النهر . لقد دمرت وتناثرت أجزاؤها في مجرى النهر.

وتوقف سـعيد عن الكلام، وهو يضـع يده على جبينه كمن يسـتجمع ذاكرته ثم قال : ولكن مصيبة المصائب وقعت مساء الخميس – ليلة الجمعة – 9 حزيران– في ذلك المسـاء جاءت القوات الإسـرائيلية إلى الأحياء العربية المجاورة لحائط المبكى، وأمرت الجميع بان يغادروا البيوت – الرجال كانوا معتقلين – خرج النسـاء والأطفال إلى منازل أقربائهم وأصـدقائهم إلى الأحياء الأخرى في المدينة – كان منظرهم وهم يغادرون بيوتهم يفتت الأكباد... وعند الليل نصبت إسرائيل مصابيح كهربائية ضخمة وبدأت حفارات –البولدوزر –

في هدم الأحياء المجاورة لحائط المبكى ... استمر العمل طيلة الليل إلى اليوم الثاني والثالث .. هدموا حي المغاربة بكامله بما فيه من منازل ومعابد وزوايا واصبح ساحة مكشوفة لتتسع للألوف من اليهود، ليحتشدوا فيها في أعيادهم الدينية..

روى لي سعيد هذا وغير هذا مما لا يتسع إلا لكتاب، وعاد إلى عمان ليبحث هو بدوره عن أهله، فقد يكونون في عداد النازحين، إذا لم يكونوا قد سقطوا في النهر، في جملة من سقط من الضحايا والشهداء.

وتناقلت وكالات الأنباء أخبار النزح والنازحين، وما يقاسون من عناء وبلاء، فهبت الأريحيات العربية في جميع أرجاء الوطن العربي التي تبعث بالغذاء والدواء والكساء إلى عمان لإغاثة الملهوفين..

ولست أنسى ذلك المشهد الكريم الذي كنت أراه في الساحة المكشوفة مقابل الحمام العسكري في رأس بيروت، حين امتلأت بالأكياس فوق الأكياس من المواد الغذائية التي تبرع بها الشعب اللبناني بكل طوائفه وطبقاته، حتى أصبحت الساحة روابي عالية من أحمال المؤن وصناديق الدواء وأكياس الملابس.

وفي كل يوم كنت أرى هذه الروابي تزداد طولا وعرضا وارتفاعا وليس هذا مبالغة في الوصف، ولكن هذه هي النجدة والمروءة على صعيد الجماهير ... وما أكرمها وما أعظمها..

وجاء دور الحكومات العربية ليبرز كرمها على حجمه في هذه المأساة الرهيبة، فأعلن راديو الكويت أن الحكومة خصصت مبلغ 150 ألف دينار لشراء مواد غذائية وطبية للأردن .. وأرسلت بعثة طبية تضم أطباء وممرضين للمساهمة في إسعاف الجرحى (1967/6/11). ثم توالت التبرعات الحكومية والشعبية فيما بعد..

وخطب الحسن الثاني ملك المغرب وناشد العرب (أن يعودوا إلى الله..) وتجسدت (العودة إلى الله) بأن أعلن أنه اصدر أمرا إلى جميع الوزراء والموظفين الحكوميين بان يتبرعوا بأجر يوم واحد لإسعاف ضحايا العدوان الإسرائيلي ..(67/6/11).

وأعلن الرئيس بورقيبة أنه سيوفد السيد المنجي سليم على رأس بعثة طبية إلى سوريا والأردن (1967/6/12) وقضى السيد المنجى سليم أيامه في عمان ليقول : لقد كان الرئيس بورقيبة على حق، وها قد حلت بكم الكارثة !!

وأصدر الملك فيصل نداء الشعب السعودي بأن (يتبرع كل فرد حسب طاقته لنجدة إخوانه في الأردن.. وفتح باب التبرع بمبلغ مليون ريال سعودي..) (1967-6-10).

وقد تبدو كلمة (مليون) ضخمة للذين لا يعرفون قيمة الريال السعودي ...وتبسيطا لذلك يمكن القول إن المبلغ الذي تبرع به جلالة الملك فيصل هو ثمانون ألف جنيه إسترليني .. على حين أن أحد رجال الأعمال الليبيين باع

العمارة التي يملكها بمبلغ نصـف مليون جنيه إسـترليني وتبرع بكامله لإسـعاف النازحين (72/6/12).

ومرة ثانية، من أجل التبسـيط نقول أن التاجر الليبي قد تبرع بسـتة أضعاف ما تبرع به جلالة الملك فيصل.

ولست أريد أن أقارن .. لست أريد أن اسرد المبالغ التي تبرع بها اليهود لإسرائيل في كل أرجاء العالم... ويكفي أن يعلم الملوك الأغنياء ومن تحتهم من الأمراء الأثرياء أن عددا من أغنياء اليهود في نيويورك قد تبرعوا في جلسـة واحدة عقدوها في الخامس من حزيران ..أي نعم في الخامس من حزيران بمبلغ خمسة عشر مليون دولار ... وتوالت التبرعات بعد ذلك بلا حساب من الجاليات اليهودية في جميع اصقاع الدنيا.

فقد قدرت وكالة اليونايتد برس للأنباء (25/ حزيران /1967) التبرعات التي جمعت لإسـرائيل في الولايات المتحدة منذ الأيام الأولى من شـهر حزيران بحوالي 85 مليون دولار . وبلغ حصـيلة ما جمع في ولاية نيويورك وحدها 22 مليون دولار، كما تم جمع 85 مليون دولار أخرى في أوروبا خلال هذه المدة.. وقالت وكالة الأنباء إن البارون روتشليد تمكن في حفل أقامة في فندق كلاريدج بلندن من جمع عشـرة ملايين دولار من المسـاعدات لإسـرائيل .. وإن التبرعات في كنده قد بلغت 12 مليون دولار ..وقد سمع الأغنياء من الملوك والأمراء هذه الأنباء، فانهالت منهم التبرعات ...ولكن بالتصريحات!!

وفي غمرة الحديث عن المآسي التي جاءت في أعقاب حرب الأيام الستة، ارتفع أنين الجرحى من الجنود والمدنيين في المستشفيات الأردنية والسورية، فقد تكشف للأطباء العرب أن الإصابات تبدو فيها مظاهر رهيبة تنبئ عن (قذارة) الأسلحة التي استخدمتها إسرائيل في الحرب ... وارتفعت الأصوات تطالب بالتحقيق على الصعيدين العربي والدولي.

ونشط الأطباء العرب، ومعهم إخوانهم وزملاؤهم الفلسطينيون فألفوا منهم وفدا متخصصا، زار المستشفيات في الأردن وسوريا، وأجرى فحصا طبيا على عدد كبير من المصابين، رجالا وأطفالا، وحينما عاد الأطباء الذين مثلوا لبنان، عقدوا مؤتمراً صحافيا أعلنوا فيه ان الطائرات الإسرائيلية قصفت المستشفيات بقنابل النابالم، وضربت سيارات الإسعاف بالمدافع الرشاشة، وأن قسما كبيرا من جراحات المصابين كانت بسبب قنابل النابالم .. وأن المستشفى العسكري برام الله قد دمر بكامله أثناء الحرب، وأنه لم ينج من أطبائه الثمانية إلا طبيب واحد .. وأن المستشفى الفرنسي ومستشفى اوجست فكتوريا قد تعرضا لهجمات العدو بالقنابل المحرقة ..

وقد عملت منظمة التحرير على نشر تقرير الأطباء العرب على أوسع نطاق ممكن، وتولت ترجمته بلغات متعددة، وانهمك المراسلون الأجانب في تخليصه وإبراقه إلى صحفهم ولكنه كان جهدا ضائعا، فلم توله الصحافة الغربية أي اهتمام .. والسبب كما هو واضح من غير إيضاح، أن المصابين بقنابل النابالم كانوا من العرب وليسوا من الإسرائيليين!!

وكان موضـــــوع قنابل النابالم، واحدا من أخطاء العرب الكثيرة التي ارتكبوها في حرب الأيام الســـــتة، أنهم لا يملكون قنابل النابالم.. او أنهم لا يعرفونها ... او أنهم لم يستخدموها، بدعوى أن قوانين الحرب تحظر استخدامها .. والذين يخسرون الحرب هم الذين يلتزمون بقوانين الحرب!!

تلك كانت شواغلي الإعلامية والسياسية خلال الأيام التي قضيتها وأنا ســـــجين في بيروت، أبحث عن طائرة إلى القاهرة فلا أجدها ..وطال انتظاري في بيروت .. إلى ان اقترح عليّ أحد الأصدقاء الخبراء، ان أسافر بالطائرة إلى أثينا ومنها إلى طرابلس ... ومن طرابلس أســـــافر إلى القاهرة بالســـــيارة ... وتذكرت أن الفريق طاهر يحي رئيس وزراء العراق كانت قد ضـربت طائرته في مطار الماظة الحربي في القاهرة في صباح الخامس من حزيران، ولم يجد وسيلة للعودة إلى بغداد إلا أن يذهب بالسيارة إلى ليبيا، ومنها استقل الطائرة إلى روما فتركيا فالعراق ...وهكذا أصبح رؤساء العرب يهربون من إسرائيل، بعد أن كان اليهود في الماضي يهربون أمام أولادنا في الشوارع!!

ورضيت بالحل الذي اقترحه صديقي الخبير، سافرت إلى أثينا في أول طائرة ..ولكن المشكلة لم تحل في أثينا بالسهولة التي كنت أتصورها .. فلم أجد طائرة إلى ليبيا ..وكان علي أن أنتظر يومين آخرين حتى وجدت طائرة .. أخيرا .. فقد اصـــبح الطيران بين دول البحر الأبيض المتوســـط مضـــطربا في جميع خطوطه..

وذلك كله ليعلم حكام العرب ما معنى وجود إســـرائيل في قلب الوطن العربي .. وليعرف الذين لا يعرفون، او الذين لا يؤمنون أن إزالة إسرائيل الدولة من الوطن العربي هو في صميم المصلحة العربية العليا..

ووصـــلت إلى مطار طرابلس، فكان مكروبا محزونا .. الموظفون هو الموظفون الذين كانوا يســـتقبلونني في زياراتي المتعددة إلى المملكة الليبية .. ولكن وجوههم تبدلت، وسيماهم تغيرت .. الحزن يغشاهم والكآبة تغمرهم..

وقال لي ممثل الخارجية وهو يستقبلني : لقد ضاعت فلسطين يا سيادة الرئيس .. فماذا على العرب أن يفعلوا؟

وحاولت ان أواسيه وأشجعه، ولكني كنت في حاجة إلى من يواسيني، ولم أجد ما قول إلا أن أحتمي بقوله تعالى : (وما أصـــابكم من مصـــيبة فمما كسبت أيديكم).

قال : أي والله صحيح .. هذا مما كسبت أيدينا...

وسألت موظفي المطار : متى أجد طائرة إلى القاهرة ؟

قالوا : الطيران متوقف بين طرابلس والقاهرة..

وقال لي موظف شـــركة الخطوط العربية المتحدة : جميع الحدود مع مصـــر مقفلة في وجه الطيران المدني، ونحن ننتظر الأوامر .. ننتظر عودة الطيران خلال هذين اليومين.

قلت : وإذا بقي الأمر على هذا الحال ؟..

قال : ندبر سيارة مريحة..

وذهبنا إلى الفندق في طرابلس فوجدته غاصـــا من الجدار إلى الجدار، بالفلسطينيين والليبين، كلهم هرعوا يسألونني .. كيف جرى ما جرى؟؟!!

وجلست في الصالة محشورا بين الزائرين، وانهالت على الأسئلة، كما تنهال الصـــخور من أعلي الجبال في يوم عاصـــف ماطر .. وكانت الأســئلة غاصبة ومزمجرة تارة،وحزينة منكسرة، تارة أخرى .. وهذا بعضها ..

أنتم العرب في المشـــرق العربي خمســـون مليوناً، فكيف انهزمتم أمام العصابات الصهيونية ؟

أنتم تملكون دبابات وطائرات ومصفحات وجيوشاً .. أكثر من إسرائيل فكيف حلت بكم الهزيمة؟.

وكيف انكسرتم في ستة أيام.. إلا تستطيعون الصمود ستة أسابيع ؟

أليس من العار أن توافقوا على قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار؟

ولماذا قمتم بهذه المغامرة، إذا لم تكونوا مســـتعدين للحرب وواثقين من النصر؟

أليس من طريقة لاستئناف القتال ؟ ومتى ؟ وكيف؟.

كانت هذه الأسئلة التي قذفوها في وجهي، وكان الأخوة الليبيون أشد قوة وعنفا في طرحها .. من الأخوة الفلسطينيين.

وأعترف أني لم أكن موفقا في أجوبتي، ذلك اني كنت التمس الأعذار للحكم العربي المعاصر في هزائمه الثلاث، عام 1948، وعام 1956، وعام 1967، فان الواقع الذي ما له من دافع ان حكام العرب، لا الشعوب، هم الذين يتحملون المسئولية الكاملة بقدر متفاوت فيما بينهم، عن هذه الانكسارات المتلاحقة وآخرها حرب الأيام الستة وما جاء بعدها من اندحارات سياسية ودبلوماسية!!

ولقد بردت ثائرتهم بعض الشيء حينما قلت لهم: إذا سقطت طائرة، او غرقت باخرة، تتألف لجنة تحقيق لبحث الأسباب .. فما بالكم إذا حلت هزيمة كبرى بالأمة، أليس من الواجب أن تتألف (محكمة شعب) يساق إليها الثلاثة عشر من الملوك والرؤساء لمحاسبتهم عن الهزيمة .. وأنا مستعد ان أكون المتهم الرابع عشر..

ثم آخذ المجتمعون يعرضون آراءهم في معالجة الموقف. وكلها تتركز على ضرورة استئناف القتال في أقرب فرصة .. خلال شهر واحد، خلال ثلاثة اشهر، خلال ستة اشهر .. ولكن أحداً لم يذكر خلال عام واحد!!

وانتقل الموضـــوع إلى دور الجماهير، ماذا تســـتطيع أن تفعل على الصعيد الشعبي لمساندة المعركة .. وقالوا ..وفعلوا ما قالوا...

قالوا: نحن في ليبيا بدأنا في تنفيذ العقوبات الاقتصـــادية على دول العدوان – أمريكا وبريطانيا وألمانيا الغربية – قاطعنا بضـــائعهم، وتجارنا أوقفوا طلبات البضـــائع الأمريكية والإنجليزية والألمانية التي كنا أوصـــينا عليها قبل العدوان – ســـحبنا أرصـــدتنا من الإســـترليني والدولار من البنوك والمصـــارف الأجنبية وأودعناها في المصـــارف الوطنية – العمال امتنعوا عن تفريغ البواخر الأمريكية والبريطانية .. لقد امتنعنا عن تدخين الســـجاير الأمريكية والبريطانية ...و...و...

وعند الكلام عن التدخين، سحب الحاضرون من جيوبهم علب السجاير ليثبتوا القول بالفعل، بأنهم بدأوا في مقاطعة المنتوجات الأمريكية والبريطانية ..

ثم ختموا حديثهم عن السلاح الحاسم الفاصل، هو البترول (يجب على الحكام العرب أن يوقفوا البترول.. ومن لم يفعل فعلينا ان نغمر رأسـه في براميل البترول..).

وكان الحديث عن البترول مســـك الختام فقد انصـــرف الإخوان إلى شـــئونهم ... وبقيت في الصـــالة اســـتقبل وفوداً ووفوداً من الزائرين الليبيين والفلســـطينيين . والحديث هو الحديث ... وأحســـب أنه كان كذلك في الوطن

العربي بأسره فالعرب أمة واحدة وأحاسيسها واحدة، وخاصة في أيام الملمات والنكبات.

وقضيت يومين على هذا الحال، أستقبل وأودع، وأتحدث وأسمع .. ولم تتوقف هذه الاجتماعات إلا يوم جاءني مندوب الخطوط العربية المتحدة ووجهه يطفح سروراً وهمس في أذني قائلاً : وصلت اليوم طائرة من القاهرة. وستقلع بعد ساعتين، وقد حجزت لكم مكانا ..

وسارعت إلى غرفتي، والى ثيابي وأوراقي .. والى المطار ..وصعدت سلم الطائرة في خطى سريعة كأني أريد أن أختزل الزمن للوصول إلى القاهرة..

كانت الطائرة من نوع (انتينوف) الروسية، صغيرة وبطيئة، وقد زاد من بطئها أنها كانت مأمورة – كما قال الكابتن– بأن تسير على ارتفاع منخفض، وأن تتجنب مواقع معينة .. وإلا .. وإلا فان المدافع تقصفها من الأرض..

وحمدت الله اني وصلت، أخيرا، إلى القاهرة بعد أن نجونا من الخطأ والصواب، خطأ الرادار وصواب المدافع .. وما تدري نفس بأي أرض تموت.

كانت مفاجأة مذهلة لأهلي وأنا أعود إلى البيت، بعد هذه الرحلة العاتية، وهم لا يدرون من أمري سوى أني سافرت إلى عمان مع الملك حسين .. وبعدها انقطعت أخباري..

أجلت نظري في البيت، كمن يبحث عن ضائع .. كان البيت في مثل حاله كما تركته قبل أسبوعين .. المكتبة في مكانها والأثاث في مكانه .. ولكن شيئا قد تغير .. ورحت أسال .. ما الذي تغير؟؟

الذي تغير هو نحن.. أهلي وأنا.. لقد تغيرت وجوهنا.. النكبة رسمت كآبتها على ملامحنا ووجوهنا ترهقها ذلة ..وأنا أدعو الله أن لا تكون في الأخرة كحال الذين (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة).

ولقد كنت متعباً حقا، مجهدا في روحي أكثر مني متعبا في جسدي.. ففي خلال هذين الأسبوعين وقعت على رؤوسنا نكبة، غيرت مجرى التاريخ في وطننا، ومن يدري إلى متى!!

وجلست في مكتبي وأنا لا أريد أن أقرأ ولا أكتب .. كنت أريد أن أغمض عيني، وأسكت وأسرح.. ولكني وجدت في بريدي ثلاثة مظاريف مختومة بالشمع الأحمر .. الأول من رئاسة الجمهورية العربية المتحدة والثاني من السفارة الأردنية – والثالث من السفارة السعودية وكانت المظاريف كلها مكتوبا عليه (سري جدا وعاجل جداً).. ولم أستطع أن أتمالك نفسي، فكسرت الشمع الأحمر وفتحت المظاريف..

كان المظروف الأول يحتوي رسالة من الرئيس عبد الناصر مؤرخة في 6 حزيران 1967 موجهة إلى الملوك والرؤساء.. في اليوم الثاني من المعركة..

وكان بودي وأنا اكتب مذكراتي أن ألخص هذه الرســـالة، أو اقتطف منها عباراتها ... ولكن أحسست من أعماق ضميري أن هذه الرسالة لا تلخص، ومن الظلم أن أقتبس شيئاً واترك شيئاً آخر ..إنها رسالة متكاملة لا تقبل التجزئة .. وما هو أهم من ذلك فإنها تمثل موقفا تاريخيا – في اليوم الثاني للمعركة– ولا بد للمواطن العربي الصاعد والوافد أن يتأمل ذلك الموقف في رسالة الرئيس عبد الناصر وفي كلماته .. وفي اقتراحاته..

وهذه هي الرسالة:

رئاسة الجمهورية

القاهرة في 6 يونيو 1967

تحية عربية مخلصة ...

إن مقتضـــيات الموقف وتطوراته تتطلب، في تقديري، أن يتجلى الآن موقف عربي موحد، قاطع وحاسم،وفي رأيي أن مثل هذا الموقف سوف يكون له أثره الكبير على المعركة المقدسة التي تخوضها شعوبنا وقواتنا المسلحة اليوم.

وإني أقترح الصيغة المرفقة لبيان يصدر تعبيرا عن موقف عربي موحد:

1– إن ملوك ورؤســـاء الدول العربية يجدون الآن أنه ليس هناك بديل عن وقفة موحدة وحازمة ضد العدوان الإسرائيلي المدعم بقوى الاستعمار.

2- إن ملوك ورؤســـاء الدول العربية مقتنعون تمتما بأن إســـرائيل لم تكن تستطيع الإقدام على ما أقدمت عليه بغير عون عسكري مركز ومستمر من جانب الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وغيرها من الدول الضالعة معها.

3- إن ملوك ورؤساء الدول العربية في الوقت الذي يصممون فيه على هذه الوقفة الحازمة ضـــد العدوان الإســـرائيلي يؤكدون أن هذا الموقف لا تتحقق فعاليته الكاملة بغير اتخاذ الموقف نفسه ازاء القوى الاستعمارية الأجنبية التي تدعمه وبغير تقدير عملي وإيجابي لموقف القوى التي شجبت العدوان او التي أثبتت أنها تستطيع ان تنظر إلى الأمور بنظرة موضوعية مستقلة.

4- إن ملوك ورؤساء الدول العربية مصممون على أنه لن يكون لأية دولة من الدول المدعمة للعدوان الإســـرائيلي موقع قدم في أي وطن من أوطان الدول العربية في أي مجال من المجالات ما لم تصـــحح موقفها فورا!.

5- إن ملوك ورؤساء الدول العربية يعتبرون أن الوقفة الجبارة لشعوب الأمة العربية قد أذابت نهائيا والى الأبد أية خلافات عربية.

6- إن ملوك ورؤســـاء الدول العربية مقتنعون بأن نظاما عاما جديدا يجب أن ينشـــأ في الوطن العربي كله قائما على وحدة المصـــير التي تأكدت في ميدان القتال ويرون أن ينعقد مؤتمر قمة عربي في أقرب فرصة بعد انتهاء هذه المعركة المصـــيرية لوضـــع إطار النظام المقترح قائما على

التعاون الصـــادق وعلى الثقة المتبادل وعلى إنكار الذات وعلى أماني الشعوب العربية الباقية والخالدة بعد أي فرد وفوق أي منصب.

7- إن ملوك ورؤســاء الدول العربية وهم يعرفون أنهم يواجهون موقفا كبيرا ومســئولية ضــخمة يعلنون أن جميع الموارد العربية وكل الإمكانيات والطاقات ســوف تخصــص كلها لخدمة معركة المصــير دون قيود او حدود وهم يعتبرون أن القوى التي ناصبت الأمة العربية العداء وسهلت للعدوان الإسرائيلي يجب أن تتحمل تكاليفه.

8- إن ملوك ورؤساء الدول العربية يقررون الآن، ولكي تكون وجهة نظرهم واضــحة أمام جميع الأطراف، أن يتوجه الملك حســين ملك الأردن متحدثا باســمهم جميعا وفي أســرع وقت تســمح له به مســؤولياته إلى مقابلة مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وأن يتوجه الرئيس هواري بومدين باســمهم جميعا وفي أســرع وقت إلى مقابلة مع رئيس الحكومة السوفيتية- لشرح الظروف والعواقب التي يمكن أن تترتب على استمرار العدوان الإســرائيلي المدعم بالقوى الاســتعمارية ومضــاعفات ذلك على السلام العالمي كله.

9- إن ملوك ورؤساء الدول العربية يتوجهون الآن بالنداء إلى كل الشعوب الحرة والصــديقة والمؤمنة بســلام قائم على العدل أن يرفعوا أصــواتهم عالية لنصــرة الحق العربي وأن يقدموا للجهد العربي الباســل كل ما في طاقتهم من عون.

10 – إن ملوك ورؤساء الدول العربية قد أصدروا أوامرهم إلى سفرائهم في العواصم بان يطلبوا مقابلة رؤساء الدول او الحكومات المعتمدين لديها وأن ينقلوا إليهم كلمة عربية واحدة بحقيقة الموقف وأبعاد المعركة وهم لا يطلبون إلى أحد أن يختار بينهم وبين أي طرف آخر ولكنهم يعتقدون بصدق أن الاختيار المطروح هو اختيار بين الحرية وبين السيطرة الأجنبية وقواعدها العدوانية .

التوقيع

جمال عبد الناصر

كتب الرئيس عبد الناصر هذه الرسالة، يقينا، بعد أن تحطم سلاح الجو المصري وتدمرت المطارات المصرية، وأصبحت القوات المصرية تحت رحمة سلاح الجو الإسرائيلي..

وقد طالب عبد الناصر في هذه الرسالة من الملوك والرؤساء، أن يتخذوا موقفا موحداً ازاء أمريكا وبريطانيا .. وأن لا يكون لدول العدوان أي موقع قدم في الوطن العربي في أي مجال من المجالات ما لم تصحح موقفها فوراً.. وأن تخصص جميع الموارد والإمكانات العربية للمعركة من غير قيود ولا حدود .. وأن يتوجه الملك حسين إلى أمريكا لمقابلة رئيس الولايات المتحدة، والرئيس هواري بومدين لمقابلة رئيس الحكومة السوفيتية لشرح الأخطار الناجمة عن العدوان الإسرائيلي .

وجاءت الرســـالة بعد ذلك لتغري المترددين وتطمئن الخائفين، فأعلن الرئيس في كلام قاطع (أن أية خلافات عربية قد ذابت نهائيا والى الأبد..وأنه يتعين أن ينعقد مؤتمر قمة عربي بعد المعركة لوضـــع نظام عام جديد للتعاون الصادق والثقة المتبادلة بين الدول العربية ...)

ولكن هذه الرســـالة بقيت في خزائن الملوك، للعبرة والذكرى، فلم يرد عليها أحد من الملوك والرؤســاء ... وجاءت الكارثة ســريعة كالرعد القاصــف ..وأخشى أن يكون قد نسيها التاريخ ..

ولو أن الملوك والرؤســاء قد هبوا لاتخاذ هذا الموقف، أو مثله، لتغير ســير المعركة فان المعركة كانت بيد الولايات المتحدة، وعنق الولايات المتحدة في أيدينا..

أجل .. لو أن الملوك والرؤســـاء قد اســـتجابوا لوقفة المعركة في اليوم السابع من حزيران .

وفي اليوم الســابع كانت إســرائيل ما تزال حول القدس لم تدخلها، وفي وسط سيناء لم تخترقها، وبعيدا عن مرتفعات الجولان لم تصل إليها..

ولكن من أين .. كانت قلوب الملوك والرؤســـاء مشـــحونة وفارغة .. بعضها مشحون بالحق والبغضاء . وبعضها فارغ من الإيمان.

ولم يبال بعضهم أن الرئيس عبد الناصر قد تعهد في راسلته (أن تذوب الخلافات العربية نهائيا والى الأبد). ولم يكن أحد يخطر في باله أن يقول الرئيس عبد الناصر مثل هذا الكلام في يوم من الأيام...

أما المظروف الثاني فقد كان يحتوي رسالة من الملك حسين إلى الملوك والرؤساء . بتاريخ 1976/6/8. ولا شك في أنها كتبت بعد سقوط القدس .. ولست في حاجة أن اقتبسها كلها فان الجوهر فيها قليل، والكلام الإنشائي فيها كثير كثير.

يقول الملك حسين بعد المقدمات (إن جولتنا التي بدأت منذ أيام قليلة سوف تتبعها جولات وجولات. قريبة وبعيدة .. وإننا نعاهد الله أن نكون في المعركة إلى النهاية.. ولا بد لنا من لقاء عاجل لبحث القضية من كافة وجوهها .. لقد أثبتت المعركة مدى حاجتنا في الأردن إلى إنشاء شبكة مطارات وشبكة دفاع جوي.. وسنبني قواتنا على أمثل وجه وفي أقرب وقت..).

قرأت رسالة الملك حسين عن (إنشاء المطارات وشبكة الدفاع الجوي) وضحكت .. وضحك معي القدر والتاريخ !!

ضحك التاريخ، لان التاريخ الصادق الأمين، يعلم أن القيادة العربية الموحدة وعلى رأسها الفريق عامر، قد استنجدت بالأرض والسماء لتقنع الملك حسين بإنشاء المطارات وشراء الطائرات، ودفعت له الملايين من الجنيهات ... فأبى واستكبر...

أما المظروف الثالث ... فكان ثالثة الأثافي كما يقول العرب الأوائل في الجزيرة العربية، فقد كان يحتوي رسالة من الملك فيصل مؤرخة 1967/6/12 أهاب فيها بوصفه حامي الحرمين الشريفين (بجميع ملوك ورؤساء الدول الإسلامية والصديقة المؤمنة بالله أن يسارعوا لتحرير فلسطين العربية وإنقاذ الأماكن المقدسة فيها من براثن الصهيونية..)

وقد حمدت الله أن الملك فيصل قد أخذ أخيرا بزمام المبادرة للدعوة إلى الجهاد ... فقد كنت صديقا قديما للملك فيصل أيام كان أميرا وولي عهد المملكة، وكنت دائما أناشده، وأناشد أخاه الملك سعود أن يجعلا من موسم الحج مؤتمر جهاد لتجميع طاقات العالم الإسلامي لمساندة قضية فلسطين .. لا أن يكون دور السعودية قاصرا فقط على توسيع الطريق، وتوفير الماء... الحج مجمع إسلامي كبير للذود عن حمى الإسلام وديار الإسلام، وليس تحويل مكة والمدينة إلى فندقين نظيفين لطيفين تتوافر فيهما أسباب الراحة!!

ويوم قرأت رسالة الملك فيصل بالدعوة إلى الجهاد، حملني حسن الظن أن الحمية الدينية قد استيقظت في ضميره، وها هو يأخذ زمام المبادرة ... ودعوت الله أن يجعل منه بطلا يدخل التاريخ من أوسع أبوابه، لا أن يعيش ملكا ويموت ملكا، يطويه التاريخ بين المغمورين..

وكان الوقت ملائما ... فان العالم الإسلامي كانت تغمره موجة رائعة من التطلع إلى الجهاد بعد أن سقط المسجد الأقصى بيد القوات الإسرائيلية،

وفشت في ساحاته مشاهد التهتك والخلاعة على أيدي أولئك الذين أعطوا الحضارة العصرية أكبر قدر من التهتك والخلاعة ..

أجل، كان الوقت ملائما، فقد كانت الرياح الإسلامية مع السفينة العربية .. وقد امتلأت أوراقي بالوقائع والأحداث..

ففي اليوم السادس من حزيران تظاهر ما يقرب من عشرة آلاف باكستاني في مدينة لاهور مطالبين بالتطوع وحمل السلاح ليقاتلوا إلى جانب إخوانهم العرب .. وأعلن الرئيس الباكستاني المشير محمد أيوب أن باكستان مستعدة أن تؤيد الدول العربية في معركتها ضد إسرائيل .. وسارت المظاهرات في روالبندي وتجمهر الشباب أمام مكتب المعلومات الأمريكي ومكتبة المجلس الثقافي البريطاني فاقتحموها وحطموا النوافذ والأبواب.

وفي اليوم السابع من حزيران بعث المشير أيوب برسالة إلى الدول العربية يقول فيها (أرجو أن تشعروا بملء الحرية في أن تطلبوا منا ما تحتاجون إليه من مساعدات في المعركة ضد إسرائيل).

وفي الثامن من حزيران بعث المشير أيوب خان رسالة إلى العقيد هواري بومدين رئيس مجلس الثورة الجزائري يعرض فيها تقديم العون الفعلي في المعركة ضد إسرائيل، وبعث برسالة أخرى إلى السعودية يعرض تقديم الرجال والسلاح لدعم الجهد العربي.

وفي السادس من حزيران أعلن مجلس الوزراء الصومالي أنه يضع قواته العسكرية تحت تصرف الدول العربية .. وتقرر فتح مكاتب تطوع الصوماليين للانضمام إلى المعركة ضد إسرائيل.

وفي التاسع من حزيران قامت مظاهرات ضخمة في الصومال اشترك فيها الألوف وعقدوا اجتماعات شعبية وأبرقوا إلى الدول العربية يعلنون استعدادهم للقتال..

وفي السابع من حزيران أعلن وزير خارجية إندونيسيا تأييده للدول العربية .. وأعلن عشرة آلاف حاج إندونيسي رغبتهم في التطوع وحمل السلاح لتحرير المسجد الأقصى – وسار آلاف من الأفغانيين بمظاهرات في شوارع كابول وأعلنوا رغبتهم في التطوع دفاعا عن الأماكن المقدسة. وأعلنت جمهورية موريتانيا قطع علاقاتها الدبلوماسية مع أمريكا تأييدا للدول العربية في صراعها مع إسرائيل.

وفي الثامن من حزيران أعلن السيد سيكوتوري رئيس جمهورية غينيا تضامن بلاده مع الدول العربية في معركتها مع إسرائيل، وأن القضية العربية ضد الإمبريالية لا يمكن عزلها عن أماني الشعوب الأفريقية .. ووقع 27 نائباً إندونيسيا بيانا أعلنوا فيه تضامن الشعب الإندونيسي مع الدول العربية .. وأعلن المئات من مسلمي سنغافورة استعدادهم للتطوع دفاعا عن الديار المقدسة، كما بدأت لجنة الهلال الأحمر في سنغافورة حملة التبرعات للمجاهدين في فلسطين.

وفي الثاني عشر من حزيران تجمع مئات من المسلمين في هونج كونج أمام قنصلية الجمهورية العربية المتحدة وهم يعلنون استعدادهم لتحرير المسجد الأقصى (والدموع تملأ عيونهم) كما يقول التقرير...

وفي السادس عشر من حزيران، قام المسلمون في مانيلا عاصمة الفلبين بتظاهرة ضخمة ضد العدوان الإسرائيلي سار فيها حوالي ثلاثة آلاف شخص يحملون اللافتات الوطنية ويعلنون استعدادهم للقتال إلى جانب إخوانهم العرب..

و.. و... وغيرها من الأحداث والوقائع التي تثبت أن الوقت كان ملائما . ولكنه يبحث عن الشخص الملائم..

وكان الشخص الملائم هو الملك فيصل .. فهو ذكي .. وشجاع.. وعنيد . وبيده مفاتيح الحرمين الشريفين . ومن أجدر منه بالدفاع عن ثالث الحرمين وأولى القبلتين ؟؟

ثم ان الملك فيصل .في خطبه القليلة. وكان يدعو الله دائما أن يسقط شهيدا في بيت المقدس وكان ذلك قبل ان تسقط بيت المقدس. فها قد حل زمن الفداء والوفاء... ومن يمنع الملك فيصل ان يسقط شهيدا في بيت المقدس .. إن أبواب الشهادة مفتوحة لكل مؤمن . إذا صدقت النية وصحت العزيمة..

وكنت أحب الملك فيصل في شبابه وشبابي، يوم كنا أنا وجيلي من المشتغلين بالقضية العربية نتحلق حوله ونتحدث عن الوحدة العربية .. وكنا نراه أملا ومثلاً..

ولكن الأمل قد خاب، والمثل قد تضاءل مع السنين .. فلقد عرفناه أكثر بالتجربة والممارسة والرجال صناديق مقفلة، وما مفاتيحها إلا التجارب..

غير أني وأنا اقرأ رسالته، عاد إليّ الأمل وانتصب المثل .. وعاد إليّ الحب القديم ودعوت الله أن يكون فيصل هو البطل وهو المنقذ..

ولكن .. ضاعت فرصة العمر وفرصة التاريخ أمام الملك فيصل، فقد اكتفى من (الجهاد) بالدعوة والنداء، ولم يسقط شهيدا في بيت المقدس، ولن يسقط، وأغلب الظن أنه سيقضي بقية عمره في الكلام عن الجهاد .. بعيدا عن الجهاد.. وسيلاقي أجله على فراشه . يرحمه الله .. وكل نفس ذائقة الموت..

وهكذا اختار الملك فيصل أن يكون همه الأوحد، أن تظل السعودية مملكة، وأن يظل ملكا عليها، وأن يتسلل الملك في البيت السعودي ظهرا بعد ظهر..، ولا بأس من أن يسقط بيت المقدس في يد إسرائيل .وقد أصبحت من مكة والمدينة قاب قوسين او أدنى.

غمرتني هذه الخواطر كلها وأنا جالس في مكتبي أمعن النظر في رسالة الملك فيصل (حامي الحرمين الشريفين) وقد فاته أن هذا اللقب الكريم ليس سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام .. وكفى.

إن الله تعالى يقول في كتابه المحكم (أجعلتم ســـقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين)

صدق الله العظيم